بوذا ونور الملكوت

بقلم
سيّد تقي سيّد حسين الموسوي
حفظه الله




بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب

بوذا ونور الملكوت

تأليف

سيّد تقي سيّد حسين الموسوي

حفظه اللّه

www.taqimusawi.com

٠٠٩٦٨٩٩٤١٩٤٦١

صندوق البريد ٩٢٠

الرمز البريدي ١١٤

سلطنة عُمان

المصادر

- كتاب كمال الدين وتمام النعمة، المؤلف: الشيخ الصدوق ابن بابويه، محمد بن علي، تاريخ وفاة المؤلف: ٣٨١ هـ، الناشر: الإسلامية، مكان الطبع: طهران، تاريخ الطبع: ١٣٩٥ هـ، الطبعة: الثانية، الجزء الثاني.
- كتاب بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (ط- بيروت) جـ ٧٥، المؤلف: الشيخ محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، تاريخ الوفاة: ١١١٠ هجري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، مكان الطبع: بيروت، تاريخ الطبع : ١٤٠٣ هـ، الطبعة الثانية.
- كتاب بلوهر وبوذاسف حقّقه دانيال جيماريه، الناشر: دار المشرق - بيروت، من مخطوطة باللغة العربية طبعت في الهند بمبئ عام ١٣٠٦ هـ باسم كتاب بلوهر وبوذاسف في المواعظ والأمثال الحكمية على ذمّة الحاج الشيخ نور الدين ابن جيواخان تاجر الكتب ومالك المطبع الحيدري والصفدي.
- قصة بوذا تأليف عبد العزيز محمد الزكي، الناشر: مؤسسة المطبوعات الحديثة.
- كتاب هكذا تكلّم الإمام جعفر الصادق عليه السلام للمؤلف سيّد تقي الموسوي.
- كتاب السموات السبع للمؤلف سيّد تقي الموسوي.

المحتويات

العرفان بالجميل

أنا مدين جدًّا في كتبي الأخيرة، وعلى الخصوص هذا الكتاب (بوذا ونور الملكوت)، وأيضًا كتبي السابقة (هكذا تكلّم الإمام جعفر الصادق عليه السلام) و (هكذا تكلّم الله على لسان داود) و (هكذا ناجى داود ربه) و (كتاب محاورتي مع الشيخ علي المياحي) و (كتاب المباني الأساسية للطريقة الأويسية) الذي أُسّس بناءً على أسئلته، ذلك للسيد محمد الشوباصي من سوريا، حيث زوّدني بالمراجع القيّمة وساعدني كثيرًا في إتمام كتبي ومراجعتها وتصميمها ونشرها إلكترونيًّا عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي والإنترنت. فالشكر له موصول لما آثرني به من خدمات قيّمة لا أنساها، وأسأل الله العليّ القدير أن يوفّقه في حياته في هذه الدنيا وفي الآخرة إنه سميع مجيب الدعاء.

وأيضًا أشكر زهير من دبي في الإمارات العربية المتحدة وجهاد من البحرين لوضع موقع إلكتروني لكتبي، ولا أعرف حقيقة كيف أشكرهما على مأثرة الإيثار التي يتحلّان بها رغم مشاغلهما الكثيرة. فقد ساعداني كثيرًا في نشر كتبي وسهّلا للقارئ العربي الوصول إلى هذه الكتب. فالشكر موصول لهما إلى الأبد وأتمنّى لهما من كل قلبي التوفيق في الدنيا والآخرة.

المقدّمة

لقد عزمت هذه المرة أن أكتب عن بوذا لأنني تأثّرت بشخصيته قبل أن أدخل سلك العرفان، ولأنه شخصيّة نادرة استطاع أن يلهب حماس الملايين من البشر من ٢٦٠٠ سنة خلت إلى يومنا هذا.

ولا يجوز أن نتّهم بوذا بما يفعله البوذيّون اليوم من عبادة تماثيل بوذا (الأصنام)، كما لا يجوز أن نتّهم عيسى عليه السلام بما يفعله المسيحيّون اليوم من تأليه عيسى وأمّه الطاهرة البتول العذراء مريم، كما لا يجوز أن نتّهم محمدًا صلى الله عليه وآله بما يفعله بعض المسلمين (أو مدعي الإسلام) من إرهاب، كما يشيعه اليوم الإعلام الغربي المغرض مع الأسف الشديد.

عجيب أمر هذا الإنسان: كان هناك رجل تقيّ زاهد اسمه بوذا ثم مات كسائر الناس. وبعد موته نصب له المعجبون به تماثيل وعبدوها ثم قالوا: هذه هي ديانة ذلك الرجل التقيّ الزاهد !!! ما أغربك أيّها الإنسان !

فلا بدّ لنا أن ننصف العظماء في التاريخ، ولا نخلط تعاليمهم السامية بما يفعله أتباعهم (أو مدّعو دياناتهم) اليوم. فإن تعاليم هؤلاء العظماء اختلطت بها الكثير من التزويرات والتحريفات في الأديان السماوية، وكان كلّ شيء يدوّن آنذاك هناك، فما بالك بالتعاليم السامية التي لم تدوّن في حينها كما في تعاليم بوذا !

يؤكّد ابن بابويه بأن بوذا ذو رسالة إلهيّة سماويّة كما جاء في كتابه كمال الدين وتمام النعمة، ويؤكّد ذلك أيضًا المجلسي في كتابه بحار الأنوار، وكما أوردنا في كتابنا هذا نقلًا عنهما في فصل (دعوة بوذا إلى الدين) كالآتي:-

فَمَكَثَ بِذَلِكَ حَتَّى بَلَغَ وَقْتُ خُرُوجِهِ إِلَى النُّسَّاكِ لِيُنَادِيَ بِالْحَقِّ وَ يَدْعُوَ إِلَيْهِ، أَرْسَلَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ مَلَكاً مِنَ الْمَلَائِكَةِ. فَلَمَّا رَأَى مِنْهُ خَلْوَةً ظَهَرَ لَهُ وَ قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ: لَكَ الْخَيْرُ وَ السَّلَامَةُ، أَنْتَ إِنْسَانٌ بَيْنَ الْبَهَائِمِ الظَّالِمِينَ الْفَاسِقِينَ مِنَ الْجُهَّالِ، أَتَيْتُكَ بِالتَّحِيَّةِ مِنَ الْحَقِّ. وَ إِلَهُ الْخَلْقِ بَعَثَنِي إِلَيْكَ لِأُبَشِّرَكَ، وَ أَذْكُرَ لَكَ مَا غَابَ عَنْكَ مِنْ أُمُورِ دُنْيَاكَ وَ آخِرَتِكَ، فَاقْبَلْ بِشَارَتِي وَ مَشُورَتِي، وَ لَا تَغْفَلْ عَنْ قَوْلِي، اخْلَعْ عَنْكَ الدُّنْيَا، وَ انْبِذْ عَنْكَ شَهَوَاتِهَا، وَ ازْهَدْ فِي الْمُلْكِ الزَّائِلِ وَ السُّلْطَانِ الْفَانِي الَّذِي لَا يَدُومُ، وَ عَاقِبَتُهُ النَّدَمُ وَ الْحَسْرَةُ، وَ اطْلُبِ الْمُلْكَ الَّذِي لَا يَزُولُ وَ الْفَرَحَ الَّذِي لَا يَنْقَضِي وَ الرَّاحَةَ الَّتِي لَا يَتَغَيَّرُ، وَ كُنْ صَدِيقاً (صدّيقًا) مُقْسِطاً، فَإِنَّكَ تَكُونُ إِمَامَ النَّاسِ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ.

فَلَمَّا سَمِعَ يُوذَاسُفُ كَلَامَهُ خَرَّ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ سَاجِداً، وَ قَالَ إِنِّي لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى مُطِيعٌ وَ إِلَى وَصِيَّتِهِ مُنْتَهٍ، فَمُرْنِي بِأَمْرِكَ ، فَإِنِّي لَكَ حَامِدٌ، وَ لِمَنْ بَعَثَكَ إِلَيَّ شَاكِرٌ، فَإِنَّهُ رَحِمَنِي وَ رَؤُوفٌ بِي، وَ لَمْ يَرْفُضْنِي بَيْنَ الْأَعْدَاءِ، فَإِنِّي كُنْتُ بِالَّذِي أَتَيْتَنِي بِهِ[1] مُهْتَمّاً.

قَالَ الْمَلَكُ إِنِّي أَرْجِعُ إِلَيْكَ بَعْدَ أَيَّامٍ ثُمَّ أُخْرِجُكَ، فَتَهَيَّأْ لِذَلِكَ وَ لَا تَغْفَلْ عَنْهُ. فَوَطَّنَ يُوذَاسُفُ نَفْسَهُ عَلَى الْخُرُوجِ، وَ جَعَلَ هِمَّتَهُ كُلَّهُ فِيهِ، وَ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى ذَلِكَ أَحَداً، حَتَّى إِذَا جَاءَ وَقْتُ خُرُوجِهِ، أَتَاهُ الْمَلَكُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ وَ النَّاسُ نِيَامٌ فَقَالَ لَهُ: قُمْ فَاخْرُجْ وَ لَا تُؤَخِّرْ ذَلِكَ، فَقَامَ وَ لَمْ يُفْشِ سِرَّهُ إِلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ غَيْرِ وَزِيرِهِ.

أما كيف تحقّقت (النيرفانا) عند بوذا تحت شجرة التين حسب رواية ابن بابويه والمجلسي، وكما أوردنا في كتابنا هذا نقلًا عنهما في فصل (شجرة التين عند ابن بابويه) فالقصّة كالآتي:-

[1] في نسخة المجلسي هذه العبارة: بالذي أتيت له.

ثُمَّ رَجَعَ وَزِيرُهُ وَ تَقَدَّمَ يُوذَاسُفُ أَمَامَهُ يَمْشِي، حَتَّى بَلَغَ فَضَاءً وَاسِعاً، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَرَأَى شَجَرَةً عَظِيمَةً عَلَى عَيْنٍ مِنْ مَاءٍ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّجَرِ وَ أَكْثَرَهَا فَرْعاً وَ غُصْناً وَ أَحْلَاهَا ثَمَراً، وَ قَدِ اجْتَمَعَ إِلَيْهَا مِنَ الطَّيْرِ مَا لَا يُعَدُّ كَثْرَةً.

فَسُرَّ بِذَلِكَ الْمَنْظَرِ وَ فَرِحَ بِهِ، وَ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ حَتَّى دَنَا مِنْهُ، وَ جَعَلَ يُعَبِّرُهُ فِي نَفْسِهِ وَ يُفَسِّرُهُ، فَشَبَّهَ الشَّجَرَ بِالْبُشْرَى الَّتِي دَعَا إِلَيْهَا، وَ عَيْنَ الْمَاءِ بِالْحِكْمَةِ وَ الْعِلْمِ، وَ الطَّيْرَ بِالنَّاسِ الَّذِينَ يَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ وَ يَقْبَلُونَ مِنْهُ الدِّينَ.

فَبَيْنَا هُوَ قَائِمٌ إِذَا أَتَاهُ أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ع يَمْشُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَاتَّبَعَ آثَارَهُمْ، حَتَّى رَفَعُوهُ فِي جَوِّ السَّمَاءِ، وَ أُوتِيَ مِنَ الْعِلْمِ وَ الْحِكْمَةِ مَا عَرَفَ بِهِ الْأُولَى وَ الْوُسْطَى وَ الْأُخْرَى وَ الَّذِي هُوَ كَائِنٌ، ثُمَّ أَنْزَلُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، وَ قَرَّنُوا مَعَهُ قَرِيناً مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْأَرْبَعَةِ.

فلقد دوّنت تعاليم بوذا في الإمبراطورية الفارسيّة القديمة قبل أن تدوّن في سيلان ٥٠٠ سنة بعد بوذا. وهي النسخة الموجودة عند الشيخ الصدوق والمجلسي عليهما الرحمة، وأيضًا النسخة الموجودة في الهند التي نسخ منها الفرنسي دانيال جيماريه، تحت اسم بلوهر وبوذاسف. وطبعًا الملحق (أوف) لا زال إلى يومنا هذا يلحق بالأسماء في البلدان المجاورة لشمال إيران.

ومع الأسف لم تكن الكتابة متداولة بين الهنود في تلك الأزمان السحيقة، ولذلك اختلطت المعتقدات الشعبيّة الهندوسيّة مع تعاليم بوذا. والنصّ الفارسي القديم اصطبغ بالصبغة التوحيديّة على خلاف النصّ السيلاني القديم الذي اصطبغ بالمعتقدات الشعبيّة الهندوسيّة. وذلك أن ديانة زرادشت توحيديّة وهم من أهل الكتاب، كما قال الإمام علي عليه السلام، وعلى هذا الأساس عوملوا بعد أن فتح الإسلام الدولة الفارسيّة القديمة.

والعجيب في أمر بوذا أنه لم يلهب حماس البوذيين وحدهم بل حماس الأمم الأخرى أيضا وإلى يومنا هذا. وتوجد عنه روايتان: رواية فارسيّة إسلاميّة وأخرى هنديّة تقليديّة نبعت من كتاب البوذيين الأوائل الذين كانوا في سيلان، وبعد حوالي خمسة قرون من بوذا.

أما الرواية الإسلاميّة فترفعه إلى مصافّ الأنبياء والرسل. وأول من ترجمها من الفارسيّة القديمة إلى اللغة العربية هو الرقاشي - أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفير اللاحقي البغدادي المعروف بالرقاشي الشاعر، الذي كان ينقل الكتب المنثورة إلى الشعر. توفي سنة ٢٢٠ هجري، وله كتاب بلوهر وبردانية وكتاب الرسائل وكتاب سيرة أنوشيروان وكتاب سيرة أردشير وكتاب علم الهند وكتاب كليلة ودمنة، كما جاء في كتاب (هدية العارفين) في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين الجزء ١ صفحة ٢ كالآتي:-

(بوذاسف وبلوهر) هو أيضًا من تعاليم بوذا، وقد ترجم بالعربيّة كما ذكره ابن النديم في الفهرست صفحة ٤٢٤ بعنوان بوتاسف وبلوهر، ونظّمه بالعربية أبان بن عبد الحميد اللاحقي، كما ذكره فيها (صفحة ١٧٢) بعنوان بلوهر وبردانية. ثم ترجم من العربيّة بالفارسيّة الجديدة. هذا وقد ترجم أيضًا باليونانيّة بعنوان برلام وبوذاسف كما ذكره العلامة آقا بزرك الطهراني في كتابه الشهير الذريعة إلى تصانيف الشيعة الجزء ٨ صفحة ٣١. علمًا بأن اللاحقي ذكر في كتاب هديّة العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين في الجزء الأول الصفحة الثانية.

ثم ذكر هذه القصّة العجيبة علماء كبار من الشيعة الإماميّة منذ القرن الرابع الهجري أي منذ ١١٠٠ سنة. فقد ذكر العلامة الشيخ الصدوق ابن بابويه، محمد بن علي، تاريخ الوفاة: ٣٨١ هـجري، في كتابه الشهير كمال الدين و تمام النعمة، جـ ٢، صفحة: ٥٧٨ إلى

٦٣٨، الناشر: الإسلامية، مكان الطبع: طهران، تاريخ الطبع: ١٣٩٥ هجري، الطبعة الثانية.

وقد ذكر العلامة المجلسي أيضًا ذلك في كتابه الشهير بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار (ط- بيروت) الجزء ٧٥ صفحات ٣٨٣ إلى ٤٤٤. واسمه الكامل الشيخ محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، توفي سنة ١١١٠ هجري، وناشر الكتاب: دار إحياء التراث العربي، مكان الطبع: بيروت، تاريخ الطبع: ١٤٠٣ هجري، الطبعة الثانية.

وأيضًا كان اسم بوذا معروفًا في زمان الإمام علي عليه السلام باسم (بوداسكفت) كما في الرواية التالية:-

ذكر في بصائر الدرجات: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ عَنِ الرَّبِيعِ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بَشِيرٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي الْمِقْدَامِ عَنْ عَفِيفِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: كُنَّا فِي أَصْحَابِ الْبُرُودِ وَ نَحْنُ شَيَّانٌ فَرَجَعَ إِلَيْنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ بَعْضُنَا بوداسكفت قَدْ جَاءَكُمْ فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام وَيْحَكَ إِنَّ أَعْلَاهُ عِلْمٌ وَ أَسْفَلَهُ طَعَامٌ .

بيان: بوداسف معرّب السنسكريتيّة بمعنى المستنير، ويقال بوذاسف أيضًا. ويظهر من الحديث الآنف الذكر أنه في زمان أمير المؤمنين علي عليه السلام كانوا يلفظونه (بوداسكفت). وكان عليه السلام ملمًّا بالتاريخ القديم، فحينما قال عليه السلام: (ويحك إن أعلاه علم وأسفله طعام) لم يكن يعني نفسه فحسب بل كان يعني بوذا أيضًا.

وقال الخوارزمي في كتابه مفاتيح العلوم في أسامي أرباب الملل والنحل المختلفة أن بوذاسف في البوذية هو اللقب الذي يطلق على أيّ شخص يشعر برغبة كبيرة لتحقيق البوذويّة لصالح جميع الكائنات.

وكل من يقرأ هذه الكتب يتيقّن بأن بوذا كان في مصافّ الأنبياء والرسل. أمّا لماذا تغيّر اسمه من بوذا إلى بوداسكفت، ولماذا الكتابات الفارسيّة أقرب إلى عقيدة بوذا منها إلى كتابات سيلان، فإني أعتقد أنه متزامنًا مع نشر البوذيّة في سيلان كانت البوذية أيضًا تنتشر في كشمير وتركستان وأفغانسان وبنجاب، حيث أرسل الملك آشوكا بعثات بوذيّة في القرن الخامس قبل الميلاد. وفي تركستان مثلا يضيفون إلى يومنا هذا (أوف) إلى كل إسم. فتحوّل إسم بوذا إلى بوداسكف. وأيضًا إن الكتابة كانت قد ازدهرت في الإمبراطورية الفارسية على خلاف الهند، ولذلك دوّنت البوذية في هذه الإمبراطورية الفارسيّة قبل أن تدوّن في سيلان في القرن الأول قبل الميلاد.

وبالإضافة إلى الشيخ الصدوق والشيخ المجلسي، فقد كتب أيضًا دانيال جيماريه كتابا سمّاه (كتاب بلوهر وبوذاسف)، ويبدو أنه حقّق من مخطوطة عربيّة من كتابة رجل من الهند. ففي نهاية الكتاب فصل مقدمة المحقّق بالفرنسية صفحة ٢١٣: قد ختم هذا الكتاب تمّ كتاب بلوهر وبوذاسف. وفي صفحة ٢١٦: كتاب بلوهر وبوذاسف في المواعظ والأمثال الحكمية على ذمّة الحاج الشيخ نور الدين ابن جيواخان تاجر الكتب ومالك المطبع الحيدري والصفدي. وبعدها في الهامش ذكر بيت شعري لابن سينا: هبطت إليك من المحل الأرفع. وقد طبع المخطوط باللغة العربية لأول مرّة في بمبي في الهند في عام ١٣٠٦ هجري. وقد طبع دانيال جيماريه كتابه بالفرنسية في عام ١٨٨٨-١٨٨٩. وقد ترجمه نور الدين إلى اللغة الغوجراتية في عام ١٣٠٨ هجري المعادل عام ١٨٩٠-١٨٩١ ميلادي.

إن نصّ العلامة المجلسي يختلف عن نصّ الشيخ الصدوق ابن بابويه بعض الشيء، إلا أن نصّ دانيال جيماريه يختلف أكثر من ذلك. لذلك حاولت في الهوامش أن أذكر

اختلاف نصّ المجلسي عن ابن بابويه. وأيضًا ذكرت في الكتاب بعض المفارقات المهمّة (الإضافات) لنصّ دانيال بين قوسين حدّ المستطاع.

هناك حوالي ١٢٤٠٠٠ نبيّ أكثرهم ظهروا في بني إسرائيل، ولم يذكر القرآن الكريم إلا بعض الأنبياء والرسل، ولا شكّ أن بعضهم ظهروا في أماكن أخرى من العالم.

أما من الناحية الأخرى فهناك رواية هندية تقليديّة، ترجع جذورها إلى الكتب الأولى التي كتبت عن بوذا في سيلان بعد حوالي خمسة قرون من بوذا، تقول بأنه كان لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ولا حتى بالروح، رغم أنه كان يؤمن بتناسخ الأرواح، حسب ما ذكره الأستاذ عبد العزيز محمد الزكي، بأنه كان من نتائج بعثة سيلان أن دوّنت تعاليم بوذا فيما بعد في سيلان في عهد الملك فاتا جاماني حاكم سيلان في نهاية القرن الأول قبل الميلاد [1]. ولم يكن للهند فضل في تدوين تعاليم بوذا، لأن الكتابة لم تكن منتشرة بين الهنود في عهد بوذا، وكان الفضل في تدوينها لسيلان، فإن الفضل لسيلان كذلك في انتشار البوذيّة في ربوع الشرق الأقصى [2].

ولكن لا بدّ لي أن أذكر هذه الرواية للقراء لأن هذه الرواية، رغم التحريفات والتزويرات، هي في متناول العالم المتحضّر اليوم، السائدة بين مختلف الشعوب، وعلى الأخصّ المعتقدين بالبوذيّة مع الأسف الشديد، نفس الآفة التي تسرّبت إلى الأديان الأخرى وتعشعشت في ثناياها، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم. فلا بد من الظلام حتى يعرف النور ! وأيضًا لا بد لي أن أذكر التفاصيل الشخصيّة عن حياة بوذا وحياة أسرته وبيئته ومجتمعه التي غابت عن الرواية الفارسيّة الإسلاميّة.

[1] قصة بوذا صفحة ١٧٥.

[2] المصدر السابق صفحة ١٧٨ .

وتقول الرواية الهنديّة التقليديّة أيضًا بأن بوذا لم يكن من الأنبياء ولم يكن متّصلا بالوحي الإلهي، وإن ديانته التي وضعها هي وضعيّة وليست منزلة وأرضيّة وليست سماويّة ولا صلة لها بالسماء. وهم يعتبرون هذا النوع من العظماء والحكماء الذين ظهروا في شرق آسيا كبوذا أو كونفوشيوس أو غيره، الذين خلّفوا ديانات يدين بها الملايين من البشر إلى يومنا هذا، على أنهم أنبياء أرضيّون خلّفوا رسالة أرضيّة وضعيّة ألهمت لهم من دواخل ذواتهم، واستمدّت قوّتها من موروثات شعبيّة عريقة في حضاراتهم، كالعقائد والسلوكيّات التي كانت عند بوذا من تناسخ الأرواح والتنسّك وحتى الشحاذة وغيرها.

وهم يعتقدون بأن دياناتهم خلقيّة محضة هذّبت أخلاق الشعوب الكثيرة، مثل سيلان وكمبوديا ونيبال والتبت وتايلند والصين واليابان وغيرها، ولا زالت تهذّبهم. ولا ننسى ما قاله رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم: (إنما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق)، بمعنى أن هدف رسالته هو إتمام مكارم الأخلاق، أو ما وصف الله نبيّه محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن العظيم بقوله تعالى [1] : { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ }.

وإنني لأرى أن ذكر هؤلاء القدوات العملاقة من شعوب وحضارات مختلفة سوف يكون لها أثر كبير على أخلاق الكثير من البشر، إضافة إلى ما عندنا من موروث أخلاقيّ غنيّ وقدوات عظيمة من الأنبياء والأئمة الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين. فالموروث الأخلاقيّ يخصّ البشر كله ولا يختصّ بشعب من الشعوب أو أمّة من الأمم. سيّما أن شخصية بوذا ألهبت حماس الجميع حتى علمائنا الكبار من أمثال الشيخ الصدوق ابن بابويه والشيخ المجلسي والخوارزمي وغيرهم، ناهيك عن علماء الغرب.

[1] سورة القلم الآية ٤.

ولا شكّ أن عقيدة تناسخ الأرواح هي المهيمنة على البوذيين إلى يومنا هذا لأنها تأثّرت كثيرًا بالعقيدة الهندوسيّة السائدة في الهند، فإن حياة البوذيين في أحضان مجتمع يعتنق غالبيّته الديانات الفيدية والبراهمانية دعا إلى تسرّب بعض تعاليم الفيدا والبرهماناس واليوبانيشاد إلى البوذية بالرغم من حرص تلاميذ بوذا في مقاومة تأثّر البوذية بغيرها من الديانات الهندية[1] .

وحسب الرواية الهندية التقليدية فإن تعاليم بوذا تتمحور حول عقيدة تناسخ الأرواح، إذ كان يعتقد بأن غاية الباحث عن (النيرفانا) هو تخليص الروح (أو الكارما كما كان يقول حسب روايتهم) من أدران الجسد التي تسبّب عودتها إلى الحياة بعد كل موت، وما أن تتمّ طهارة الروح، فإن الإنسان لا يرجع للحياة الأرضية من جديد، وإنما يذهب إلى السماء حيث السعادة الحقّة والنعيم المقيم.

والغريب هو التناقض الذي ظهر على معتقدات بوذا، كما يقال، في أنه كان يعتقد بتناسخ الأرواح إلا أنه كان لا يعتقد بوجود الروح في الإنسان، كما قال الكاتب: فلم ينكر بوذا التناسخ كما أنكر الروح تمشّيًا مع منطق إنكار كل ما لم يجد له العقل أصلًا واقعيًّا في الخارج، لأنه لا يستطيع أن ينكر عقيدة شعبيّة لها آثار عميقة في نظم المجتمع، ورسخت في أذهان الجميع مع مرور الزمن، كما أنه لا يستطيع أن ينكر جهاده في التنسّك الذي اتّخذ من التناسخ موجّهًا ورائدًا [2] .

وكما تقول الرواية الهندية التقليدية فإن بوذا كي يشرح كلمة الروح في عقيدة تناسخ الأرواح قال بأن (الكارما) هي التي تبقى وتبعث صورته الجديدة. بل هي الصانع الأول

[1] المصدر السابق صفحات ١٦١-١٦٢.

[2] المصدر السابق صفحات ٦٥-٦٦.

لشتى صور الكائنات الحية. فإن نجح الإنسان في القضاء على الكارما التي ليست إلا تبعة الأفعال امتنع عن الظهور في صورة من الصور الحيّة. ولا يمكن القضاء على الكارما إلا بالامتناع عن الأفعال ذاتها التي سبّبت وجود الكارما، حتى لا يترتّب على هذه الأفعال نتائج تكوّن كارما جديدة تنتقل من جسم لآخر [1] .

والغريب أيضًا، كما يقال، إنكاره لله وللمعاد حيث يقول أن لا سلطة للعناية السماويّة على البشر، فإن السماء لا تحاسب الإنسان فتعاقبه إذا أذنب وتحسن إليه إذا عمل خيرًا. إنما سلوكه وسلوكه فقط هو الذي يعاقبه ويثيبه، وأن نتائج أفعاله هي التي تحدّد نوع حياته القادمة [2] .

وبقوله أيضًا، كما يقال، بأنه وصل للاستنارة بعد أن عرف طريق التخلّص من الشهوة بالقضاء على الكارما الذي أدّى القضاء عليها إلى الامتناع عن الأفعال الخيّرة والشريرة جميعًا. وبفناء الكارما يبلغ الإنسان (النيرفانا)، حيث لا آلام ولا أفراح، وحيث الهدوء التام والسكينة المطلقة، وهي نهاية الرحلة الإنسانية ونهاية مطاف كل طالب للخلاص من الآلام ، لأنه لن يولد بعد هذه الحياة ، ولأنه بلغ آخر مراحل الحياة حيث لا شيء على الإطلاق، وحيث العدم الذي ليس بعده وجود [3] .

ويقال عنه أيضًا (حسب الرواية الهندية التقليدية) قوله أن الناسك إذا تأمّل موضوع النفس فلا يجد شيئًا ثابتًا في الفرد، فالحواس متغيّرة متقلّبة، والانفعالات تتبدّل من حين لآخر، والمشاعر لا تثبت على حال، حتى الأفكار تتطّور وتتغيّر، فليس هناك

---

[1] المصدر السابق صفحة ٦٧.

[2] المصدر السابق صفحة ٦٧.

[3] المصدر السابق صفحة ٦٨.

نفس أو أيّ شيء ثابت في كيان الإنسان، فيثق في أنه لا يوجد حقًا روح أو نفس. ثم يتأمّل في سبب تعلّق الفرد بالعالم الأرضيّ أو بالعالم الآخر، فيجد أن تعلّقنا بالحياة الأرضيّة يرجع إلى قوّة الشهوات وسطوة الرغبات، وأن ميلنا للحياة في عالم آخر بعد الموت يقوّيه الاعتقاد بوجود الروح أو النفس أو ما شابه ذلك [1] .

وأنا شخصيًا أعتقد بأن كل هذه العقائد الغريبة بدع ركّبها المنحرفون على البوذية. فقد بدأ الانحراف فورًا بعد موت بوذا عندما وقف سوبهادا - العضو المسنّ الذي عيّن في الجماعة بعد أن تقدّم في السنّ - ولام الأعضاء الذين أخذوا يبكون حزنًا على موت بوذا وطلب منهم عدم الاستمرار في البكاء، وأخبرهم بأن موت بوذا يدعو إلى الفرح لا إلى الحزن، وكان يجب أن يسعدهم لأنه خلّصهم من صرامة تعليماته، فلقد كان يفرض عليهم سلوكًا خاصًا ويلزمهم باتّباعه ويقيّدهم بقانونه ويضيق عليهم من حين لآخر بأقواله، إن هذا الفعل يليق بالأخ، وهذا الفعل لا يليق به، أما الآن بعد موت بوذا فلا يوجد من يأمر، وأن الجميع أحرار ليس عليهم من سلطان، لهم أن يفعلوا ما يشاؤون دون رقيب أو حسيب [2] .

وبعد مضيّ حوالي قرن من الزمان ظهرت جماعة فيشالي ... فالتفّ حولهم ما يقرب من عشرة آلاف عضو، وكوّنوا فرقة جديدة سمّيت (ماهانجهيكا)، عقدت اجتماعًا آخر تليت فيه (فينابا بيتاكا) و (سوتا بيتاكا)[3] ، بعد أن حرّفتا حسب أهوائهم، وغيّرتا

---

[1] المصدر السابق صفحة ١٣٦.

[2] المصدر السابق صفحة ١٥٤ - ١٥٥.

[3] كتابان جاء بهما بوذا، أحدهما في العقائد والثاني في السلوك، أو ما نسمّيه الشريعة والأحكام، ولكن ترى بعينيك كيف دبّت فيهما آفة الانحراف والتزوير والتحريف، على مدى القرون، وعلى

حتى تتمشّيا مع ما ادّعته من ادعاءات ... ولكنه يدلّ على أن الديانات الفيدية والبراهمانية بدأت في تسرّبها إلى التعاليم البوذية، وأنها نجحت في غرس بذور التفرقة بين أعضائها ... ولقد كان هذا الانقسام بداية انقسامات أخرى أتت بعدها وأخذت تكثر مع مرور الأيام، وشجّع عليها الديانات الأخرى المحلّية التي أخذت تدسّ تعاليمها في ثنايا البوذية حتى تضاربت فيها الآراء وتعارضت، وأصبح بوذا شخصية إلهيّة وهو الذي لم يقبل أن يعترف بوجود إله، فلا نعجب إذا بلغ عدد الفرق البوذية في عهد الملك آشوكا ثمانية عشرة فرقة [1] .

وظهرت نظريّات كثيرة تعارض تعاليم بوذا، وكان سببها أن الملك آشوكا - بعد حوالي قرن من موت بوذا - كان قد أعجب بتعاليم بوذا ولم يكتف بأن يعتنقها بل رأى أنه من الواجب عليه أن يدعو لها ويجعل منها الدين الرسمي للدولة، فأخذ يحضّ مواطنيه على الإيمان بها.

فأقبل الهنود على البوذية حتى انتشرت بينهم انتشارًا واسعًا، فكان عهده عصر البوذية الذهبي في الهند. ولكن هذه الدعوة العامة للدخول في البوذية لم تخل من ضرر، فلقد كان من بين من آمن بها كثيرون يجهلون جهلًا تامًا كل ما يتعلق بأصولها، وادّعى بعضهم بأنهم علماء مطّلعون على أسرارها طمعًا في التقرب لـ آشوكا أو كسب الحظوة عنده ونيل العطايا منه. فانتشر أدعياء العلم بالبوذية في البلاد ما دعا إلى ظهور كثير من التعاليم التي هي أبعد ما تكون عن البوذية ما عرضها للشك والريبة. هذا فضلًا عن أن كثيرًا من

الأخصّ القرون الخمسة الأولى، بعد بوذا، في أحضان بيئة وثنيّة خرافيّة، قبل أن تدوّن كتابات هذا الدين في فارس وسيلان.

[1] المصدر السابق ١٧١ - ١٧٢.

الأدعياء كانوا يعيشون في بذخ ورفاهية، ويدلون بأقوال على أنها أقوال بوذا بينما بوذا منها بريئ، ويطالبون الناس باتباع السلوك الفاضل بينما هم يسيرون حسب هواهم وسلوكهم أبعد ما يكون عن طريق بوذا [1] .

وأقام آشوكا كثيرًا من الأعمدة الصخرية التي نقش عليها منشورات دينية تضم أركان الدين البوذي الرئيسية، ووضعت هذه الأعمدة في طول البلاد وعرضها حتى تكون تعاليم بوذا ماثلة أمام الأعين حاضرة في الأذهان على الدوام تحثّ على الإيمان بها في كل وقت ومكان. ولقد أقام آشوكا حوالي ثمانين ألف ضريح لبوذا في جميع أنحاء البلاد وأشاد استراحات لا عدد لها. فلا نعجب إذا ما انتشرت البوذية في الهند وكان لها الحظوة والسلطان في عهد آشوكا لأن عهده كان يتّسم بالتسامح والحرية والازدهار والتقدّم.

وقضت المشيئة الإلهيّة أن تنتشر البوذية في خارج الهند. وسببه أن آشوكا أرسل البعثات التبشيرية خارج الهند إلى جميع البلاد التي من بينها مصر وسوريا. ولعل أهم بعثة أرسلها هي البعثة التي أرسلها إلى سيلان وعلى رأسها ابنه ماهندا، لأنها عملت على نشر البوذية في سيلان، ومنها انتقلت إلى بورما وسيام وكمبوديا، وكذلك إلى جاوة، التي انتقلت منها البوذية إلى جزيرتي بالي وسومطره. كما كان من نتائج بعثة سيلان أن دوّنت تعاليم بوذا فيما بعد في سيلان في عهد الملك فاتا جاماني حاكم سيلان في نهاية القرن الأول قبل الميلاد.

ولم يرسل آشوكا بعثات بوذيّة إلى البلاد التي تقع في غرب الهند وجنوبها فقط وإنما أرسل بعثات إلى البلاد التي تقع في شمال الهند كذلك. فوصلت بعثات إلى كشمير والتبت. ومن كشمير انتقلت البوذية إلى التركستان، ومن التبت دخلت البوذية بلاد الصين ومنغوليا، ومن الصين وصلت إلى كوريا ومن كوريا إلى اليابان.

---

[1] المصدر السابق صفحة ١٧٢.

وما أن خرجت البوذيّة من الهند واعتنقها كثير من سكان أقطار الشرق الأقصى، حتى أخذت تتسرّب إليها تعاليم هذه الأقطار من ناحية، وتتأثّر بديانات الهند المحلّية من ناحية أخرى، مما أدّى إلى ظهور عشرات المذاهب البوذية أشهرها ثماني عشر مذهبًا[1] .

وبينما أخذت الخلافات تشتدّ بين الفرق البوذية مع مرور الزمن، كانت الديانات الفيدية والبرهمانية آخذة في التطوّر، حتى أصبح لها كهانة قوية أسّست الديانة الهندوكية، التي عملت على القضاء على البوذية في الهند، بأن صهرت التعاليم البوذية في بوتقة الهندوكية وجعلت من بوذا إلهًا من بين الآلهة الهندوكية. فأصبح لا يميّز عامة الشعب بين البوذية والهندوكية، فأقبل الناس على الهندوكية لأنها دين الدولة الرسمي التي في يدها مقاليد القوة والسلطان، ولأنها تؤمن بإله يعبد وتعتقد بوجود روح للإنسان. فلم يأت القرن السابع الميلادي حتى فقدت البوذية مركزها الممتاز وزعامتها الدينية في الهند، وأصبح للهندوكية السلطة الأولى، إذ لم يسمح كهنة الهندوكية بأن يكون للبوذية أي نوع من النفوذ في البلاد.

وإذا لم يكن للهند فضل في تدوين تعاليم بوذا لأن الكتابة لم تكن منتشرة بين الهنود في عهد بوذا وكان الفضل في تدوينها لسيلان، فإن الفضل لسيلان كذلك في انتشار البوذية في ربوع الشرق الأقصى، إذ بينما كان نجم البوذية آخذ في الأفول في الهند كانت البوذية سريعة الانتشار في أقطار جنوب شرق آسيا وشرقها دون أن يعوقها عائق، بل كانت تمتصّ جميع الديانات المحلّية وتظهرها في قالب البوذيّة، بخلاف الحال في الهند الموطن الأصلي الذي نبعت منه البوذية.

[1] المصدر السابق صفحة ١٧٥ - ١٧٦.

وهكذا تعرّض البوذيون في الهند بعد أن قلّ نجم البوذية إلى كثير من الاضطهاد، وإن لم يقف البوذيّون مكتوفي الأيدي، وكثيرًا ما كانوا يدخلون في نقاش حادّ مع الهندوكيّين، إلا أنهم لم يكونوا يشعرون بالاستقرار والاطمئنان على حريّتهم الدينيّة، إذ كان يجبر الكثير منهم على الإيمان بالهندوكيّة. وكان أكثر ما يضايق أتباع بوذا من الديانة الهندوكيّة ما تعتنقه من تفرقة طبقيّة، لأنها كانت تنادي بنظام الطوائف، الذي يقسّم الهنود إلى أربعة أقسام: البراهمة والكشاتريا والفيسيا والسودرا، ولذلك كان ينفر البوذيّون من الديانة الهندوكيّة، لأن البوذيّة لا تفرّق بين شخص وآخر إلا بالجهد الصالح الذي يبذله في سبيل بلوغ النيرفانا.

ولما دخل الإسلام الهند هدمت الحروب ما تبقّى للبوذيّين من معابد واستراحات وأضرحة، فتفرّق شملهم وقضي على وجودهم كهيئة دينيّة كبرى في الهند. ومع ذلك كان من أوائل الهنود الذين أقبلوا على الإسلام هم البوذيّون لأنهم وجدوا في الإسلام تسامحًا ومساواة وإخاء لجميع البشر، وعرفوا أنه لا يفرّق بين شخص وآخر إلا بالتقوى [1] .

ورجوعًا إلى الرواية الإسلاميّة، فإنّ كلّ منصف إذا قرأ محاورات بوذا في كتاب ابن بابويه وكتاب المجلسي يقرّ بنبوّة بوذا كما في التالي:-

فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْمَلِكِ أَ رَأَيْتَ هَذَا الَّذِي تَدْعُونِي إِلَيْهِ أَيُّهَا الْحَكِيمُ أَ هُوَ شَيْءٌ نَظَرَ النَّاسُ فِيهِ بِعُقُولِهِمْ وَ أَلْبَابِهِمْ حَتَّى اخْتَارُوهُ عَلَى مَا سِوَاهُ لِأَنْفُسِهِمْ أَمْ دَعَاهُمُ اللَّهُ إِلَيْهِ فَأَجَابُوا.

---

[1] المصدر السابق صفحة ١٧٨ - ١٧٩.

قَالَ الْحَكِيمُ عَلَا هَذَا الْأَمْرُ وَ لَطُفَ عَنْ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ أَوْ بِرَأْيِهِمْ دَبَّرُوهُ وَ لَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ لَدعَوْا إِلَى عَمَلِهَا وَ زِينَتِهَا وَ حِفْظِهَا وَ دَعَتِهَا وَ نَعِيمِهَا وَ لَذَّتِهَا وَ لَهْوِهَا وَ لَعِبِهَا وَ شَهَوَاتِهَا وَ لكِنَّهُ أَمْرٌ غَرِيبٌ وَ دَعْوَةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ سَاطِعَةٌ وَ هُدًى مُسْتَقِيمٌ نَاقِضٌ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا أَعْمَالَهُمْ مُخَالِفٌ لَهُمْ عَائِبٌ عَلَيْهِمْ وَ طَاعِنٌ نَاقِلٌ لَهُمْ عَنْ أَهْوَائِهِمْ دَاعٍ لَهُمْ إِلَى طَاعَةِ رَبِّهِمْ وَ إِنَّ ذَلِكَ لَبَيِّنٌ لِمَنْ تَنَبَّهَ مَكْتُومٌ عِنْدَهُ عَنْ غَيْرِ أَهْلِهِ حَتَّى يُظْهِرَ اللَّهُ الْحَقَّ بَعْدَ خَفَائِهِ وَ يَجْعَلَ كَلِمَتَهُ الْعُلْيَا وَ كَلِمَةَ الَّذِينَ جَهِلُوا السُّفْلَى ...

ثُمَّ قَالَ الْحَكِيمُ إِنَّهُ لَيْسَ يَجْرِي عَلَى لِسَانِ أَحَدٍ مِنْهُمْ مِنَ الدِّينِ وَ التَّزْهِيدِ وَ الدُّعَاءِ إِلَى الْآخِرَةِ إِلَّا وَ قَدْ أَخَذَ ذَلِكَ عَنْ أَصْلِ الْحَقِ الَّذِي عَنْهُ أَخَذْنَا وَ لكِنَّهُ فَرَّقَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُمْ أَحْدَاثُهُمُ الَّتِي أَحْدَثُوا وَ ابْتِغَاؤُهُمُ الدُّنْيَا وَ إِخْلَادُهُمْ إِلَيْهَا وَ ذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الدَّعْوَةَ لَمْ تَزَلْ تَأْتِي وَ تَظْهَرُ فِي الْأَرْضِ مَعَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَ رُسُلِهِ ص فِي الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ عَلَى أَلْسِنَةٍ مُخْتَلِفَةٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَ كَانَ أَهْلُ دَعْوَةِ الْحَقِّ أَمْرُهُمْ مُسْتَقِيمٌ وَ طَرِيقُهُمْ وَاضِحٌ وَ دَعْوَتُهُمْ بَيِّنَةٌ لَا فُرْقَةَ بَيْنَهُمْ وَ لَا اخْتِلَافَ فَكَانَتِ الرُّسُلُ ع إِذَا بَلَّغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَ احْتَجُّوا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ بِحُجَّتِهِ وَ إِقَامَةِ مَعَالِمِ الدِّينِ وَ أَحْكَامِهِ قَبَضَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ إِلَيْهِ عِنْدَ انْقِضَاءِ آجَالِهِمْ وَ مُنْتَهَى مُدَّتِهِمْ وَ مَكَثَتِ الْأُمَّةُ مِنَ الْأُمَمِ بَعْدَ نَبِيِّهَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِهَا لَا تَغَيُّرٌ وَ لَا تَبَدُّلٌ ثُمَّ صَارَ النَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ يُحْدِثُونَ الْأَحْدَاثَ وَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ وَ يُضَيِّعُونَ الْعِلْمَ فَكَانَ الْعَالِمُ الْبَالِغُ الْمُسْتَبْصِرُ مِنْهُمْ يُخْفِي شَخْصَهُ وَ لَا يُظْهِرُ عِلْمَهُ فَيَعْرِفُونَهُ بِاسْمِهِ وَ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى مَكَانِهِ وَ لَا يَبْقَى مِنْهُمْ إِلَّا الْخَسِيسُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَسْتَخِفُّ بِهِ أَهْلُ الْجَهْلِ وَ الْبَاطِلِ فَيَخْمُلُ الْعِلْمُ وَ يَظْهَرُ الْجَهْلُ وَ يَتَنَاسَلُ الْقُرُونُ فَلَا يَعْرِفُونَ إِلَّا الْجَهْلَ وَ الْبَاطِلَ وَ يَزْدَادُ الْجُهَّالُ اسْتِعْلَاءً وَ كَثْرَةً وَ الْعُلَمَاءُ خُمُولًا وَ قِلَّةً فَحَوَّلُوا مَعَالِمَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى عَنْ وُجُوهِهَا وَ تَرَكُوا قَصْدَ سَبِيلِهَا ...

فَالْحِكْمَةُ أَشْرَفُ وَ أَرْفَعُ وَ أَعْظَمُ مِمَّا وَصَفْنَاهَا بِهِ كُلِّهِ هِيَ مِفْتَاحُ بَابِ كُلِّ خَيْرٍ يُرْتَجَى وَ النَّجَاةُ مِنْ كُلِّ شَرٍّ يُتَّقَى وَ هِيَ شَرَابُ الْحَيَاةِ الَّتِي مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَمُتْ أَبَداً وَ الشِّفَاءُ لِلسَّقَمِ الَّذِي مَنِ اسْتَشْفَى بِهِ لَمْ يَسْقُمْ أَبَداً وَ الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي مَنْ سَلَكَهُ لَمْ يَضِلَّ أَبَداً هِيَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ الَّذِي لَا يُخْلِقُهُ طُولُ التَّكْرَارِ مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ انْجَلَى عَنْهُ الْعَمَى وَ مَنِ اعْتَصَمَ بِهِ فَازَ وَ اهْتَدَى وَ أَخَذَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ...

من دان الناس بما إن ديّن بمثله هلك، فذلك المسخط لله المخالف لما يحبّ، ومن دانهم بما إن ديّن بمثله صلح، فذلك المطيع لله الموافق لما يحبّ المجتنب لسخطه، ولا تستقبحنّ الحسن وإن كان في الفجّار، ولا تستحسننّ القبيح وإن كان في الأبرار ...

الحسنات صدق النيّة والقول الطيّب والعمل الصالح ... وصدق النيّة هو الاقتصاد في الهمّة وهو التذكّر لزوال الدنيا وانقطاع أمرها والكفّ عن الأمور التي فيها النقمة والتّبعة في الآخرة ...

والحرص هو الإخلاد الى الدنيا والطماح الى الأمور التي فيها الفساد وثمرتها عقوبة الآخرة ...

الصدق هو الطّريقة في الدين بأن لا يخادع المرء نفسه ولا يكذبها ...

الحرص أقلّ رضا ... والرياء أشدّ خديعة وأخفى اكتتامًا وأكذب ...

أبلغ مكائد الشيطان في هلاك الناس تعميته عليهم البرّ والإثم والثواب والعقاب وعواقب الأمور في ارتكاب الشهوات ...

أبعد شيء غاية عين الحريص التي لا تشبع من الدنيا، وأخبث الأمور عاقبة التماس رضا الناس في سخط الربّ عزّ وجلّ ...

أقرّ شيء في الدنيا للعين الولد الأديب والزوجة الموافقة المؤاتية المعينة على أمر الآخرة ...

وهذه موعظة من مواعظ بوذا:-

وَ قَالَ لَهُمْ اسْمَعُوا إِلَيَّ بِأَسْمَاعِكُمْ وَ فَرِّغُوا إِلَيَّ قُلُوبَكُمْ لِاسْتِمَاعِ حِكْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ الَّتِي هِيَ نُورُ الْأَنْفُسِ وَ ثِقُوا بِالْعِلْمِ الَّذِي هُوَ الدَّلِيلُ عَلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ وَ أَيْقِظُوا عُقُولَكُمْ وَ افْهَمُوا الْفَصْلَ الَّذِي بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ وَ الضَّلَالِ وَ الْهُدَى وَ اعْلَمُوا أَنَّ هَذَا هُوَ دَيْنُ الْحَقِّ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَ الرُّسُلِ ع وَ الْقُرُونِ الْأُولَى فَخَصَّنَا اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِهِ فِي هَذَا الْقَرْنِ بِرَحْمَتِهِ بِنَا وَ رَأْفَتِهِ وَ رَحْمَتِهِ وَ تَحَنُّنِهِ عَلَيْنَا وَ فِيهِ خَلَاصٌ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنَالُ الْإِنْسَانُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَ لَا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ إِلَّا بِالْإِيمَانِ وَ عَمَلِ الْخَيْرِ فَاجْتَهِدُوا فِيهِ لِتُدْرِكُوا بِهِ الرَّاحَةَ الدَّائِمَةَ وَ الْحَيَاةَ الَّتِي لَا تَنْقَطِعُ أَبَداً وَ مَنْ آمَنَ مِنْكُمْ بِالدِّينِ فَلَا يَكُونَنَّ إِيمَانُهُ طَمَعاً فِي الْحَيَاةِ وَ رَجَاءً لِمُلْكِ الْأَرْضِ وَ طَلَبِ مَوَاهِبِ الدُّنْيَا وَ لْيَكُنْ إِيمَانُكُمْ بِالدِّينِ طَمَعاً فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَ رَجَاءً لِلْخَلَاصِ وَ طَلَبِ النَّجَاةِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَ بُلُوغِ الرَّاحَةِ وَ الْفَرَجِ فِي الْآخِرَةِ فَإِنَّ مُلْكَ الْأَرْضِ وَ سُلْطَانَهَا زَائِلٌ وَ لَذَّاتِهَا مُنْقَطِعَةٌ فَمَنِ اغْتَرَّ بِهَا هَلَكَ وَ افْتَضَحَ لَوْ قَدْ وَقَفَ عَلَى دَيَّانِ الدِّينِ الَّذِي لَا يَدِينُ إِلَّا بِالْحَقِّ فَإِنَّ الْمَوْتَ مَقْرُونٌ مَعَ أَجْسَادِكُمْ وَ هُوَ يَتَرَاصَدُ أَرْوَاحَكُمْ أَنْ يُكَبْكِبَهَا مَعَ الْأَجْسَادِ.

وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ كَمَا أَنَّ الطَّيْرَ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْحَيَاةِ وَ النَّجَاةُ مِنَ الْأَعْدَاءِ مِنَ الْيَوْمِ إِلَى غَدٍ إِلَّا بِقُوَّةٍ مِنَ الْبَصَرِ وَ الْجَنَاحَيْنِ وَ الرِّجْلَيْنِ فَكَذَلِكَ الْإِنْسَانُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْحَيَاةِ وَ النَّجَاةِ إِلَّا بِالْعَمَلِ وَ الْإِيمَانِ وَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَ أَفْعَالِ الْخَيْرِ الْكَامِلَةِ فَتَفَكَّرْ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنْتَ وَ الْأَشْرَافُ فِيمَا تَسْمَعُونَ وَ افْهَمُوا وَ اعْتَبِرُوا وَ اعْبُرُوا الْبَحْرَ مَا دَامَتِ السَّفِينَةُ وَ اقْطَعُوا الْمَفَازَةَ مَا دَامَ الدَّلِيلُ وَ الظَّهْرُ وَ الزَّادُ وَ اسْلُكُوا سَبِيلَكُمْ مَا دَامَ الْمِصْبَاحُ وَ أَكْثِرُوا

مِنْ كُنُوزِ الْبِرِّ مَعَ النُّسَّاكِ وَ شَارِكُوهُمْ فِي الْخَيْرِ وَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَ أَصْلِحُوا التَّبَعَ وَ كُونُوا لَهُمْ أَعْوَاناً وَ مُرُوهُمْ بِأَعْمَالِكُمْ لِيَنْزِلُوا مَعَكُمْ مَلكُوتَ النُّورِ وَ اقْبَلُوا النُّورَ وَ احْتَفِظُوا بِفَرَائِضِكُمْ وَ إِيَّاكُمْ أَنْ تَتَوَثَّقُوا إِلَى أَمَانِيِّ الدُّنْيَا وَ شُرْبِ الْخُمُورِ وَ شَهْوَةِ النِّسَاءِ مِنْ كُلِّ ذَمِيمَةٍ وَ قَبِيحَةٍ مُهْلِكَةٍ لِلرُّوحِ وَ الْجَسَدِ وَ اتَّقُوا الْحَمِيَّةَ وَ الْغَضَبَ وَ الْعَدَاوَةَ وَ النَّمِيمَةَ وَ مَا لَمْ تَرْضَوْهُ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْكُمْ فَلَا تَأْتُوهُ إِلَى أَحَدٍ وَ كُونُوا طَاهِرِي الْقُلُوبِ صَادِقِي النِّيَّاتِ لِتَكُونُوا عَلَى الْمِنْهَاجِ إِذَا أَتَاكُمُ الْأَجَلُ.

المؤلف

سيّد تقي سيّد حسين الموسوي

٢٠١٥/١١/٢١

موعظة الناسك إلى الملك

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ الْقَطَّانُ قَالَ [1]

---

[1] اسم الكتاب: كمال الدين وتمام النعمة، للشيخ الصدوق ابن بابويه، محمد بن علي، عليه الرحمة، المتوفّى ٣٨١ هـجري، الناشر: الإسلامية، مكان الطبع: طهران، تاريخ الطبع: ١٣٩٥ هـجري، الطبعة الثانية، الجزء ٢، صفحة: ٥٧٨ إلى ٦٣٨.

وقد ذكر العلّامة المجلسي عليه الرحمة ما قاله الشيخ الصدوق، مع بعض الاختلافات التي أشرنا إليها في هامش الكتاب. وهو الشيخ محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، المتوفّى ١١١٠ هجري، في كتابه الشهير: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار (ط- بيروت) جـ ٧٥ صفحات ٣٨٣ إلى ٤٤٤ الناشر: دار إحياء التراث العربي، مكان الطبع: بيروت، تاريخ الطبع : ١٤٠٣ هجري الطبعة الثانية.

وأيضا في بصائر الدرجات: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ عَنِ الرَّبِيعِ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بَشِيرٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي الْمِقْدَامِ عَنْ عَفِيفِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: كُنَّا فِي أَصْحَابِ الْبُرُودِ وَ نَحْنُ شَيَّانٌ فَرَجَعَ إِلَيْنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ بَعْضُنَا بوداسكفت قَدْ جَاءَكُمْ فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام وَيْحَكَ إِنَّ أَعْلَاهُ عِلْمٌ وَ أَسْفَلَهُ طَعَامٌ .

بيان: الشيان البعيد النظر، و يحتمل أن يكون بالموحدة جمع الشاب، و بوداسكفت لعلّه كان اسم رجل بطين، فأطلقوا عليه صلوات الله عليه لكونه بطينًا، أو كان في بعض اللغات موضوعًا للبطين، و إنما أطلقوا ذلك لظنّهم أنه عليه السلام لا يعرف تلك اللغة. فأجابهم بأن أسفل بطني محلّ الطعام و أعلاه محلّ العلوم و الأحكام، لما مرّ أنه إنما سمّي بطينًا لكونه بطينًا من العلم، و قيل هو اسم من أسماء الكهنة، و قيل اسم ابن ملك أتاه بلوهر فصار نبيًّا.

بيان: بوداسف معرّب السنسكريتيّة بمعنى المستنير، ويقال بوذاسف أيضًا. ويظهر من الحديث الآنف الذكر أنه في زمان أمير المؤمنين علي عليه السلام كانوا يلفظونه (بوداسكفت). وكان عليه السلام ملمًّا بالتاريخ القديم، فحينما قال عليه السلام: (ويحك إن أعلاه علم وأسفله طعام) لم يكن يعني نفسه فحسب بل كان يعني بوذا أيضًا. وقال الخوارزمي في كتابه مفاتيح العلوم في أسامي أرباب الملل والنحل المختلفة أن بوذاسف في البوذية هو اللقب الذي يطلق على أيّ شخص يشعر برغبة كبيرة لتحقيق البوذيّة لصالح جميع الكائنات.

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ السُّكَّرِيُ [1] قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زَكَرِيَّا قَالَ: فَقَدْ بَلَغَنِي [2] أَنَّ مَلِكاً مِنْ مُلُوكِ الْهِنْدِ كَانَ كَثِيرَ الْجُنْدِ، وَاسِعَ الْمَمْلَكَةِ، مَهِيباً فِي أَنْفُسِ النَّاسِ، مُظَفَّراً عَلَى الْأَعْدَاءِ. وَ كَانَ مَعَ ذَلِكَ عَظِيمَ النَّهْمَةِ [3] فِي شَهَوَاتِ الدُّنْيَا وَ لَذَّاتِهَا وَ مَلَاهِيهَا، مُؤْثِراً لِهَوَاهُ مُطِيعاً لَهُ، وَ كَانَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْهِ وَ أَنْصَحُهُمْ لَهُ فِي نَفْسِهِ مَنْ زَيَّنَ لَهُ حَالَهُ وَ حَسَّنَ رَأْيَهُ، وَ أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيْهِ وَ أَغَشُّهُمْ لَهُ فِي نَفْسِهِ مَنْ أَمَرَهُ بِغَيْرِهَا وَ تَرَكَ أَمْرَهُ فِيهَا.

وَ كَانَ قَدْ أَصَابَ الْمُلْكَ فِيهَا فِي حَدَاثَةِ سِنِّهِ وَ عُنْفُوَانِ شَبَابِهِ، وَ كَانَ لَهُ رَأْيٌ أَصِيلٌ وَ لِسَانٌ بَلِيغٌ وَ مَعْرِفَةٌ بِتَدْبِيرِ النَّاسِ وَ ضَبْطِهِمْ، فَعَرَفَ النَّاسُ ذَلِكَ مِنْهُ فَانْقَادُوا لَهُ وَ خَضَعَ لَهُ كُلُّ صَعْبٍ وَ ذَلُولٍ.

وَ اجْتَمَعَ لَهُ سُكْرُ الشَّبَابِ وَ سُكْرُ السُّلْطَانِ وَ الشَّهْوَةُ وَ الْعُجْبُ، ثُمَّ قَوِيَ ذَلِكَ مَا أَصَابَ مِنَ الظَّفَرِ عَلَى مَنْ نَاصَبَهُ، وَ الْقَهْرِ لِأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ، وَ انْقِيَادِ النَّاسِ لَهُ.

ولقد ذكر المجلسي في بحار الأنوار (ط- بيروت) جـ ٤٠ أو جـ ٣٦ صفحة ١٤٣، وذكر ذلك في بصائر الدرجات صفحة ١٥١. أقول التمثال الذي صنعوه لبوذا بطين أيضًا.

ولقد رأيت تماثيل كثيرة لبوذا في تايلند ومليزيا وسنغافورة والهند واليابان وغيرها في أشكال وأوضاع مختلفة.

[1] في بعض النسخ «العسكريّ» و في بعضها السكوني.

[2] في نسخة المجلسي هذه العبارة: إكمال الدين عن أبي علي بن أحمد بن الحسن القطّان عن الحسن بن علي العسكري قال: حدثنا محمد بن زكريا ...

[3] النهمة- بفتح النون- بلوغ الهمة و الشهوة في الشيء و يقال: له في هذا الأمر نهمة أي شهوة.

فَاسْتَطَالَ عَلَى النَّاسِ وَ احْتَقَرَهُمْ، ثُمَّ ازْدَادَ عُجْباً بِرَأْيِهِ وَ نَفْسِهِ لِمَا مَدَحَهُ النَّاسُ وَ زَيَّنُوا أَمْرَهُ عِنْدَهُ، فَكَانَ لَا هِمَّةَ لَهُ إِلَّا الدُّنْيَا، وَ كَانَتِ الدُّنْيَا لَهُ مُؤَاتِيَةً لَا يُرِيدُ مِنْهَا شَيْئاً إِلَّا نَالَهُ، غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ مِئْنَاثاً [1] لَا يُولَدُ لَهُ ذَكَرٌ.

وَ قَدْ كَانَ الدِّينُ فَشَا فِي أَرْضِهِ قَبْلَ مُلْكِهِ، وَ كَثُرَ أَهْلُهُ، فَزَيَّنَ لَهُ الشَّيْطَانُ عَدَاوَةَ الدِّينِ وَ أَهْلِهِ، وَ أَضَرَّ بِأَهْلِ الدِّينِ فَأَقْصَاهُمْ مَخَافَةً عَلَى مُلْكِهِ، وَ قَرَّبَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، وَ صَنَعَ لَهُمْ أَصْنَاماً مِنْ ذَهَبٍ وَ فِضَّةٍ، وَ فَضَّلَهُمْ وَ شَرَّفَهُمْ وَ سَجَدَ لِأَصْنَامِهِمْ. فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ مِنْهُ سَارَعُوا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَ الِاسْتِخْفَافِ بِأَهْلِ الدِّينِ.

وأضاف دانيال جيماريه [2] : وكانت رأس نساء الملك امرأة ذات جمال وحسب وفضيلة، وإنها رأت فيما يرى النائم كأن فيلًا أبيض يطير من الجو، ثم دنا منها حتى قام على بطنها، فلم يضرّها بشيء، فلما أصبحت حدّثت الملك برؤياها، فدعا الملك معبّري الأحلام فقصّ عليهم رؤياها، فبشّروا الملك بغلام يولد له [3] .

---

[1] المئناث: التي اعتادت أن تلد الإناث، و كذلك الرجل، لأنّهما يستويان في مفعال.
و يقابله المذكار و هي التي تلد الذكور كثيرًا.

[2] كتب كتابه (كتاب بلوهر وبوذاسف)، ويبدو أنه حقّق من مخطوطة عربيّة من كتابة رجل من الهند. ففي نهاية الكتاب فصل مقدّمة المحقّق بالفرنسية صفحة ٢١٣: قد ختم هذا الكتاب تمّ كتاب بلوهر وبوذاسف. وفي صفحة ٢١٦: كتاب بلوهر وبوذاسف في المواعظ والأمثال الحكمية على ذمّة الحاج الشيخ نور الدين ابن جيواخان تاجر الكتب ومالك المطبع الحيدري والصفدي. وبعدها في الهامش ذكر بيت شعري لابن سينا: هبطت إليك من المحل الأرفع. وقد طبع المخطوط باللغة العربية لأول مرّة في بمبي في الهند في عام ١٣٠٦ هجري. طبع كتابه بالفرنسية في عام ١٨٨٨-١٨٨٩. وقد ترجمه نور الدين الى اللغة الغوجراتية في عام ١٣٠٨ هجري المعادل عام ١٨٩٠-١٨٩١ ميلادي.

[3] في كتابه بلوهر وبوذاسف صفحة ١٠.

ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ سَأَلَ يَوْماً عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بِلَادِهِ كَانَتْ لَهُ مِنْهُ مَنْزِلَةٌ حَسَنَةٌ وَ مَكَانَةٌ رَفِيعَةٌ، وَ كَانَ أَرَادَ لِيَسْتَعِينَ [١] بِهِ عَلَى بَعْضِ أُمُورِهِ، وَ يُحِبُّهُ [٢] وَ يُكْرِمُهُ. فَقِيلَ لَهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّهُ قَدْ خَلَعَ الدُّنْيَا وَ خَلَا [٣] مِنْهَا وَ لَحِقَ بِالنُّسَّاكِ. فَثَقُلَ ذَلِكَ عَلَى الْمَلِكِ وَ شَقَّ عَلَيْهِ.

ثُمَّ إِنَّهُ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فَأُتِيَ [٤] بِهِ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ فِي زِيِّ النُّسَّاكِ وَ تَخَشُّعِهِمْ، زَبَرَهُ وَ شَتَمَهُ [٥] وَ قَالَ لَهُ بَيْنَا أَنْتَ مِنْ عَبِيدِي وَ عُيُونِ أَهْلِ مَمْلَكَتِي وَ وَجْهِهِمْ وَ أَشْرَافِهِمْ، إِذْ فَضَحْتَ نَفْسَكَ وَ ضَيَّعْتَ أَهْلَكَ وَ مَالَكَ، وَ اتَّبَعْتَ أَهْلَ الْبِطَالَةِ وَ الْخَسَارَةِ، حَتَّى صِرْتَ ضُحْكَةً وَ مَثَلًا، وَ قَدْ كُنْتُ أَعْدَدْتُكَ لِمُهِمِّ أُمُورِي وَ الِاسْتِعَانَةِ بِكَ عَلَى مَا يَنُوبُنِي [٦] .

فَقَالَ لَهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ لِي عَلَيْكَ حَقٌّ فَلِعَقْلِكَ عَلَيْكَ حَقٌّ، فَاسْتَمِعْ قَوْلِي بِغَيْرِ غَضَبٍ، ثُمَّ اؤْمُرْ بِمَا بَدَا لَكَ بَعْدَ الْفَهْمِ وَ التَّثْبِيتِ، فَإِنَّ الْغَضَبَ عَدُوُّ الْعَقْلِ، وَ لِذَلِكَ يَحُولُ بَيْنَ صَاحِبِهِ وَ بَيْنَ الْفَهْمِ.

قَالَ لَهُ الْمَلِكُ قُلْ مَا بَدَا لَكَ. (فإنّي غير مردّدك عن حاجتك) [٧] .

قَالَ النَّاسِكُ فَإِنِّي أَسْأَلُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَ فِي ذَنْبِي عَلَى نَفْسِي عَتَبْتَ عَلَيَّ أَمْ فِي ذَنْبٍ مِنِّي إِلَيْكَ سَالِفٍ.

---

[١] في نسخة المجلسي هذه العبارة: وكان أراد أن يستعين.

[٢] في نسخة المجلسي ويحبوه.

[٣] في نسخة المجلسي وخلّي منها.

[٤] في نسخة المجلسي فأوتي به.

[٥] زبره أي زجره.

[٦] ناب في الأمر عنه أي قام فيه مقامه.

[٧] بلوهر وبوذاسف صفحة ١١.

قَالَ الْمَلِكُ إِنَّ ذَنْبَكَ إِلَى نَفْسِكَ أَعْظَمُ الذُّنُوبِ عِنْدِي، وَ لَيْسَ كُلَّمَا أَرَادَ رَجُلٌ مِنْ رَعِيَّتِي أَنْ يُهْلِكَ نَفْسَهُ أُخَلِّي بَيْنَهُ وَ بَيْنَ ذَلِكَ، وَ لَكِنِّي أَعُدُّ إِهْلَاكَهُ نَفْسَهُ [1] كَإِهْلَاكِهِ لِغَيْرِهِ مِمَّنْ أَنَا وَلِيُّهُ وَ الْحَاكِمُ عَلَيْهِ وَ لَهُ، فَأَنَا أَحْكُمُ عَلَيْكَ لِنَفْسِكَ وَ آخُذُ لَهَا مِنْكَ إِذْ ضَيَّعْتَ أَنْتَ ذَلِكَ.

فَقَالَ لَهُ النَّاسِكُ أَرَاكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ لَا تَأْخُذُنِي إِلَّا بِحُجَّةٍ، وَ لَا نَفَاذَ لِحُجَّةٍ إِلَّا عِنْدَ قَاضٍ، وَ لَيْسَ عَلَيْكَ مِنَ النَّاسِ قَاضٍ. لكِنْ عِنْدَكَ قُضَاةٌ، وَ أَنْتَ لِأَحْكَامِهِمْ مُنْفِذٌ وَ أَنَا بِبَعْضِهِمْ رَاضٍ وَ مِنْ بَعْضِهِمْ مُشْفِقٌ.

قَالَ الْمَلِكُ وَ مَا أُولَئِكَ الْقُضَاةُ ؟

قَالَ (الناسك): أَمَّا الَّذِي أَرْضَى قَضَاءَهُ فَعَقْلُكَ، وَ أَمَّا الَّذِي أَنَا مُشْفِقٌ مِنْهُ فَهَوَاكَ.

قَالَ الْمَلِكُ قُلْ مَا بَدَا لَكَ وَ اصْدُقْنِي خَبَرَكَ، وَ مَتَى كَانَ هَذَا رَأْيَكَ وَ مَنْ أَغْوَاكَ ؟

قَالَ (الناسك): أَمَّا خَبَرِي فَإِنِّي كُنْتُ سَمِعْتُ كَلِمَةً فِي حَدَاثَةِ سِنِّي وَقَعَتْ فِي قَلْبِي، فَصَارَتْ كَالْحَبَّةِ الْمَزْرُوعَةِ، ثُمَّ لَمْ تَزَلْ تَنْمِي [2] حَتَّى صَارَتْ شَجَرَةً إِلَى مَا تَرَى، وَ ذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ قَدْ سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ: يَحْسَبُ الْجَاهِلُ الْأَمْرَ الَّذِي هُوَ لَا شَيْءَ (الدنيا) شَيْئاً، وَ الْأَمْرَ الَّذِي هُوَ الشَّيْءُ (الآخرة) لَا شَيْءَ، وَ مَنْ لَمْ يَرْفَضِ الْأَمْرَ الَّذِي هُوَ لَا شَيْءَ (الدنيا)، لَمْ يَنَلِ الْأَمْرَ الَّذِي هُوَ الشَّيْءُ (الآخرة)، وَ مَنْ لَمْ يُبْصِرِ الْأَمْرَ الَّذِي هُوَ الشَّيْءُ (الآخرة) لَمْ

[1] في نسخة المجلسي لنفسه.

[2] تنمي أي تزيد وتكثر.

تَطِبْ نَفْسُهُ بِرَفْضِ الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ لَا شَيْءَ (الدنيا)، وَ الشَّيْءُ هُوَ الْآخِرَةُ وَ اللَّاشَيْءُ [1] هُوَ الدُّنْيَا.

فَكَانَ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ عِنْدِي قَرَارٌ، لِأَنِّي وَجَدْتُ الدُّنْيَا حَيَاتَهَا مَوْتاً، وَ غِنَاهَا فَقْراً، وَ فَرَحَهَا تَرَحاً، وَ صِحَّتَهَا سُقْماً، وَ قُوَّتَهَا ضَعْفاً، وَ عِزَّهَا ذُلًّا. وَ كَيْفَ لَا تَكُونُ حَيَاتُهَا مَوْتاً وَ إِنَّمَا يَحْيَا فِيهَا صَاحِبُهَا لِيَمُوتَ، وَ هُوَ مِنَ الْمَوْتِ عَلَى يَقِينٍ وَ مِنَ الْحَيَاةِ عَلَى قُلْعَةٍ [2] !

وَ كَيْفَ لَا يَكُونُ غِنَاؤُهَا فَقْراً وَ لَيْسَ يُصِيبُ أَحَدٌ مِنْهَا شَيْئاً إِلَّا احْتَاجَ لِذَلِكَ الشَّيْءِ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ يُصْلِحُهُ وَ إِلَى أَشْيَاءَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْهَا. وَ مِثْلُ ذَلِكَ أَنَّ الرَّجُلَ رُبَّمَا يَحْتَاجُ إِلَى دَابَّةٍ، فَإِذَا أَصَابَهَا احْتَاجَ إِلَى عَلَفِهَا وَ قَيِّمِهَا وَ مَرْبَطِهَا [3] وَ أَدَوَاتِهَا، ثُمَّ احْتَاجَ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ يُصْلِحُهُ وَ إِلَى أَشْيَاءَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْهَا، فَمَتَى تَنْقَضِي حَاجَةُ مَنْ هُوَ كَذَلِكَ وَ فَاقَتُهُ ؟

وَ كَيْفَ لَا يَكُونُ فَرَحُهَا تَرَحاً وَ هِيَ مَرْصَدَةٌ لِكُلِّ مَنْ أَصَابَ مِنْهَا قُرَّةَ عَيْنٍ[4] ، أَنْ يَرَى مِنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ بِعَيْنِهِ أَضْعَافَهُ مِنَ الْحُزْنِ. إِنْ رَأَى سُرُوراً فِي وَلَدِهِ فَمَا يَنْتَظِرُ مِنَ الْأَحْزَانِ فِي مَوْتِهِ وَ سُقْمِهِ، وَ جَائِحَةٌ [5] إِنْ أَصَابَتْهُ أَعْظَمُ مِنْ سُرُورِهِ بِهِ، وَ إِنْ رَأَى السُّرُورَ فِي مَالٍ فَمَا يَتَخَوَّفُ مِنَ التَّلَفِ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ أَعْظَمُ مِنْ سُرُورِهِ بِالْمَالِ.

---

[1] في نسخة المجلسي ولا شيء.

[2] على قلعة = في رحلة = لا نملكه ولا نثبت فيه.

[3] المربط- بفتح الباء و كسرها- موضع ربط الدوابّ.

[4] في نسخة المجلسي أعين.

[5] جائحة = البليّة.

فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَأَحَقُّ النَّاسِ بِأَنْ لَا يَتَلَبَّسَ [1] بِشَيْءٍ مِنْهَا لَمَنْ [2] عَرَفَ هَذَا مِنْهَا. وَ كَيْفَ لَا يَكُونُ صِحَّتُهَا سُقْماً وَ إِنَّمَا صِحَّتُهَا مِنْ أَخْلَاطِهَا، وَ أَصَحُّ أَخْلَاطِهَا وَ أَقْرَبُهَا مِنَ الْحَيَاةِ الدَّمُ، وَ أَظْهَرُ مَا يَكُونُ الْإِنْسَانُ دَماً أَخْلَقُ مَا يَكُونُ صَاحِبُهُ بِمَوْتِ الْفَجْأَةِ وَ الذُّبْحَةِ وَ الطَّاعُونِ [3] وَ الْآكِلَةِ [4] وَ الْبِرْسَامِ [5] !

وَ كَيْفَ لَا يَكُونُ [6] قُوَّتُهَا ضَعْفاً وَ إِنَّمَا تَجْمَعُ الْقُوَى فِيهَا مَا يَضُرُّهُ وَ يُوبِقُهُ، وَ كَيْفَ لَا يَكُونُ عِزُّهَا ذُلًّا وَ لَمْ يُرَ فِيهَا عِزٌّ قَطُّ إِلَّا أَوْرَثَ أَهْلَهُ ذُلًّا طَوِيلًا، غَيْرَ أَنَّ أَيَّامَ الْعِزِّ قَصِيرَةٌ وَ أَيَّامَ الذُّلِّ طَوِيلَةٌ.

فَأَحَقُّ النَّاسِ بِذَمِّ الدُّنْيَا لَمَنْ [7] بُسِطَتْ لَهُ الدُّنْيَا فَأَصَابَ حَاجَتَهُ مِنْهَا، فَهُوَ يَتَوَقَّعُ كُلَّ يَوْمٍ وَ لَيْلَةٍ وَ سَاعَةٍ وَ طَرْفَةِ عَيْنٍ أَنْ يُعْدَى عَلَى مَالِهِ فَيَحْتَاجَ، وَ عَلَى حَمِيمِهِ فَيُخْتَطَفَ، وَ عَلَى جَمْعِهِ فَيُنْهَبَ، وَ أَنْ يُؤْتَى بُنْيَانُهُ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَيُهْدَمَ، وَ أَنْ يَدِبَّ الْمَوْتُ إِلَى حَشْدِهِ [8] فَيَسْتَأْصِلَ، وَ يُفْجَعَ بِكُلِّ مَا هُوَ بِهِ ضَنِينٌ. (أو تدبّ إلى جسده دبيبًا من حيث لا يدري

---

[1] تلبّس بالأمر = اختلط به.

[2] في نسخة المجلسي من.

[3] الذبحة- بضم الذال و فتح الباء ، و العامّة تسكن الباء-: ورم حارّ في العضلات من جانب الحلقوم التي بها يكون البلع. و قال العلامة: و قد يطلق الذبحة على الاختناق. والشيخ لا يفرّق بينهما وقيل هي ورم اللوزتين (بحر الجواهر).

[4] الآكلة = داء في العضو يأكل بعضه بعضًا، أو ما نسمّيه اليوم السرطان.

[5] البرسام = التهاب في الحجاب الذي بين الكبد والقلب.

[6] في نسخة المجلسي تكون.

[7] في نسخة المجلسي من.

[8] في نسخة المجلسي إلى جسده.

فتسقمه أو تزمنه وتقذره وتخبله أو تصمد لمهجة نفسه فتستأصله وتفجعه بجميع ما هو ضنين به) [١] .

فَأَذُمُّ إِلَيْكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الدُّنْيَا الْآخِذَةَ مَا تُعْطِي، وَ الْمُوَرِّثَةَ بَعْدَ ذَلِكَ التَّبِعَةَ [٢] ، السَّلَّابَةَ [٣] لِمَنْ تَكْسُو [٤] ، وَ الْمُوَرِّثَةَ بَعْدَ ذَلِكَ الْعُرَى [٥] الْمُوَاضِعَةَ [٦] لِمَنْ تَرْفَعُ [٧] ، وَ الْمُوَرِّثَةَ بَعْدَ ذَلِكَ الْجَزَعَ [٨] ، التَّارِكَةَ لِمَنْ يَعْشَقُهَا، وَ الْمُوَرِّثَةَ بَعْدَ ذَلِكَ الشِّقْوَةَ الْمُغْوِيَةَ [٩] لِمَنْ أَطَاعَهَا وَ اغْتَرَّ بِهَا، الْغَدَّارَةَ بِمَنِ ائْتَمَنَهَا وَ رَكَنَ إِلَيْهَا [١] .

---

[١] بلوهر وبوذاسف صفحة ١٣.

[٢] على سبيل المثال، العسل تعرض حلاوتها على الذباب، فتعطي الذباب ثم تأخذ، وتورث الذباب الهلاك. كذلك الدنيا تعطيك المال (أو أيّ شيء آخر من متاعها) ثم تأخذها منك، ولا يقف الأمر عند هذا الحدّ، لأنّ عشقك للمال (أو أيّ شيء آخر من متاع الدنيا) قد أفسد روحك، وفي هذا الفساد عذاب وأيّما عذاب. وقد دعانا الله إلى تطهير هذا الروح، قدر المستطاع، حتى لا نبتلى بعذاب الخلود.

[٣] في نسخة المجلسي السالبة.

[٤] تكسوك الدنيا بملذّاتها ثم تسلبك إيّاها، ولا تكتفي بذلك، بل إن حبّك لملذّاتها يفسد روحك فتهلك.

[٥] العروة ج عرى = ما يوثق به . ما يعوّل عليه.

[٦] المبطلة.

[٧] وإذا رفعتك الدنيا فاستكنت وأخلدت إليها، فإن هذا التعويل على هذه الرفعة الزائفة، يفسد روحك، ويورثك الذلّ والهوان والضّعة والاستكانة في الحياة الآخرة.

[٨] رأيت كثيرين من الناس حين الموت يصيبهم الجزع لترك هذه الدنيا، لأنهم عوّلوا عليها، وهذا غيض من فيض، أو بتعبير آخر هو رأس الجليد، وما يعقبه وما يخفى أدهى وأمرّ.

[٩] أليس شقاء الروح في عالم البرزخ من ميراث حبّ الدنيا وزخرفها وزينتها، وإطاعة أهواء النفس، من حرص وشهوة وجهل وعصبيّات وغضب وحسد ورياء وحبّ الدنيا وغيرها، والاغترار بها ! ثم أنه ربما عالم الدنيا تحوّل له إلى عالم البرزخ ! فربما في عالم الدنيا، قبل البرزخ، تأخذ الدنيا منه ما أعطته،

هِيَ الْمَرْكَبُ الْقَمُوص[٢] ، وَ الصَّاحِبُ الْخَئُونُ، وَ الطَّرِيقُ الزَّلَقُ، وَ الْمَهْبَطُ الْمُهْوِي. هِيَ الْمَكْرُمَةُ الَّتِي لَا تُكْرِمُ أَحَداً إِلَّا أَهَانَتْهُ [٣] ، الْمَحْبُوبَةُ الَّتِي لَا تُحِبُّ أَحَداً[٤] ، الْمَلْزُومَةُ الَّتِي لَا تَلْزَمُ أَحَداً، يُوَفَّى لَهَا وَ تَغْدِرُ، وَ يُصْدَقُ لَهَا وَ تَكْذِبُ، وَ يُنْجَزُ لَهَا وَ تُخْلِفُ. هِيَ الْمُعْوَجَّةُ لِمَنِ اسْتَقَامَ بِهَا، الْمُتَلَاعِبَةُ بِمَنِ اسْتَمْكَنَتْ [٥] مِنْهُ.

بَيْنَا هِيَ تُطْعِمُهُ إِذْ حَوَّلَتْهُ مَأْكُولًا، وَ بَيْنَا هِيَ تَخْدُمُهُ إِذْ جَعَلَتْهُ خَادِماً، وَ بَيْنَا هِيَ تُضْحِكُهُ إِذْ ضَحِكَتْ مِنْهُ [٦] ، وَ بَيْنَا هِيَ تَشْمَتُهُ إِذْ شَمِتَتْ مِنْهُ[٧] ، وَ بَيْنَا هِيَ تَبْكِيهِ إِذْ بَكَتْ عَلَيْهِ، وَ بَيْنَا هِيَ قَدْ بُسِطَتْ يَدُهُ بِالْعَطِيَّةِ إِذْ بَسَطَتْهَا بِالْمَسْأَلَةِ، وَ بَيْنَا هُوَ فِيهَا عَزِيزٌ إِذْ أَذَلَّتْهُ، وَ بَيْنَا هُوَ فِيهَا مُكْرَمٌ إِذْ أَهَانَتْهُ، وَ بَيْنَا هُوَ فِيهَا مُعَظَّمٌ إِذْ صَارَ مَحْقُوراً، وَ بَيْنَا هُوَ رَفِيعٌ إِذْ

وتفضحه وتسلب الستر عنه بعد ما كسته، وتضعه بعد أن رفعته، وتذلّه بعد أن أكرمته، وتغدر به بعد أن وفّى لها، وتكذبه بعد أن صدقها، وتخلفه بعد أن أنجز لها، لكنه يبقى مع التبعات والجزع والشقوة المغوية، لا يتعلّم شيئًا، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من شبّ على شيء شاب عليه).

[١] وكيف لا تغدر وقد رأيت بنفسك ناسًا كثيرين ركنوا إلى الدنيا بجمع المال والمتاع، ثم سلبتهم الدنيا كل ذلك، وسلّمتهم إلى القبر بقطعة من القماش لستر الجيفة !

[٢] القموص = الدابّة التي تقمص بصاحبها أي تثب وتنفر,

[٣] فإذا أكرمت أحدًا بكثرة الأموال أهانته أخيرًا بحفرة ضيّقة، حيث يقيم فيها إقامته الدائمة لملايين بل مليارات السنين.

[٤] الدنيا محبوبة الجهلة وهي لا تحبّ أحدًا.

[٥] استمكن منه = استمسك به = كانت قيادته بيده.

[٦] في نسخة المجلسي هذه العبارة: وبينا هي تشتمه إذ شتمت منه.

[٧] أما ترى كيف تشمت الدنيا منه، وتسلّط الحشرات والديدان عليه وتسمنها منه ! أليس هذا رادعًا له عن عمل السيئات ؟.

وَضَعَتْهُ، وَ بَيْنَا هِيَ لَهُ مُطِيعَةٌ إِذْ عَصَتْهُ، وَ بَيْنَا هُوَ فِيهَا مَسْرُورٌ إِذْ أَحْزَنَتْهُ، وَ بَيْنَا هُوَ فِيهَا شَبْعَانُ إِذْ أَجَاعَتْهُ، وَ بَيْنَا هُوَ فِيهَا حَيٌّ إِذْ أَمَاتَتْهُ !

فَأُفٍّ لَهَا مِنْ دَارٍ إِذْ كَانَ هَذَا فِعَالَهَا وَ هَذِهِ صِفَتَهَا ! تَضَعُ التَّاجَ عَلَى رَأْسِهِ غُدْوَةً وَ تُعَفِّرُ خَدَّهُ بِالتُّرَابِ عَشِيَّةً، وَ تُحَلِّي الْأَيْدِيَ بِأَسْوِرَةِ الذَّهَبِ عَشِيَّةً [1]، وَ تَجْعَلُهَا فِي الْأَغْلَالِ غُدْوَةً، وَ تُقْعِدُ الرَّجُلَ عَلَى السَّرِيرِ غُدْوَةً، وَ تَرْمِي بِهِ فِي السِّجْنِ عَشِيَّةً، تَفْرُشُ لَهُ الدِّيبَاجَ عَشِيَّةً، وَ تَفْرُشُ لَهُ التُّرَابَ غُدْوَةً، وَ تَجْمَعُ لَهُ الْمَلَاهِيَ وَ الْمَعَازِفَ غُدْوَةً، وَ تَجْمَعُ عَلَيْهِ النَّوَائِحَ وَ النَّوَادِبَ عَشِيَّةً، تُحَبِّبُ إِلَى أَهْلِهِ قُرْبَهُ عَشِيَّةً، وَ تُحَبِّبُ إِلَيْهِمْ بُعْدَهُ غُدْوَةً [2]، تُطَيِّبُ رِيحَهُ غُدْوَةً، وَ تُنَتِّنُ رِيحَهُ عَشِيَّةً !

فَهُوَ مُتَوَقِّعٌ لِسَطَوَاتِهَا، غَيْرُ نَاجٍ مِنْ فِتْنَتِهَا وَ بَلَائِهَا، تَمَتَّعُ نَفْسُهُ مِنْ أَحَادِيثِهَا، وَ عَيْنُهُ مِنْ أَعَاجِيبِهَا، وَ يَدُهُ مَمْلُوءَةٌ مِنْ جَمْعِهَا، ثُمَّ تُصْبِحُ الْكَفُّ صِفْراً، وَ الْعَيْنُ هَامِدَةً، ذَهَبَ مَا ذَهَبَ، وَ هَوَى مَا هَوَى، وَ بَادَ مَا بَادَ، وَ هَلَكَ مَا هَلَكَ !

تَجِدُ فِي كُلٍّ مِنْ كُلٍّ خَلَفاً، وَ تَرْضَى بِكُلٍّ مِنْ كُلٍّ بَدَلًا، تُسْكِنُ دَارَ كُلِّ قَرْنٍ [3] قَرْناً، وَ تُطْعِمُ سُؤْرَ [4] كُلِّ قَوْمٍ قَوْماً، تُقْعِدُ الْأَرَاذِلَ مَكَانَ الْأَفَاضِلِ، وَ الْعَجَزَةَ [5] مَكَانَ الْحَزَمَةِ [6]، تَنْقُلُ أَقْوَاماً مِنَ الْجَدْبِ [1] إِلَى الْخِصْبِ، وَ مِنَ الرِّجْلَةِ [2] إِلَى الْمَرْكَبِ، وَ

---

[1] في نسخة المجلسي مع حذف هذه العبارة: وتحلي الأيدي بأسورة الذهب عشية.

[2] وكيف أن الأهل والأقارب كانوا يحبّون قربه جسديًّا، وإذا بهم يحبّون بعده الآن، بعد أن أصبح جيفة !

[3] القرن = الجيل = الوقت من الزمان.

[4] السؤرة = المجد والأثر والارتفاع.

[5] في بعض النسخ (الفجرة مكان البررة).

[6] الحزمة جمع الحازم.

مِنَ الْبُؤْسِ إِلَى النِّعْمَةِ، وَ مِنَ الشِّدَّةِ إِلَى الرَّخَاءِ، وَ مِنَ الشَّقَاءِ إِلَى الْخَفْضِ وَ الدَّعَةِ [٣]، حَتَّى إِذَا غَمَسَتْهُمْ فِي ذَلِكَ انْقَلَبَتْ بِهِمْ فَسَلَبَتْهُمُ الْخِصْبَ وَ نَزَعَتْ مِنْهُمُ الْقُوَّةَ، فَعَادُوا إِلَى أَبْأَسِ الْبُؤْسِ وَ أَفْقَرِ الْفَقْرِ وَ أَجْدَبِ الْجَدْبِ.

فَأَمَّا قَوْلُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ فِي إِضَاعَةِ الْأَهْلِ وَ تَرْكِهِمْ، فَإِنِّي لَمْ أُضَيِّعْهُمْ وَ لَمْ أَتْرُكْهُمْ بَلْ وَصَلْتُهُمْ وَ انْقَطَعْتُ إِلَيْهِمْ، وَ لَكِنِّي كُنْتُ وَ أَنَا أَنْظُرُ بِعَيْنٍ مَسْحُورَةٍ لَا أَعْرِفُ بِهَا الْأَهْلَ مِنَ الْغُرَبَاءِ وَ لَا الْأَعْدَاءَ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ.

فَلَمَّا انْجَلَى عَنِّي السِّحْرُ، اسْتَبْدَلْتُ بِالْعَيْنِ الْمَسْحُورَةِ عَيْناً صَحِيحَةً، وَ اسْتَبَنْتُ الْأَعْدَاءَ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ، وَ الْأَقْرِبَاءَ مِنَ الْغُرَبَاءِ، فَإِذَا الَّذِينَ كُنْتُ أَعُدُّهُمْ أَهْلِينَ وَ أَصْدِقَاءَ إِخْوَاناً [٤] وَ خُلَطَاءَ إِنَّمَا هُمْ سِبَاعٌ ضَارِيَةٌ لَا هِمَّةَ لَهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْكُلَنِي وَ تَأْكُلَ بِي، غَيْرَ أَنَّ اخْتِلَافَ مَنَازِلِهِمْ فِي ذَلِكَ عَلَى قَدْرِ الْقُوَّةِ، فَمِنْهُمْ كَالْأَسَدِ فِي شِدَّةِ السَّوْرَةِ[٥]، وَ مِنْهُمْ كَالذِّئْبِ فِي الْغَارَةِ وَ النُّهْبَةِ، وَ مِنْهُمْ كَالْكَلْبِ فِي الْهَرِيرِ وَ الْبَصْبَصَةِ، وَ مِنْهُمْ كَالثَّعْلَبِ فِي الْحِيلَةِ وَ السَّرِقَةِ. فَالطُّرُقُ وَاحِدَةٌ وَ الْقُلُوبُ مُخْتَلِفَةٌ.

---

[١] الجدب عكس الخصب. جدب المكان = انقطع عنه المطر فيبست أرضه.

[٢] الرجلة = القوة على المشي. والراجل = القدير على كثرة المشي.

[٣] الخفض والدعة = الراحة وخفض العيش = السكينة.

[٤] في نسخة المجلسي وإخوانًا.

[٥] السورة- بالفتح بمعنى الحدّة.

فَلَوْ أَنَّكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ فِي عَظِيمِ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ مُلْكِكَ وَ كَثْرَةِ مَنْ تَبِعَكَ مِنْ أَهْلِكَ وَ جُنُودِكَ وَ حَاشِيَتِكَ وَ أَهْلِ طَاعَتِكَ نَظَرْتَ فِي أَمْرِكَ، عَرَفْتَ أَنَّكَ فَرِيدٌ وَحِيدٌ [1] لَيْسَ مَعَكَ أَحَدٌ مِنْ جَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ.

وَ ذَلِكَ أَنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ أَنَّ عَامَّةَ الْأُمَمِ عَدُوٌّ لَكَ، وَ أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ الَّتِي أُوتِيتَ الْمُلْكَ عَلَيْهَا كَثِيرَةُ الْحَسَدِ[2] ، مِنْ أَهْلِ الْعَدَاوَةِ وَ الْغِشِّ لَكَ، الَّذِينَ هُمْ أَشَدُّ عَدَاوَةً لَكَ مِنَ السِّبَاعِ الضَّارِيَةِ، وَ أَشَدُّ حَنَقاً عَلَيْكَ مِنْ كُلِّ الْأُمَمِ الْغَرِيبَةِ.

وَ إِذَا صِرْتَ إِلَى أَهْلِ طَاعَتِكَ وَ مَعُونَتِكَ وَ قَرَابَتِكَ وَجَدْتَ لَهُمْ قَوْماً يَعْمَلُونَ عَمَلًا بِأَجْرٍ مَعْلُومٍ، يَحْرِصُونَ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يَنْقُصُوكَ مِنَ الْعَمَلِ فَيَزْدَادُوكَ مِنَ الْأَجْرِ، وَ إِذَا صِرْتَ إِلَى أَهْلِ خَاصَّتِكَ وَ قَرَابَتِكَ صِرْتَ إِلَى قَوْمٍ جَعَلْتَ كَدَّكَ وَ كَدْحَكَ وَ مُهَنَّأَكَ وَ كَسْبَكَ لَهُمْ، فَأَنْتَ تُؤَدِّي إِلَيْهِمْ كُلَّ يَوْمِ الضَّرِيبَةَ، وَ لَيْسَ كُلُّهُمْ وَ إِنْ وَزَعْتَ بَيْنَهُمْ جَمِيعَ كَدِّكَ عَنْكَ بِرَاضٍ، فَإِنْ أَنْتَ حَبَسْتَ عَنْهُمْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ الْبَتَّةَ رَاضٍ. أَ فَلَا تَرَى أَنَّكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ وَحِيدٌ لَا أَهْلٌ لَكَ وَ لَا مَالٌ !

فَأَمَّا أَنَا فَإِنَّ لِي أَهْلًا وَ مَالًا وَ إِخْوَاناً وَ أَخَوَاتٍ [3] وَ أَوْلِيَاءَ لَا يَأْكُلُونِي وَ لَا يَأْكُلُونَ بِي، يُحِبُّونِّي وَ أُحِبُّهُمْ فَلَا يُفْقَدُ الْحُبُّ بَيْنَنَا، يَنْصَحُونِّي وَ أَنْصَحُهُمْ فَلَا غِشَّ بَيْنَنَا، وَ يَصْدُقُونِّي وَ أَصْدُقُهُمْ فَلَا تَكَاذُبَ بَيْنَنَا، وَ يُوَالُونِّي وَ أُوَالِيهِمْ فَلَا عَدَاوَةَ بَيْنَنَا، يَنْصُرُونِّي وَ أَنْصُرُهُمْ فَلَا تَخَاذُلَ بَيْنَنَا ، يَطْلُبُونَ الْخَيْرَ الَّذِي إِنْ طَلَبْتُهُ مَعَهُمْ لَمْ يَخَافُوا أَنْ أَغْلِبَهُمْ عَلَيْهِ أَوْ

[1] في نسخة المجلسي أنك وحيد فريد.

[2] في بعض النسخ (الحشد) و هو الجماعة.

[3] في نسخة المجلسي وأخواتا.

أَسْتَأْثِرَ بِهِ دُونَهُمْ، فَلَا فَسَادَ بَيْنَنَا وَ لَا تَحَاسُدَ ، يَعْمَلُونَ لِي وَ أَعْمَلُ لَهُمْ بِأُجُورٍ لَا تَنْفَدُ، وَ لَا يَزَالُ الْعَمَلُ قَائِماً بَيْنَنَا.

هُمْ هُدَاتِي إِنْ ظَلَلْتُ [1] (ضللت)، وَ نُورُ بَصَرِي إِنْ عَمِيتُ، وَ حِصْنِي إِنْ أُتِيتُ، وَ مِجَنِّي إِنْ رُمِيتُ[2] ، وَ أَعْوَانِي إِذَا فَزِعْتُ، وَ قَدْ تَنَزَّهْنَا عَنِ الْبُيُوتِ وَ الْمَخَانِي [3] فَلَا نُرِيدُهَا[4]، وَ تَرَكْنَا الذَّخَائِرَ وَ الْمَكَاسِبَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا فَلَا تَكَاثُرَ بَيْنَنَا، وَ لَا تَبَاغِيَ وَ لَا تَبَاغُضَ وَ لَا تَفَاسُدَ وَ لَا تَحَاسُدَ وَ لَا تَقَاطُعَ.

فَهَؤُلَاءِ أَهْلِي أَيُّهَا الْمَلِكُ وَ إِخْوَانِي وَ أَقْرِبَائِي وَ أَحِبَّائِي، أَحْبَبْتُهُمْ وَ انْقَطَعْتُ إِلَيْهِمْ، وَ تَرَكْتُ الَّذِينَ كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ بِالْعَيْنِ الْمَسْحُورَةِ لَمَّا عَرَفْتُهُمْ وَ الْتَمَسْتُ السَّلَامَةَ مِنْهُمْ.

فَهَذِهِ الدُّنْيَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّتِي أَخْبَرْتُكَ أَنَّهَا لَا شَيْءَ فَهَذَا نَسَبُهَا وَ حَسَبُهَا وَ مَصِيرُهَا [5] إِلَى مَا قَدْ سَمِعْتَ، وَ قَدْ[6] رَفَضْتُهَا لِمَا عَرَفْتُهَا، وَ أَبْصَرْتُ الْأَمْرَ الَّذِي هُوَ الشَّيْءُ (الآخرة).

فَإِنْ كُنْتَ تُحِبُّ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنْ أَصِفَ لَكَ مَا أَعْرِفُ عَنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ، الَّتِي هِيَ الشَّيْءُ، فَاسْتَعِدَّ إِلَى السَّمَاعِ تَسْمَعُ غَيْرَ مَا كُنْتَ تَسْمَعُ بِهِ الْأَشْيَاءَ [7] .

---

[1] في نسخة المجلسي إن ضللت.

[2] المجن: الترس و كل ما وقى من السلاح.

[3] لعله جمع خان و هو الحانوت و الفندق. و في بعض النسخ (المخابى).

[4] في نسخة المجلسي فلا يزيدها.

[5] في نسخة المجلسي مسيرها.

[6] في نسخة المجلسي بحذف الواو.

[7] في نسخة المجلسي من الأشيا.

فَلَمْ يَزِدِ الْمَلِكُ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ قَالَ لَهُ: كَذَبْتَ لَمْ تُصِبْ شَيْئاً وَ لَمْ تَظْفَرْ إِلَّا بِالشَّقَاءِ وَ الْعَنَاءِ، فَاخْرُجْ وَ لَا تُقِيمَنَّ فِي شَيْءٍ مِنْ مَمْلَكَتِي فَإِنَّكَ فَاسِدٌ مُفْسِدٌ.

وزاد عليه دانيال جيماريه [١] في كتابه بلوهر وبوذاسف [٢] : ولولا الودّ الذي بيننا لجعلتك نكالًا للخلق، فاخرج ولا تقم، فإني أعاهد إلهي إن رأيتك في شيء من مملكتي بعد تقدّمي إليك لأعاقبنك، وقد أعذرت فيما بيني وبينك.

[١] (بوذاسف وبلوهر) هو أيضًا من تعاليم بوذا، وقد ترجم بالعربية كما ذكره ابن النديم في الفهرست صفحة ٤٢٤ بعنوان بوتاسف وبلوهر، ونظمه بالعربية أبان بن عبد الحميد اللاحقي كما ذكره فيها (صفحة ١٧٢) بعنوان بلوهر وبردانية. وترجم من العربية بالفارسية الجديدة. هذا وقد ترجم أيضًا باليونانية بعنوان برلام وبوذاسف كما ذكره العلامة آقا بزرك الطهراني في كتابه الشهير الذريعة إلى تصانيف الشيعة الجزء ٨ صفحة ٣١. علما بأن اللاحقي ذكر في كتاب هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين في الجزء ١ صفحة ٢. واسمه الكامل هو الرقاشي - أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفير اللاحقي البغدادي المعروف بالرقاشي الشاعر، كان ينقل الكتب المنثورة إلى الشعر. توفّي سنة ٢٢٠ هجري، وله كتاب بلوهر وبردانية وكتاب الرسائل وكتاب سيرة أنوشيروان وكتاب سيرة أردشير وكتاب علم الهند وكتاب كليلة ودمنة.

[٢] في كتابه بلوهر وبوذاسف صفحة ١٨.

أبو بوذا الملك

في القرن السادس قبل الميلاد كان الغزاة الآريّون قد استقرّوا من زمن في شمال الهند، واختلطوا بسكّانها الأصليّين، وكوّنوا القرى والمدن، واشتغلوا بالزراعة والرعي. وكانوا يعيشون في قبائل تخضع لحاكم يهتمّ بصالحه الشخصيّ قبل أن يهتمّ بصالح شعبه.

وكان ينظّم حياة الهنود نظام الطوائف الذي يقسّم الهنود إلى طوائف أربع رئيسيّة، على رأسها طائفة البراهمة، التي تتكوّن من رجال الدين الذين كان لهم نفوذ دينيّ يسمح لهم بالسيطرة على الحياة العامة.

ويليها طائفة الكشاتريا التي تتكوّن من رجال الجيش الذين يحاربون الأعداء ويحفظون الأمن في داخل البلاد. فأتاحت لهم القوّة الحربيّة فرص الاستيلاء على الحكم.

أما طائفة الفسيا فيشتغل أفرادها بالتجارة والزراعة والصناعة، بينما يقوم أفراد طائفة السودرا بأعمال الخدم.

وكان الحكّام وأفراد الشعب يحترمون رجال الدين من البراهمة، ذلك لأنهم كانوا يقومون بأداء الشعائر الدينية التي لا يجيد أداءها غيرهم، ويرتّلون الأناشيد الفيديّة التي لا يعرف طرق ترتيلها سواهم، ويفسّرون الكتب الدينية من فيدا وبرهماناس ويوبانيشاد التي لا يعرف أسرارها غيرهم.

فضلًا عن أنهم كانوا يدّعون أنهم يعرفون أثر النجوم والكواكب على حياة الأفراد، وتفسير الأحلام وقراءة الطوالع، ويوحون للهنود بأنّ لهم دراية تامة بشتى الوسائل التي تبعد الشر وتجلب الخير، خصوصًا وأن بلاد الهند عرضة للزوابع والفيضانات والقحط، وغاباتها

مليئة بالحيوانات المفترسة، فتفنّن البراهمة في عمل الرقي والتعاويز التي تحمي الهنود من خطر تقلّبات الطبيعة والحيوانات المتوحّشة.

ومما ساعد على تقوية نفوذ البراهمة إيمان الجميع بعقيدة التناسخ، التي تزعم بأن روح الميت تولد في جسم جديد من إنسان أو حيوان أو نبات حسب أفعاله السابقة، وأن من يهرب من سلسلة الولادات المتتالية يستقرّ مقامه في النفس الكبرى، التي تتجلّى في شتّى موجودات الكون، من إنسان وحيوان ونبات وجماد، ويعيش في سعادة مطلقة لا تعرف الموت والولادة وآلام الحياة.

وخيّل للناس أن في قدرة البراهمة إنقاذهم من توالي الموت والحياة، ولذلك كان لكهنة البراهمة سيطرة روحية عظيمة مكّنتهم من استغلال الحكّام والشعب الهندي، فاغتنوا واقتنوا القصور والضياع، وعاشوا في كنف عشرات الزوجات، ولم يعرف إلا القليل منهم حياة الزهد.

ومع ذلك فلقد كان هناك عدد كبير من الهنود من مختلف الطوائف قد هجروا بيوتهم وسكنوا الكهوف والمغارات وتجوّلوا في الغابات، يعذّبون أنفسهم بأقسى أنواع الرياضات الجسمية والمجاهدات النفسية، ليقضوا على نزعات الحسّ التي تجري وراء رغبات الشهوة، وقبلوا أن يقطعوا كل صلة تربطهم بالحياة ليفوزوا بالحياة في النفس الكبرى، حيث السعادة الحقّة التي لا آلام فيها ولا أحزان، وحيث يصير الله والإنسان حقيقة واحدة.

وفي هذا الجوّ نشأت أسرة جوتاما الكشارترية المحاربة من قبيلة ساكيا في بلاد نيبال، وحكمت ولاية كابيلافاستي التي تقع على أحد ضفّتي نهر روهيني الذي ينبع من جبال الهمالايا حيث يقع شمال مدينة بنارس الحالية.

ويحدّ ولاية كابيلافاستي اتّحاد ليشافيس القويّ ومملكة ماجادها الفتيّة شرقًا. ويحدها أراضي البراهمة المقدّسة وولاية كوشالا التي تعادي مملكة ماجادها غربًا.

وكان التنافس بين ولاية كوشالا ومملكة ماجادها سببًا في صيانة استقلال ولاية كابيلافاستي، مع أن قوّتها الحربية لا تقوى على حفظ استقلال البلاد، وإن كانت تقوى على صدّ هجمات القبائل الجبلية وإخضاع العشائر الثائرة التي تخرج عن طاعتها.

وكان سكان كابيلافاستي يشتغلون بالزراعة على مياه نهر روهيني، أو يرعون الأغنام والماشية على المراعي الجبلية. وأحيانًا كان ينشأ نزاع بين قبيلة ساكيا وقبيلة كولي التي تعيش على الضفّة الأخرى من نهر روهيني بسبب مياه هذا النهر. إلا أن هذا النزاع كان سرعان ما ينتهي بالصلح، نظرًا لما يربط بين القبيلتين من أواصر القرابة والمصاهرة.

وفي فترة من الفترات التي كان يسود فيها الوئام بين القبيلتين تزوّج زعيم ساكيا سودهودانا ابنتي زعيم كولي، إلا أنهما لم ينجبا أطفالًا، مما أحزن قلب سودهودانا، خصوصًا وأن هذه القبائل كانت تعتقد أن حالة الإنسان في حياته التالية بعد الموت تتوقّف على الشعائر التي يقيمها له من يخلفه في الزعامة، وأن أبرّ فرد للزعيم هو الإبن [1] .

---

(1) المصدر السابق صفحة ٧ – ٩.

ميلاد بوذا

وَ وُلِدَ لِلْمَلِكِ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ بَعْدَ إِيَاسِهِ مِنَ الذُّكُورِ غُلَامٌ لَمْ يَرَ النَّاسُ مَوْلُوداً مِثْلَهُ قَطُّ حُسْناً وَ جَمَالًا وَ ضِيَاءً، فَبَلَغَ السُّرُورُ مِنَ الْمَلِكِ مَبْلَغاً عَظِيماً، كَادَ أَنْ يُشْرِفَ مِنْهُ عَلَى هَلَاكِ نَفْسِهِ مِنَ الْفَرَحِ.

وَ زَعَمَ أَنَّ الْأَوْثَانَ الَّتِي كَانَ يَعْبُدُهَا هِيَ الَّتِي وَهَبَتْ لَهُ الْغُلَامَ، فَقَسَمَ عَامَّةَ مَا كَانَ فِي بُيُوتِ أَمْوَالِهِ عَلَى بُيُوتِ أَوْثَانِهِ، وَ أَمَرَ النَّاسَ بِالْأَكْلِ وَ الشُّرْبِ سَنَةً، وَ سَمَّى الْغُلَامَ يُوذَاسُفَ [1].

وَ جَمَعَ الْعُلَمَاءَ وَ الْمُنَجِّمِينَ لِتَقْوِيمِ مِيلَادِهِ، فَرَفَعَ الْمُنَجِّمُونَ إِلَيْهِ أَنَّهُمْ يَجِدُونَ الْغُلَامَ يَبْلُغُ مِنَ الشَّرَفِ وَ الْمَنْزِلَةِ مَا لَا يَبْلُغُهُ أَحَدٌ قَطُّ فِي أَرْضِ الْهِنْدِ، وَ اتَّفَقُوا عَلَى ذَلِكَ جَمِيعاً، غَيْرَ أَنَّ رَجُلًا (منهم كبير السنّ وكان عالما ببعض أسرار النجوم) [2] قَالَ مَا أَظُنُّ الشَّرَفَ وَ الْمَنْزِلَةَ وَ الْفَضْلَ الَّذِي وَجَدْنَاهُ يَبْلُغُهُ هَذَا الْغُلَامُ إِلَّا شَرَفَ الْآخِرَةِ، وَ لَا أَحْسَبُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ إِمَاماً فِي الدِّينِ وَ النُّسُكِ، وَ ذَا فَضِيلَةٍ فِي دَرَجَاتِ الْآخِرَةِ، لِأَنِّي أَرَى الشَّرَفَ الَّذِي تَبْلُغُهُ لَيْسَ يُشْبِهُ شَيْئاً مِنْ شَرَفِ الدُّنْيَا، وَ هُوَ شَبِيهٌ بِشَرَفِ الْآخِرَةِ.

فَوَقَعَ ذَلِكَ الْقَوْلُ مِنَ الْمَلِكِ مَوْقِعاً كَادَ أَنْ يُنَغِّصَهُ سُرُورَهُ بِالْغُلَامِ، وَ كَانَ الْمُنَجِّمُ الَّذِي أَخْبَرَهُ بِذَلِكَ مِنْ أَوْثَقِ الْمُنَجِّمِينَ فِي نَفْسِهِ وَ أَعْلَمِهِمْ وَ أَصْدَقِهِمْ عِنْدَهُ.

---

[1] كذا بالياء في جميع النسخ، و المظنون أنّه تصحيف، و الصواب بوذاسف، و الكلمة مركّبة من (بوذا) و (سف). و قيل: بوذا هو الاسم الدينيّ لمؤسّس الديانة البوذيّة، و معناه باللغة السنسكريتيّة: العالم الذي وصل إلى العلم الكامل.

[2] بلوهر وبوذاسف صفحة ١٨.

وَ أَمَرَ الْمَلِكُ لِلْغُلَامِ بِمَدِينَةٍ فَأَخْلَاهَا، وَ تَخَيَّرَ لَهُ مِنَ [1] الظُّئُورَةِ [2] وَ الْخَدَمِ كُلَّ ثِقَةٍ، وَ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ أَنْ لَا يُذْكَرَ فِيمَا بَيْنَهُمْ مَوْتٌ وَ لَا آخِرَةٌ وَ لَا حُزْنٌ وَ لَا مَرَضٌ وَ لَا فَنَاءٌ، حَتَّى تَعْتَادَ ذَلِكَ أَلْسِنَتُهُمْ، وَ تَنْسَاهُ قُلُوبُهُمْ.

وَ أَمَرَهُمْ إِذَا بَلَغَ الْغُلَامُ أَنْ لَا يَنْطِقُوا عِنْدَهُ بِذِكْرِ شَيْءٍ مِمَّا يَتَخَوَّفُونَهُ عَلَيْهِ، خَشْيَةَ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ مِنْهُ شَيْءٌ ، فَيَكُونَ ذَلِكَ دَاعِيَةً إِلَى اهْتِمَامِهِ بِالدِّينِ وَ النُّسُكِ، وَ أَنْ يَتَحَفَّظُوا وَ يَتَحَرَّزُوا مِنْ ذَلِكَ، وَ يَتَفَقَّدَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ.

وَ ازْدَادَ الْمَلِكُ عِنْدَ ذَلِكَ حَنَقاً عَلَى النُّسَّاكِ مَخَافَةً عَلَى ابْنِهِ. (وخاف على ابنه الولوع بأمرهم إن انتهى إليه ذلك وقتل النسّاك) [3] .

وَ كَانَ لِذَلِكَ الْمَلِكُ وَزِيرٌ قَدْ كَفَلَ أَمْرَهُ وَ حَمَلَ عَنْهُ مَئُونَةَ سُلْطَانِهِ، وَ كَانَ لَا يَخُونُهُ وَ لَا يَكْذِبُهُ وَ لَا يَكْتُمُهُ وَ لَا يُؤْثِرُ عَلَيْهِ وَ لَا يَتَوَانَى فِي شَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ [4] وَ لَا يُضَيِّعُهُ. وَ كَانَ الْوَزِيرُ مَعَ ذَلِكَ رَجُلًا لَطِيفاً طَلِقاً مَعْرُوفاً بِالْخَيْرِ يُحِبُّهُ النَّاسُ وَ يَرْضَوْنَ بِهِ، إِلَّا أَنَّ أَحِبَّاءَ الْمَلِكِ وَ أَقْرِبَاءَهُ كَانُوا يَحْسُدُونَهُ وَ يَبْغُونَ عَلَيْهِ وَ يَسْتَقِلُّونَ [5] بِمَكَانِهِ [6] .

---

[1] في نسخة المجلسي الظؤرة.

[2] جمع الظئر: المرضعة.

[3] بلوهر وبوذاسف صفحة ١٩.

[4] في نسخة المجلسي علمه.

[5] في نسخة المجلسي يستثقلون.

[6] استقلّ الشيء = عدّه ورآه قليلًا.

ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى الصَّيْدِ وَ مَعَهُ ذَلِكَ الْوَزِيرُ ، فَأَتَى بِهِ فِي شِعْبٍ [١] مِنَ الشِّعَابِ عَلَى رَجُلٍ قَدْ أَصَابَتْهُ زَمَانَةٌ [٢] شَدِيدَةٌ فِي رِجْلَيْهِ مُلْقًى فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ لَا يَسْتَطِيعُ بَرَاحاً [٣] ، فَسَأَلَهُ الْوَزِيرُ عَنْ شَأْنِهِ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ السِّبَاعَ أَصَابَتْهُ. فَرَقَّ لَهُ الْوَزِيرُ.

فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ ضُمَّنِي إِلَيْكَ وَ احْمِلْنِي إِلَى مَنْزِلِكَ، فَإِنَّكَ تَجِدُ عِنْدِي مَنْفَعَةً. فَقَالَ الْوَزِيرُ إِنِّي لَفَاعِلٌ وَ إِنْ لَمْ أَجِدْ عِنْدَكَ مَنْفَعَةً، وَ لكِنْ يَا هَذَا مَا الْمَنْفَعَةُ الَّتِي تَعِدُنِيهَا ؟ هَلْ تَعْمَلُ عَمَلًا أَوْ تُحْسِنُ شَيْئاً ؟

فَقَالَ الرَّجُلُ نَعَمْ أَنَا أَرْتِقُ الْكَلَامَ [٤] ، فَقَالَ وَ كَيْفَ تَرْتِقُ الْكَلَامَ ؟ قَالَ إِذَا كَانَ فِيهِ فَتْقٌ أَرْتِقُهُ حَتَّى لَا يَجِيءَ مِنْ قِبَلِهِ فَسَادٌ.

فَلَمْ يَرَ الْوَزِيرُ قَوْلَهُ شَيْئاً، وَ أَمَرَ بِحَمْلِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ، وَ أَمَرَ لَهُ بِمَا يُصْلِحُهُ، حَتَّى إِذْ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ احْتَالَ أَحِبَّاءُ الْمَلِكِ لِلْوَزِيرِ، وَ ضَرَبُوا لَهُ الْأُمُورَ ظَهْراً وَ بَطْناً.

فَأَجْمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ دَسُّوا رَجُلًا مِنْهُمْ إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّ هَذَا الْوَزِيرَ يَطْمَعُ فِي مُلْكِكَ أَنْ يَغْلِبَ عَلَيْهِ [٥] مِنْ بَعْدِكَ، فَهُوَ يُصَانِعُ النَّاسَ عَلَى ذَلِكَ، وَ يَعْمَلُ عَلَيْهِ دَائِباً، فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ صِدْقَ ذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُ أَنَّهُ قَدْ بَدَا لَكَ أَنْ تَرْفِضَ الْمُلْكَ وَ تَلْحَقَ بِالنُّسَّاكِ، فَإِنَّكَ سَتَرَى مِنْ فَرَحِهِ بِذَلِكَ مَا تَعْرِفُ بِهِ أَمْرَهُ.

---

[١] الشعب ج شعاب = الطريق في الجبل = الناحية.

[٢] الزمانة = العاهة = عدم بعض الأعضاء = تعطيل القوى.

[٣] أي لا يستطيع التحوّل والانتقال من مكانه.

[٤] رتق الفتق : أصلحه.

[٥] في نسخة المجلسي عقبك من بعدك.

وَ كَانَ الْقَوْمُ قَدْ عَرَفُوا مِنَ الْوَزِيرِ رِقَّةً عِنْدَ ذِكْرِ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَ الْمَوْتِ وَ لِيناً لِلنُّسَّاكِ وَ حُبّاً لَهُمْ، فَعَمِلُوا فِيهِ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي ظَنُّوا أَنَّهُمْ يَظْفَرُونَ بِحَاجَتِهِمْ مِنْهُ.

فَقَالَ الْمَلِكُ لَئِنْ أَنَا [1] هَجَمْتُ مِنْهُ عَلَى هَذَا لَمْ أَسْأَلْ عَمَّا سِوَاهُ. فَلَمَّا أَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ الْوَزِيرُ قَالَ لَهُ الْمَلِكُ إِنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ حِرْصِي عَلَى الدُّنْيَا وَ طَلَبِ الْمُلْكِ، وَ إِنِّي قَدْ ذَكَرْتُ مَا مَضَى مِنْ ذَلِكَ فَلَمْ أَجِدْ مَعِي مِنْهُ طَائِلًا، وَ قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ الَّذِي بَقِيَ مِنْهُ كَالَّذِي مَضَى، فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَضِيَ ذَلِكَ كُلُّهُ بِأَجْمَعِهِ، فَلَا يَصِيرَ فِي يَدِي مِنْهُ شَيْءٌ، وَ أَنَا أُرِيدُ أَنْ أَعْمَلَ فِي حَالِ الْآخِرَةِ عَمَلًا قَوِيّاً عَلَى قَدْرِ مَا كَانَ مِنْ عَمَلِي فِي الدُّنْيَا، وَ قَدْ بَدَا لِي أَنْ أَلْحَقَ بِالنُّسَّاكِ وَ أُخَلِّيَ هَذَا الْعَمَلَ لِأَهْلِهِ فَمَا رَأْيُكَ ؟

قَالَ فَرَقَّ الْوَزِيرُ لِذَلِكَ رِقَّةً شَدِيدَةً حَتَّى عَرَفَ الْمَلِكُ ذَلِكَ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّ الْبَاقِيَ وَ إِنْ كَانَ عَزِيزاً لَأَهْلٌ أَنْ يُطْلَبَ، وَ إِنَّ الْفَانِيَ وَ إِنِ اسْتَمْكَنْتَ مِنْهُ لَأَهْلٌ أَنْ يُرْفَضَ، وَ نِعْمَ الرَّأْيُ رَأَيْتَ، وَ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ لَكَ مَعَ الدُّنْيَا شَرَفَ الْآخِرَةِ.

قَالَ فَكَبُرَ ذَلِكَ عَلَى الْمَلِكِ وَ وَقَعَ مِنْهُ كُلَّ مَوْقِعٍ وَ لَمْ يُبْدِ لَهُ شَيْئاً، غَيْرَ أَنَّ الْوَزِيرَ عَرَفَ الثِّقْلَ فِي وَجْهِهِ، فَانْصَرَفَ إِلَى أَهْلِهِ كَئِيباً حَزِيناً، لَا يَدْرِي مِنْ أَيْنَ أُتِيَ وَ لَا مَنْ [2]دَهَاهُ [3]، وَ لَا يَدْرِي مَا دَوَاءُ الْمَلِكِ فِيمَا اسْتَنْكَرَ عَلَيْهِ.

فَسَهِرَ لِذَلِكَ عَامَّةَ اللَّيْلِ، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ الَّذِي زَعَمَ أَنَّهُ يَرْتِقُ الْكَلَامَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَأُتِيَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ إِنَّكَ كُنْتَ ذَكَرْتَ لِي ذِكْراً مِنْ رَتْقِ الْكَلَامِ، فَقَالَ الرَّجُلُ أَجَلْ فَهَلِ احْتَجْتَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ؟

---

[1] في نسخة المجلسي من دون أنا.

[2] في بعض النسخ (ما دهاه).

[3] دها فلانًا = عابه وتنقّصه. أصابه بداهية أو مصيبة أو الأمر المنكر.

فَقَالَ الْوَزِيرُ نَعَمْ أُخْبِرُكَ أَنِّي صَحِبْتُ هَذَا الْمَلِكَ قَبْلَ مُلْكِهِ وَ مُنْذُ صَارَ مَلِكاً، فَلَمْ أَسْتَنْكِرْهُ فِيمَا بَيْنِي وَ بَيْنَهُ قَطُّ لِمَا يَعْرِفُهُ مِنْ نَصِيحَتِي وَ شَفَقَتِي وَ إِيثَارِي إِيَّاهُ عَلَى نَفْسِي وَ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ، حَتَّى إِذَا كَانَ هَذَا الْيَوْمُ اسْتَنْكَرْتُهُ [1] اسْتِنْكَاراً شَدِيداً لَا أَظُنُّ لِي [2] خَيْراً عِنْدَهُ بَعْدَهُ.

فَقَالَ لَهُ الرَّاتِقُ هَلْ لِذَلِكَ سَبَبٌ أَوْ عِلَّةٌ ؟

قَالَ الْوَزِيرُ نَعَمْ دَعَانِي أَمْسِ، وَ قَالَ لِي كَذَا وَ كَذَا، فَقُلْتُ لَهُ كَذَا وَ كَذَا، فَقَالَ مِنْ هَاهُنَا جَاءَ الْفَتْقُ وَ أَنَا أَرْتِقُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

اعْلَمْ أَنَّ الْمَلِكَ قَدْ ظَنَّ أَنَّكَ تُحِبُّ أَنْ يَتَخَلَّى [3] هُوَ عَنْ مُلْكِهِ وَ تَخْلُفَهُ أَنْتَ فِيهِ. فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الصُّبْحِ فَاطْرَحْ عَنْكَ ثِيَابَكَ وَ حِلْيَتَكَ وَ الْبَسْ أَوْضَعَ مَا تَجِدُهُ مِنْ ذِي النُّسَّاكِ وَ أَشْهَرَهُ، ثُمَّ احْلِقْ رَأْسَكَ وَ امْضِ عَلَى وَجْهِكَ إِلَى بَابِ الْمَلِكِ، فَإِنَّ الْمَلِكَ سَيَدْعُو بِكَ وَ يَسْأَلُكَ عَنِ الَّذِي صَنَعْتَ.

فَقُلْ لَهُ هَذَا الَّذِي دَعَوْتَنِي إِلَيْهِ، وَ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُشِيرَ عَلَى صَاحِبِهِ بِشَيْءٍ إِلَّا وَاسَاهُ فِيهِ وَ صَبَرَ عَلَيْهِ، وَ مَا أَظُنُّ الَّذِي دَعَوْتَنِي إِلَيْهِ إِلَّا خَيْراً مِمَّا نَحْنُ فِيهِ، فَقُمْ إِذَا بَدَا لَكَ. فَفَعَلَ الْوَزِيرُ ذَلِكَ، فَتَخَلَّى عَنْ نَفْسِ الْمَلِكِ مَا كَانَ فِيهَا عَلَيْهِ. (فانهض أيها الملك بنا فإني معك حيث كنت، وإني لا أعلم ما دعوتني إليه إلا خيرًا ما نحن فيه) [4] .

---

[1] جهلت تصرّفاته.

[2] في نسخة المجلسي بدون لي.

[3] في نسخة المجلسي ينجلي.

[4] بلوهر وبوذاسف صفحة ٢٣.

ثُمَّ أَمَرَ الْمَلِكُ بِنَفْيِ النُّسَّاكِ مِنْ جَمِيعِ بِلَادِهِ وَ تَوَعَّدَهُمْ بِالْقَتْلِ فَجَدُّوا فِي الْهَرَبِ وَ الِاسْتِخْفَاءِ.

ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ مُتَصَيِّداً، فَوَقَعَ بَصَرُهُ عَلَى شَخْصَيْنِ مِنْ بَعِيدٍ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمَا فَأُتِيَ بِهِمَا، فَإِذَا هُمَا نَاسِكَانِ. فَقَالَ لَهُمَا مَا بَالُكُمَا لَنْ (لم) تَخْرُجَا مِنْ بِلَادِي، قَالا قَدْ أَتَتْنَا رُسُلُكَ وَ نَحْنُ عَلَى سَبِيلِ الْخُرُوجِ.

قَالَ وَ لِمَ خَرَجْتُمَا رَاجِلَيْنِ، قَالا لِأَنَّا قَوْمٌ ضُعَفَاءُ لَيْسَ لَنَا دَوَابُّ وَ لَا زَادٌ وَ لَا نَسْتَطِيعُ الْخُرُوجَ إِلَّا التقصير [1] ، قَالَ الْمَلِكُ إِنَّ مَنْ خَافَ الْمَوْتَ أَسْرَعَ بِغَيْرِ دَابَّةٍ وَ لَا زَادٍ، فَقَالا لَهُ إِنَّا لَا نَخَافُ الْمَوْتَ بَلْ لَا نَنْظُرُ قُرَّةَ عَيْنٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِلَّا فِيهِ.

قَالَ الْمَلِكُ وَ كَيْفَ لَا تَخَافَانِ الْمَوْتَ وَ قَدْ زَعَمْتُمَا أَنَّ رُسُلَنَا لَمَّا أَتَتْكُمْ وَ أَنْتُمْ عَلَى سَبِيلِ الْخُرُوجِ أَ فَلَيْسَ هَذَا هُوَ الْهَرَبَ مِنَ الْمَوْتِ ؟

قَالا إِنَّ الْهَرَبَ مِنَ الْمَوْتِ لَيْسَ مِنَ الْفَرَقِ [2] ، فَلَا تَظُنَّ أَنَّا فَرِقْنَاكَ [3] ، وَ لكِنَّا هَرَبْنَا مِنْ أَنْ (كي لا) نُعِينَكَ عَلَى أَنْفُسِنَا.

فَأَسِفَ الْمَلِكُ وَ أَمَرَ بِهِمَا أَنْ يُحْرَقَا بِالنَّارِ، وَ أَذِنَ فِي أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ بِأَخْذِ النُّسَّاكِ وَ تَحْرِيقِهِمْ بِالنَّارِ. فَتَجَرَّدَ رُؤَسَاءُ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ فِي طَلَبِهِمْ وَ أَخَذُوا مِنْهُمْ بَشَراً كَثِيراً وَ أَحْرَقُوهُمْ بِالنَّارِ.

[1] في نسخة المجلسي بالتقصير.

[2] الفرق: الخوف.

[3] فرق منه = فزع منه.

فَمِنْ ثَمَّ صَارَ التَّحْرِيقُ سُنَّةً بَاقِيَةً فِي أَرْضِ الْهِنْدِ. (ومن هناك كان إحراقهم أنفسهم وموتاهم سنّة باقية بأرض الهند لما زعم أتباعهم أنهم أصابوا من الفوز بذلك الحريق، فتطوّع المتطوّعون منهم لينالوا بما زعموا مثل فضلهم) [١] .

وَ بَقِيَ فِي جَمِيعِ تِلْكَ الْأَرْضِ قَوْمٌ قَلِيلٌ مِنَ النُّسَّاكِ كَرِهُوا الْخُرُوجَ مِنَ الْبِلَادِ وَ اخْتَارُوا الْغَيْبَةَ وَ الِاسْتِخْفَاءَ لِيَكُونُوا دُعَاةً وَ هُدَاةً لِمَنْ وَصَلُوا إِلَى كَلَامِهِمْ. (وقلّ دين الحق في أرض شولابط إلّا أنه بقي أناس من المصدّقين الذين يظهرون غيره ولا يعملون عملًا يعرفون به) [٢] .

[١] بلوهر وبوذاسف صفحة ٢٥.

[٢] بلوهر وبوذاسف صفحة ٢٥.

ميلاد جوتاما

ولكن حدث أن أتته زوجه مايا الأخت الكبرى في ذات يوم وهي في سن الخامسة والأربعين وأخبرته بأنها بعد أن صامت سبعة أيام، حلمت حلمًا غريبًا، وهو أن الملائكة صعدت بها في أعنان السماء، وأن فيلًا أبيض اللون، متناسق التكوين، بديع المنظر، رأسه يلمع كالزمرّد، وأنيابه ذهبيّة، ومسلّح بأسلحة ستّ، دخل رحمها من جانبها الأيمن.

فاستدعى سودهودانا الكهنة والعرافين وطلب منهم تفسير هذا الحلم. فأخبروه بأن زوجته ستلد له ولدًا سيكون له شأن عظيم، لأن الكتب المقدّسة تذكر أن الرجل العظيم يتسرّب إلى رحم أمه في شكل فيل يتّصف بمثل هذه الصفات.

ولم تمض أيام حتى حملت مايا. ويذكر أن هذا الجنين كان يرى في رحم أمه جالسًا جلسة القرفصاء أثناء أشهر الحمل. وفي الشهر الأخير من الحمل طلبت مايا من زوجها أن تسافر إلى أهلها لتضع المولود عندهم كما هي العادة في ذلك الوقت. فأعد لها زوجها شتى سبل الراحة حتى لا يسبّب لها السفر المتاعب. كما أعدّ لها والدها قصرًا خاصًا لتلد فيه وهي في راحة تامة.

ولكن أتاها المخاض وهي في الطريق، فاضطرّت إلى أن تضع رحالها تحت شجرة سال في بستان لومبيني. وأثناء الوضع انحنت الشجرة لتظلّها وأتت الملائكة لمساعدتها.

وعندما وضعت خطا الوليد إلى الأمام سبع خطوات وصاح قائلًا: (إنني سيّد الكون ، إن هذه الحياة آخر حياة لي) وظهرت اثنتان وثلاثون علامة في السماء والأرض، منها انتشار النور في كل مكان، واستعادة الأعمى البصر، والأصم السمع، والأبكم النطق، واستقامة الأشرار، وسعادة عامّة الناس. وبعد الولادة عادت الأم وابنها إلى قصر زوجها.

وفي اليوم الخامس بعد الولادة أقام سودهودانا حفلًا كبيرًا اجتمع فيه البراهمة والعرافون وقراء الطوالع والمنجمون والمتطلعون على أسرار العلامات، وقرّروا جميعًا بأن سيكون لهذا الطفل شأن عظيم، لأن به سبع علامات مقدّسة تدلّ على انه إما سيكون حاكمًا من أقوى حكام العالم تدين له كلّ الدنيا، أو زاهدًا من أعظم الزهاد قاطبة يبشر بتعاليم جديدة تنقذ البشرية من الآلام، وذلك بعد أن يشاهد كهلًا ومريضًا وميتًا وزاهدًا، ثم يهجر قصر أبيه ويعيش عيشة الزهاد.

فابن الحاكم إمّا أن يصبح ملكًا مرهوب الجانب واسع السلطان، وإمّا أن يصبح زاهدًا قويّ الروح، تنتشر تعاليمه الجديدة في كلّ مكان، ولا يوجد ألمع من هذين المستقبلين في ذلك الوقت.

فإن الحاكم القويّ هو المثل الأعلى لطائفة الكشاتريا، التي تنتسب إليها أسرة جوتاما، وإن الزاهد المستنير مكانته أرفع من مكانة البراهمة أنفسهم، سواء ظهر من بين طائفة البراهمة أو حتى من بين طائفة السودرا، لأن الشخص الذي ينجح في الإفلات من براثن الحياة وينجي بنفسه من الشهوات والرغبات ويرضى بتعذيب الجسد والنفس في سبيل الطهارة الروحية لا شك في أنه شخص ممتاز يستحقّ التقدير والاحترام دون النظر إلى أصل طائفته.

فإن لم يكن ابن الحاكم من طائفة البراهمة، إلا أنه يمكنه أن يكون أحد هؤلاء العظماء، الذين يمكنهم تحطيم قيود الحياة، ويصبحون من بين زعماء الروح. فهل خدع الكهنة وقراء الطوالع سودهودانا بهذا التنبؤ ؟

ولكن الأحداث صدّقت التنبّؤ الأخير، فهل تكشف لهم الغيب حقًّا ! وهل نفذت بصيرتهم إلى أسرار المستقبل ! أم أن قصّة هذا التنبّؤ وضعت بعد أن تمّ لبوذا سيطرته الروحية، وأخذ أعوانه بعد موته يحيكون مثل هذه القصص ليضيفوا على حياته هالة من المعجزات والكرامات !

ولم يمض يومان على هذا الحفل الكبير الذي اجتمع فيه الكهنة والمنجمون، حتى وافت الملكة مايا المنيّة، وتركت ابنها الوليد في المهد، وهو لم يتجاوز أسبوعًا واحدًا من العمر. وليس في موتها أيّ غرابة، لأنه لا يجوز لها أن تلد مولودًا آخر بعد هذا الإبن المقدّس. ولقد كفلته خالته زوجة أبيه الثانية التي لم تنجب أطفالًا، وتولّته بالرعاية والحنان وشملته بالعطف والحب وخصّصت له مرضعة رحيمة.

أما عن الإسم الذي وضع للوليد الجديد فلا يكاد يعرف بالضبط إذا ما وضعت عند ولادته أو بعد موته ... وأخيرًا سمي (جوتاما).

ولا نكاد نعرف شيئًا عن طفولة جوتاما بعد وفاة والدته إلا حادثة عجيبة ما ذكرت إلا لتبيّن إحدى المعجزات التي تنسب إلى بوذا. إنه من عادة الأهالي على رأسهم الحاكم الاحتفال بعيد الحرث عند بداية موسم الزراعة.

واصطحب سودهودانا طفله معه ليحضر هذا الحفل، وأرقده على وسادة تحت ظل شجرة. ولكن حدث أن انصرف الجميع إلى الحفل فرحين مسرورين، ونسوا الطفل مدة طويلة، فلوحظ أن الطفل أجلس نفسه جلسة القرفصاء على الوسادة ما حيّر الجميع، وزاد في دهشتهم أن ظل الشجرة لم يتحول عن الطفل، بل ظلت الشجرة تستظلّه وتحميه من وهج الشمس مع أن ظل جميع الشجر قد تحوّل تحوّله الطبيعي ..

لقد نشأ جوتاما في بيت من أعرق بيوت الكشاتريا، وكان أبوه عريض الثراء، ويتولّى حكم البلاد، هذا فضلًا عن أنه كان وحيد أبيه، وليس له منافس في وراثة أبيه، وتولّي الحكم من بعده.

فلا نعجب إذا أمعن والده في تدليله ورعايته وأحاطه بشتى وسائل الراحة والترفيه، خصوصًا وهو يرسخ تحت ثقل أفكار غرسها مفسّرو العلامات وقرّاء الطوالع في عقله، ولذلك كان يخاف على الدوام من أن وريثه قد تجبره الأحداث إلى أن يهجر قصر أبيه، مضحّيًا بالحكم في سبيل أن يصير زاهدًا.

ولذلك حاول الأب، وما زال وحيده في نعومة أظفاره، أن يكفل له الحياة الناعمة الهادئة البهجة السارّة، حتى لا يخطر له في يوم من الأيام أن يخرج من بيته ولا يعود إليه.

ولما بلغ جوتاما الثامنة عهد به والده لأعظم معلّمي مملكته ليزوّده بثقافة عصره، حتى يشبّ مستنيرًا عالمًا بكل ما يحيط به، فيحسن الحكم عندما يتولّاه. وبدأ المعلّم يلقّنه أصول القراءة والكتابة، وما أن أتقنها حتى أخذ يقرأ شعر الملاحم والأناشيد الدينية وحكم النساك، إلى أن حفظ كثيرًا منها على ظهر قلب.

وبعد ذلك أخذ يدرس أعمال سكان السواحل والجبال والغابات، إلا أن الثقافة النظريّة لا تكفي لتكوّن عقليّة الحاكم، فتوفّر جوتاما على دراسة العلوم الرياضيّة من حساب وهندسة وفلك. ولقد أظهر على الدوام سرعة فهم لكل ما يلقى عليه من دروس، وقدرة فائقة على استيعابها واستظهارها حتى فرح به أبوه فرحًا كبيرًا.

وما أن قوي عوده واشتدّ ساعده حتى كانت الحدائق الملكية ميدانًا للتدريب على ركوب الخيل وقيادة العجلات، حتى مهر فيهما مهارة فائقة. وكثيرًا ما كان يقضي أوقات

فراغه في صيد الغزلان وفي التسابق بالخيل، ولكنه غالبًا ما كان يطلق سراح ما يصطاده من غزلان، ويتوقّف في منتصف السباق عندما يجد جواده قد فقد أنفاسه وأضناه الجري، ذلك لأن نفسه المرهفة لا ترضى لأحد أن يتألّم، ولا ترتاح إلى التسلّي بتعذيب الحيوان واللهو بإيذاء الغزلان والخيل.

وعاش جوتاما في صباه عيشة خالية من تلك الآلام التي يقاسيها من يوجد خارج قصور الحكام. وكان قرة عين أبيه يوفّر له حياة النعيم والرفاهية على الدوام. فأمضى جوتاما شبابه في مرح طاهر ولهو بريئ لا يعكّر صفو حياته شيء من الأشياء.

ولكن يروى أن حادثًا أنزل بنفسه الكآبة مما أحزن أباه، فخاف أن يؤدّي به إلى ذلك المستقبل الذي تنبّأ به العرافون والمنجمون، ويلخص هذا الحادث في أنه حصل ذات يوم من أيام الربيع أن كان سرب من البجع طائرًا فوق الحديقة الملكية ومسافرًا إلى موطنه الأصلي نحو الشمال حيث جبال الهمالايا الشاهقة، فإذا بأحد رفاقه من الأمراء يصوّب سهمه نحو إحداها فأصابها في جناحها وسقطت ملطّخة بالدم بالقرب من جوتاما.

وما كاد يراها تئنّ من الجرح حتى أسرع إليها وأمسكها وأخذ يربت عليها بعد أن نزع السهم من جناحها ثم ضمد جراحها. ولما عجز عن تسكين آلام الطائر حزن حزنًا عميقًا مما دعا والده إلى أن يهتمّ بعلاج هذه البجعة. ولما شفيت أخلى جوتاما سبيلها وتركها تلحق بذويها. وأراد والده أن يزيل أثر هذا الحادث من نفسه ويعيد إليه بهجته ومرحه.

وكان قد أتى عيد الحرث عيد الربيع، فطلب من جوتاما أن يخرج إلى الحقول ويشاهد خضرتها والثمار الناضرة والأزهار اليانعة ويسمع تغريد الطيور ويتمتع بمباهج الطبيعة الجميلة الخلابة.

ولكن جوتاما لم ير وجه الحياة الباسم في الربيع ولم يلحظ ما في الطبيعة من جمال، وإنما رأى وجهها العابس وصورها الحزينة، رأى أن تلك الحقول لم تخضرّ، وأن تلك الثمار لم تنضج، وأن تلك الأزهار لم تتفتّح، إلا بكدّ الفلّاح المرهق لبدنه، الذي لم يبذله إلا سعيًا وراء القوت.

وأن الحقول والأثمار والأزهار لا تتمتع بما تتمتّع به من جمال، إلا بعد أن ترهق الماشية إرهاقًا شاقًّا في وهج الشمس، ويستغلّها الفلّاح إستغلالًا بشعًا من أجل منفعته.

وأن الطيور التي تغرّد تعيش على التقاط الديدان التي تعيش بدورها على كائنات حيّة أخرى، وأن جميع المخلوقات الحيّة من كبيرها إلى صغيرها يعيش على الفتك بغيرها، ولا يوجد إنسان أو حيوان أو حشرة يمكن أن يعيش دون أن تزهق حياة كائن ما.

فبدلًا من أن تسري أفراح عيد الربيع عن جوتاما، وتبعث في نفسه البهجة والسرور، ساقته سوقًا إلى التأمّل في مآسي الحياة ، وبدلًا من أن يشارك الجميع في فرحهم ولهوهم، إذا به ينزوي في مكان هادئ ، بعيدًا عن الصخب، سارحًا في عالم من الأفكار، لا يرتبط بصلة بما يدور حوله من مرح وحبور.

ولقد انزعج سودهودانا لحالة ابنه أشدّ الانزعاج ، وفكّر تفكيرًا جدّيًّا في الوسائل التي تدخل السرور في قلبه وتبعد عنه تلك الهواجس التي تدفعه إلى الانعزال وتسوقه إلى ذلك المصير الذي تنبّأ به المنجمون.

وسودهودانا لا يرضى لوحيده أن يعيش هائمًا على وجهه في أحراش الغابات وبين شعب الجبال، فعمد إلى تيسير كل سبل الترفيه، التي كثيرًا ما كان يلجأ إليها الحكّام عندما

يستولي على أحد أبنائهم ضرب من الغمّ والكرب والكآبة، يحثّه على قطع صلاته بكلّ ما يتّصل بالناس.

وكثيرًا ما كانت تنجح سبل الترفيه في إزالة كلّ ما يعكّر صفو ابن الحاكم الحزين، وتحبّبه في الحياة وفي الاندماج فيها. ولكن هذه السبل لم تنفع مع جوتاما، بل زادته نفورًا من الحياة وإمعانًا في العزلة والتأمّل.

لقد شيّد سودهودانا ثلاثة قصور ليقضي في كل منها فصلًا من فصول السنة التي ينقسم إليها مناخ الهند. فكان قصر فصل البرودة مصنوعًا من قطع الأشجار مربّعة الشكل مغطّاة بطبقة من أخشاب الأرز ليكون دافئًا.

أما قصر فصل الحرارة فكان مبنيًّا من الرخام المرمر المعرّج ليكون رطبًا. وشيّد قصر فصل الأمطار من الآجر الأزرق ليلهو فيه وقت الحصاد.

وكانت هذه القصور تحاط بحدائق فسيحة غنّاء مورقة يانعة على الدوام، تنساب مجاري الأنهار بين جنباتها الزاهرة. إلا أن الحياة المترفة الحلوة الناعمة لم تنزع الحزن العميق من جوتاما، فاضطرّ سودهودانا على عادته إلى أن يطلب العون من العرافين والمنجمين وقراء الطوالع.

وفحص جوتاما من جديد لعلّهم يجدون ما يطمئن قلبه، أو يعثرون على علامات تكذّب تنبّؤهم القديم ، ولكنهم أكّدوا له أن المصير المحتوم لا بدّ بالغه، إذا رأى على التوالي كهلًا فمريضًا فميتًا فزاهدًا [1] .

---

[1] صفحات ٩- ١٨ من نفس الكتاب.

التضييق على الطفل بوذا

فَنَبَتَ ابْنُ الْمَلِكِ أَحْسَنَ نَبَاتٍ فِي جِسْمِهِ وَ عَقْلِهِ وَ عِلْمِهِ وَ رَأْيِهِ، وَ لكِنَّهُ لَمْ يُؤْخَذْ بِشَيْءٍ مِنَ الْآدَابِ إِلَّا بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمُلُوكُ، مِمَّا لَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ مَوْتٍ وَ لَا زَوَالٍ وَ لَا فَنَاءٍ.

وَ أُوتِيَ الْغُلَامُ مِنَ الْعِلْمِ وَ الْحِفْظِ شَيْئاً كَانَ عِنْدَ النَّاسِ مِنَ الْعَجَائِبِ، وَ كَانَ أَبُوهُ لَا يَدْرِي أَ يَفْرَحُ بِمَا أُوتِيَ ابْنُهُ مِنْ ذَلِكَ أَوْ يَحْزَنُ لَهُ، لِمَا يَتَخَوَّفُ عَلَيْهِ أَنْ يَدْعُوَهُ ذَلِكَ إِلَى مَا قِيلَ فِيهِ.

فَلَمَّا فَطَنَ الْغُلَامُ بِحَصْرِهِمْ إِيَّاهُ فِي الْمَدِينَةِ وَ مَنْعِهِمْ إِيَّاهُ مِنَ الْخُرُوجِ وَ النَّظَرِ وَ الِاسْتِمَاعِ وَ تَحَفُّظِهِمْ عَلَيْهِ ، ارْتَابَ لِذَلِكَ وَ سَكَتَ عَنْهُ ، وَ قَالَ فِي نَفْسِهِ هَؤُلَاءِ أَعْلَمُ بِمَا يُصْلِحُنِي مِنِّي.

حَتَّى إِذَا ازْدَادَ بِالسِّنِّ وَ التَّجْرِبَةِ عِلْماً، قَالَ مَا أَرَى لِهَؤُلَاءِ عَلَيَّ فَضْلًا، وَ مَا أَنَا بِحَقِيقٍ [1] أَنْ أُقَلِّدَهُمْ أَمْرِي. فَأَرَادَ أَنْ يُكَلِّمَ أَبَاهُ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ وَ يَسْأَلَهُ عَنْ سَبَبِ حَصْرِهِ إِيَّاهُ، ثُمَّ قَالَ مَا هَذَا الْأَمْرُ إِلَّا مِنْ قِبَلِهِ، وَ مَا كَانَ لِيُطْلِعَنِي عَلَيْهِ، وَ لَكِنِّي حَقِيقٌ أَنْ أَلْتَمِسَ عِلْمَ ذَلِكَ مِنْ حَيْثُ أَرْجُو إِدْرَاكَهُ.

وَ كَانَ فِي خَدَمِهِ رَجُلٌ كَانَ أَلْطَفَهُمْ بِهِ وَ أَرْأَفَهُمْ بِهِ، وَ كَانَ الْغُلَامُ إِلَيْهِ مُسْتَأْنِساً، فَطَمِعَ الْغُلَامُ فِي إِصَابَةِ الْخَبَرِ مِنْ قِبَلِ ذَلِكَ الرَّجُلِ، فَازْدَادَ لَهُ مُلَاطَفَةً وَ بِهِ اسْتِينَاساً.

---

[1] حقيق = جدير أو أهل أو خليق.

ثُمَّ إِنَّ الْغُلَامَ وَاضَعَهُ الْكَلَامَ [١] فِي بَعْضِ اللَّيْلِ بِاللِّينِ، وَ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ وَالِدِهِ وَ أَوْلَى النَّاسِ بِهِ، ثُمَّ أَخَذَهُ بِالتَّرْغِيبِ وَ التَّرْهِيبِ، وَ قَالَ لَهُ إِنِّي لَأَظُنُّ هَذَا الْمُلْكَ صائر [صَائِراً] [٢] لِي بَعْدَ وَالِدِي، وَ أَنْتَ فِيهِ صَائِرٌ [٣] أَحَدَ رَجُلَيْنِ، إِمَّا أَعْظَمَ النَّاسِ مِنْهُ [٤] مَنْزِلَةً، وَ إِمَّا أَسْوَأَ النَّاسِ حَالًا.

قَالَ لَهُ الْحَاضِنُ [٥] وَ بِأَيِّ شَيْءٍ أَتَخَوَّفُ فِي مُلْكِكَ سُوءَ الْحَالِ ؟

قَالَ بِأَنْ تَكْتُمَنِي الْيَوْمَ أَمْراً أَفْهَمُهُ غَداً مِنْ غَيْرِكَ فَأَنْتَقِمَ مِنْكَ بِأَشَدِّ مَا أَقْدِرُ عَلَيْكَ.

فَعَرَفَ الْحَاضِنُ مِنْهُ الصِّدْقَ وَ طَمِعَ مِنْهُ فِي الْوَفَاءِ، فَأَفْشَى إِلَيْهِ خَبَرَهُ وَ الَّذِي قَالَ الْمُنَجِّمُونَ لِأَبِيهِ وَ الَّذِي حَذَّرَ أَبُوهُ مِنْ ذَلِكَ، فَشَكَرَ لَهُ الْغُلَامُ ذَلِكَ وَ أَطْبَقَ [٦] عَلَيْهِ، حَتَّى إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ أَبُوهُ قَالَ:

يَا أَبَةِ [٧] إِنِّي وَ إِنْ كُنْتُ صَبِيّاً فَقَدْ رَأَيْتُ فِي نَفْسِي وَ اخْتِلَافِ حَالِي أَذْكُرُ مِنْ ذَلِكَ مَا أَذْكُرُ، وَ أَعْرِفُ بِمَا لَا أَذْكُرُ مِنْهُ مَا أَعْرِفُ، وَ أَنَا أَعْرِفُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ عَلَى هَذَا الْمِثَالِ، وَ أَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ، وَ لَا أَنْتَ كَائِنٌ عَلَيْهَا إِلَى الْأَبَدِ، وَ سَيُغَيِّرُكَ الدَّهْرُ عَنْ حَالِكَ هَذِهِ. (يا أبت إني وإن كنت لم أرك صبيًّا وناشئًا فقد رأيت نفسي واختلاف

---

[١] واضعه الرأي = أطلعه على رأيه واطّلع على رأيه.

[٢] في نسخة المجلسي سائر (سائرًا).

[٣] في نسخة المجلسي سائر.

[٤] في نسخة المجلسي فيه.

[٥] الحاضن = الحافظ و المؤدّب. الحاضنة = التي تقوم على الصغير في تربيته.

[٦] أطبق = سكت.

[٧] في نسخة المجلسي يا أبه.

حالي، وأذكر منه ما أذكر، وأعرف بما أذكر من ذلك ما لا أذكر، وأعلم أنك لم تكن على هذا المثال، ولا على هذه الحالة التي مذ كنت قطّ، ولا أنت كائن عليها إلى الأبد)[1].

فَلَئِنْ كُنْتَ أَرَدْتَ أَنْ تُخْفِيَ عَنِّي أَمْرَ الزَّوَالِ فَمَا خَفِيَ عَلَيَّ ذَلِكَ، وَ لَئِنْ كُنْتَ حَبَسْتَنِي عَنِ الْخُرُوجِ، وَ حُلْتَ بَيْنِي وَ بَيْنَ النَّاسِ، لِكَيْ لَا تَتُوقَ نَفْسِي إِلَى غَيْرِ مَا أَنَا فِيهِ.

لَقَدْ تَرَكْتَنِي بِحَصْرِكَ إِيَّايَ (في شغل لم أنفكّ عنه) [2]، وَ إِنَّ نَفْسِي لَقَلِقَةٌ مِمَّا تَحُولُ بَيْنِي وَ بَيْنَهُ، حَتَّى مَا لِي هَمٌّ غَيْرُهُ، وَ لَا أَرَدْتُ سِوَاهُ، حَتَّى لَا يَطْمَئِنُّ قَلْبِي إِلَى شَيْءٍ مِمَّا أَنَا فِيهِ، وَ لَا أَنْتَفِعُ بِهِ وَ لَا آلَفُهُ. فَخَلِّ عَنِّي (والنظر إلى الناس) [3]، وَ أَعْلِمْنِي بِمَا تَكْرَهُ مِنْ ذَلِكَ وَ تَحْذَرُهُ، حَتَّى أَجْتَنِبَهُ وَ أُوثِرَ مُوَافَقَتَكَ وَ رِضَاكَ عَلَى مَا سِوَاهُمَا.

فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ ذَلِكَ مِنِ ابْنِهِ عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ مَا الَّذِي يَكْرَهُهُ، وَ أَنَّهُ مِنْ حَبْسِهِ وَ حَصْرِهِ لَا يَزِيدُهُ إِلَّا إِغْرَاءً وَ حِرْصاً عَلَى مَا يُحَالُ بَيْنَهُ وَ بَيْنَهُ.

فَقَالَ يَا بُنَيَّ مَا أَرَدْتُ بِحَصْرِي إِيَّاكَ إِلَّا أَنْ أُنَحِّيَ عَنْكَ الْأَذَى، فَلَا تَرَى إِلَّا مَا يُوَافِقُكَ، وَ لَا تَسْمَعُ إِلَّا مَا يَسُرُّكَ. فَأَمَّا إِذَا كَانَ هَوَاكَ فِي غَيْرِ ذَلِكَ، فَإِنَّ آثَرَ الْأَشْيَاءِ عِنْدِي مَا رَضِيتَ وَ هَوِيتَ.

ثُمَّ أَمَرَ الْمَلِكُ أَصْحَابَهُ أَنْ يُرْكِبُوهُ فِي أَحْسَنِ زِينَةٍ وَ أَنْ يُنَحُّوا عَنْ طَرِيقِهِ كُلَّ مَنْظَرٍ قَبِيحٍ، وَ أَنْ يُعِدُّوا لَهُ الْمَعَازِفَ وَ الْمَلَاهِيَ. فَفَعَلُوا ذَلِكَ، فَجَعَلَ بَعْدَ رَكْبَتِهِ تِلْكَ يُكْثِرُ الرُّكُوبَ.

---

[1] بلوهر وبوذاسف صفحة ٢٧.

[2] بلوهر وبوذاسف صفحة ٢٧.

[3] بلوهر وبوذاسف صفحة ٢٧.

فَمَرَّ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى طَرِيقٍ قَدْ غَفَلُوا عَنْهُ، فَأَتَى عَلَى رَجُلَيْنِ مِنَ السُّؤَّالِ [1] ، أَحَدُهُمَا قَدْ تَوَرَّمَ وَ ذَهَبَ لَحْمُهُ وَ اصْفَرَّ جِلْدُهُ وَ ذَهَبَ مَاءُ وَجْهِهِ وَ سَمُجَ مَنْظَرُهُ، وَ الْآخَرُ أَعْمَى يَقُودُهُ قَائِدٌ.

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ اقْشَعَرَّ مِنْهُمَا وَ سَأَلَ عَنْهُمَا. فَقِيلَ لَهُ إِنَّ هَذَا الْمُوَرَّمَ مِنْ سُقْمٍ بَاطِنٍ، وَ هَذَا الْأَعْمَى مِنْ زَمَانَةٍ.

فَقَالَ ابْنُ الْمَلِكِ وَ إِنَّ هَذَا الْبَلَاءَ لَيُصِيبُ غَيْرَ وَاحِدٍ ؟

قَالُوا نَعَمْ.

فَقَالَ هَلْ يَأْمَنُ أَحَدٌ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يُصِيبَهُ مِثْلُ هَذَا ؟

قَالُوا لَا.

(قال بوذاسف فهل أحد ممّن يصيبه هذا في عينيه ليستطاع ردّ بصره إليه ؟ قالوا لا) [2] .

وَ انْصَرَفَ يَوْمَئِذٍ مَهْمُوماً ثَقِيلًا مَحْزُوناً بَاكِياً مُسْتَخِفّاً بِمَا هُوَ فِيهِ مِنْ مُلْكِهِ وَ مُلْكِ أَبِيهِ ، فَلَبِثَ بِذَلِكَ أَيَّاماً.

ثُمَّ رَكِبَ رَكْبَةً، فَأَتَى فِي مَسِيرِهِ عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ قَدِ انْحَنَى مِنَ الْكِبَرِ، وَ تَبَدَّلَ خَلْقُهُ، وَ ابْيَضَّ شَعْرُهُ، وَ اسْوَدَّ لَوْنُهُ، وَ تَقَلَّصَ جِلْدُهُ ، وَ قَصُرَ خَطْوُهُ، فَعَجِبَ مِنْهُ وَ سَأَلَ عَنْهُ. فَقَالُوا هَذَا الْهَرَمُ.

---

[1] في بعض النسخ (فأتى عليه رجلان من السؤال).

[2] بلوهر وبوذاسف صفحة ٢٨.

فَقَالَ وَ فِي كَمْ تَبْلُغُ الرَّجُلُ مَا أَرَى ؟

قَالُوا فِي مِائَةِ سَنَةٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ.

وَ قَالَ فَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ ؟

قَالُوا الْمَوْتُ.

قَالَ فَمَا يُخَلَّى بَيْنَ الرَّجُلِ وَ بَيْنَ مَا يُرِيدُ مِنَ الْمُدَّةِ ؟

قَالُوا لَا. وَ لَيَصِيرَنَّ إِلَى هَذَا فِي قَلِيلٍ مِنَ الْأَيَّامِ.

(وليبلغنّ ما أرى، ثمّ لا ينتظر بعده إلا الموت، إنّ هذا الأمر لغير ما يظنّ به الجهّال، وإنّ هذا الأمر لغير ما تشتغل به أنفسنا، ولغير ما نحن فيه) [١] .

فَقَالَ الشَّهْرُ ثَلَاثُونَ يَوْماً وَ السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً وَ انْقِضَاءُ الْعُمُرِ مِائَةُ سَنَةٍ. فَمَا أَسْرَعَ الْيَوْمَ فِي الشَّهْرِ، وَ مَا أَسْرَعَ الشَّهْرَ فِي السَّنَةِ، وَ مَا أَسْرَعَ السَّنَةَ فِي الْعُمُرِ !

فَانْصَرَفَ الْغُلَامُ وَ هَذَا كَلَامُهُ يَبْدَؤُهُ وَ يُعِيدُهُ مُكَرِّراً لَهُ.

ثُمَّ سَهِرَ لَيْلَتَهُ كُلَّهَا، وَ كَانَ لَهُ قَلْبٌ حَيٌّ ذَكِيٌّ، وَ عَقْلٌ لَا يَسْتَطِيعُ مَعَهُ نِسْيَاناً وَ لَا غَفْلَةً. فَعَلَاهُ الْحُزْنُ وَ الِاهْتِمَامُ، فَانْصَرَفَ نَفْسُهُ عَنِ الدُّنْيَا وَ شَهَوَاتِهَا، وَ كَانَ فِي ذَلِكَ يُدَارِي أَبَاهُ وَ يَتَلَطَّفُ عِنْدَهُ، وَ هُوَ مَعَ ذَلِكَ قَدْ أَصْغَى بِسَمْعِهِ إِلَى كُلِّ مُتَكَلِّمٍ بِكَلِمَةٍ طَمَعَ أَنْ يَسْمَعَ شَيْئاً يَدُلُّهُ عَلَى غَيْرِ مَا هُوَ فِيهِ.

---

[١] بلوهر وبوذاسف صفحة ٢٩.

وَ خَلَا بِحَاضِنِهِ الَّذِي كَانَ أَفْضَى إِلَيْهِ بِسِرِّهِ فَقَالَ لَهُ هَلْ تَعْرِفُ مِنَ النَّاسِ أَحَداً شَأْنُهُ غَيْرُ شَأْنِنَا هَذَا [1] ؟

قَالَ نَعَمْ قَدْ كَانَ قَوْمٌ يُقَالُ لَهُمُ النُّسَّاكُ، رَفَضُوا الدُّنْيَا وَ طَلَبُوا الْآخِرَةَ، وَ لَهُمْ كَلَامٌ وَ عِلْمٌ لَا يُدْرَى مَا هُوَ، غَيْرَ أَنَّ النَّاسَ عَادُوهُمْ وَ أَبْغَضُوهُمْ وَ حَرَّقُوهُمْ، وَ نَفَاهُمُ الْمَلِكُ عَنْ هَذِهِ الْأَرْضِ، فَلَا يُعْلَمُ الْيَوْمَ بِبِلَادِنَا مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَإِنَّهُمْ قَدْ غَيَّبُوا أَشْخَاصَهُمْ يَنْتَظِرُونَ الْفَرَجَ. وَ هَذِهِ سُنَّةٌ فِي أَوْلِيَاءِ اللَّهِ قَدِيمَةٌ يَتَعَاطَوْنَهَا فِي دُوَلِ الْبَاطِلِ.

فَاغْتَصَّ لِذَلِكَ الْخَبَرِ فُؤَادُهُ، وَ طَالَ بِهِ اهْتِمَامُهُ، وَ صَارَ كَالرَّجُلِ الْمُلْتَمِسِ ضَالَّتَهُ الَّتِي لَا بُدَّ لَهُ مِنْهَا، وَ ذَاعَ خَبَرُهُ فِي آفَاقِ الْأَرْضِ، وَ شُهِرَ بِتَفَكُّرِهِ وَ جَمَالِهِ وَ كَمَالِهِ وَ فَهْمِهِ وَ عَقْلِهِ وَ زَهَادَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَ هَوَانِهَا عَلَيْهِ.

[1] في نسخة المجلسي من دون هذا.

زواج جوتاما

فوطّد سودوهودانا العزم على أن لا يرى ابنه أحدًا من هؤلاء الأشخاص على الإطلاق، ويشغله بحياة زوجيّة، ويحيطه بمئات الحسان، حتى يحبّ الحياة، وينجو من تلك النهاية التي لا يرضاها له بحال من الأحوال، لأنه يطمع في أن يكون جوتاما خليفته في الحكم.

ولقد بذل سودهودانا كل ما يستطيع من جهد ليدخل السرور في قلب ابنه الحائر، واتّبع كلّ طريق يبعد عن ذهنه تلك الأفكار المضطربة النافرة من الحياة، ولكن ذهبت جهوده أدراج الرياح. وظلّ جوتاما على ما هو عليه من ميل للوحدة وشغف بالتأمّل الذاهل، لا يشعر بما يحيطه من جمال، ولا ينشرح صدره بما في الحياة من بهجة.

فجمع سودهودانا وزراءه، وطلب منهم المشورة بصدد أطوار ابنه الغريبة، فنصحوه بأن يتّخذ من الحبّ علاجًا لشفاء الشابّ المراهق. فعزم الأب على أن يتيح لجوتاما من المناسبات ما تحيطه بأجمل الفتيات، حتى يقع في غرام يلهيه عن كلّ شيء، ويفتح قلبه لكلّ شيء في الوجود من متعة وفتنة.

فأمر الملك بإقامة حفل كبير، دعا إليه أفتن العذارى، ووعدهنّ بأفخر الهدايا عند حضورهنّ. فتوافدت أجمل الفتيات على القصر في أبهى زينتهنّ، يلبسن أبدع الثياب وأثمن الحلى. ولكن لمّا مررن أمام جوتاما ليقدّمن له التحيّة ويوزّع عليهن الهدايا، لم تنل واحدة منهنّ إعجابه، ولم يجد بينهنّ من هزّت أوتار قلبه، حتى بدا عليه السأم والملل.

ولكن أقبلت فجأة فتاة رائعة الجمال، وما أن وقع نظر جوتاما عليها حتى افتتن بجمالها الخلّاب افتتانًا، واشتعلت نيران الهيام في جوارحه، ووقع في حبّها من أوّل نظرة.

ولما تقدّمت إليه حيّته بابتسامة حلوة رائعة، وطلبت منه هديّتها، فارتبك جوتاما خجلًا، وردّ عليها آسفًا، بأنه قد وزّع جميع الهدايا قبل مجيئها. فقالت هازلة إنها لا تستحقّ هذا العقاب، وإنها لم تأت إثمًا حتى لا تنال الهديّة التي وعدت بها.

فزاد ارتباك جوتاما وردّ عليها متلعثمًا بأنه ليس في الأمر إثم وعقوبة وإنّما هي أتت متأخّرة بعد أن وزّعت جميع الهدايا. ثم خلع قلادة من حول رقبته وألبسها إياها، ثم أمر بإحضار هدايا ثمينة أخرى وهبها جميعًا لهذه السيّدة الرائعة الجمال.

لم يغفل رجال الحاشية عن نظرات جوتاما الولهانة إلى يزودهارا ابنة ملك كولي، وأدركوا أنها لا تخلو من إعجاب وهيام، وتسمّعوا إلى همسات حديثهما.

فأدركوا أن اهتمام جوتاما الكبير بيزودهارا أنه ولع بجمالها الفاتن واستمرأ حديثها الساحر ، فأسروا بقصّة النظرات والحديث إلى سودهودانا ، فسرّ سرورًا عظيمًا، ووجد في يزودهارا المنقذ الوحيد لابنه من هاوية الزهد، ورأى أن حياته بجوارها قد تحثّه على الإقبال على الحياة بما فيها من متع ولذّات، يشفى من تلك الانفعالات العابسة التي تلوّن أفكاره بألوان قاتمة.

فأرسل أحد رجال الدين إلى والدها ليطلب يدها لابنه، ولكن لم يكن جوتاما أوّل من رغب في الزواج منها، وإنّ هناك كثيرًا من الأمراء رغبوا في الفوز بها.

وكان من عادة هؤلاء القوم في ذلك الوقت أن يجري بين الراغبين في الزواج مباراة، يتنافسون فيها في شتى الفنون الحربية والرياضية والثقافية والدينية، فمن يتفوّق على الجميع يفوز بالعروس، لأنّه أثبت أنه جدير بها.

وأخبر والد يزودهارا الكاهن بأنّ جوتاما شابّ مترف مدلّل يعيش عيشة ناعمة، وأنه لا يصلح لابنته زوجًا، وأنّ التقاليد تحتّم على الزوج أن يكون فارسًا مقدامًا بارعًا في الفنون العسكرية، مبرّزًا في الألعاب الرياضية، كما أن هناك كثيرًا من الأمراء تقدّموا لخطبة يزودهارا، ولا بدّ أن تقام مباراة بينهم، من ينتصر فيها يفوز بها.

فعاد الكاهن إلى سودهودانا وأخبره بما سمعه من ملك كولي، فحزن حزنًا عميقًا، وخاف أن يفشل إبنه في التغلّب على أقرانه في تلك المباراة، ولا يحصل على من عشقها فؤاده، فتتوغّل الكآبة في قلب العاشق، وتعميه عن كلّ ما في الدنيا من رونق وبهاء.

ولكن لمّا وصل أمر هذه المباراة إلى سمع جوتاما ابتسم ابتسامة التحدّي، ووطّد العزم على أن يخوضها، وينتصر على كلّ من يتقدّم لمنافسته. وأقام حاكم كولي حفلًا كبيرًا أشبه بذلك الذي وصفته ملحمة المهاراتا، والذي أقامه والد دروبادي حينما تكاثر الراغبون في الزواج منها، وفاز بها أرجونا بعد أن تفوّق على كلّ من تصدّى له في المباراة.

ولقد تجمّع حشد كبير من الناس في الحفل الذي أقامه والد يزودهارا من سادة ساكيا وسادة كولي، وقصده كثير من سكّان المدن والقرى المجاورة ليشاهدوا تلك المباراة.

وذهبت العروس إلى الحفل وسط أهلها يحفّ بها الموسيقيّون يصدحون بأشجى الألحان، ثم أخذ يقبل الأمر اء المتنافسون تباعًا، وأخيرًا أتى جوتاما راكبًا جواده المحبوب كانتاكا.

ولقد كان الحفل مهيبًا أرهب جوتاما، ولكن ما أن رأى يزودهارا حتى ذهبت عن نفسه تلك الرهبة، واعتلى وجهه ابتسامة مشرقة، مصمّمًا على الفوز بمن استولت على مجامع قلبه.

وحين بدأت المباراة فاق جوتاما إخوانه ببراعته في استخدام السيف والقوس والسهم والهراوة، وأبدى قدرة فائقة على كبح جماح أكثر الخيول هياجًا، وترويضها على الركوب.

وأظهر مهارة فائقة في قيادة العربات الحربية وركوب الفيلة الضخمة، كما تقدّم الصفوف في الألعاب الرياضية التي خاضها. ففاز في السباحة والجري بقصب السبق، وقهر كلّ من وقف أمامه في حلبة المصارعة والملاكمة، وبذّ الجميع في دقّة إصابة الهدف بالسهم، كما كان أبعدهم مرمى، وأقدرهم على حمل وشدّ أثقل الأقواس وأصلبها.

ولم يتفوّق جوتاما على منافسيه في الفنون العسكرية والألعاب الرياضية فقط، إنما تفوّق عليهم كذلك في فنون الشعر والرسم والموسيقى والرقص، وفي العلوم الدينية، وفي السحر، وفي تفسير الأحلام.

فحقّ لجوتاما أن ينال يزودهارا، لأنّ براعته العسكرية وتفوّقه الرياضي وتقدّمه العلمي والثقافي تلزم حاكم كولي أن يزوّج يزودهارا لجوتاما، بعد أن أثبت امتيازه في كلّ مضمار، وأقنع الجميع بأنه يستحقّ العروس عن جدارة.

بعد ذلك أخذ الجميع يستعدّون لحفل الزواج، فأقيمت الشعائر الدينية الخاصّة بالزواج في يوم اختلف الرواة في تحديد تاريخه، ولكن جميع ما ذكروه من تواريخ يبيّن إما أن الزواج تمّ قبل أن يتمّ جوتاما السادسة عشرة، أو بعد أن تعدّى التاسعة عشرة من عمره.

وما أن تمّت طقوس الزواج ومراسيمه العديدة، حتى أقامت يزودهارا مع زوجها في أحد قصوره الثلاثة، بعد أن سبقتها إليه آلاف الحسان ليقمن برعاية جوتاما تحت

إشراف يزودهارا، وكان بينهن المغنّيات ذات الأصوات الساحرة، والعازفات البارعات في عزف أعذب الألحان.

وكان بينهنّ أيضًا من يتوفّرن على خدمته، يسرعن في تلبية طلباته، ويحقّقن رغباته. وكانت الحسان تملأ جنبات القصر، حتى لا يخطو خطوة إلا وتقع عيناه على غادة ساحرة فاتنه.

وأشيع أنه اتّخذ منهنّ محظيّات وزوجات، وإن ظلّت يزودهارا الزوجة الأولى المتربّعة على عرش قلبه. وظلّ جوتاما يعيش في قصوره عيشة كلّها متعة ونعومة، يرشف من شهد الحياة ما لذّ وطاب ، ويرتع في أحضان الحسان ما يربو عن عشر سنوات. وقصد والده من وراء ذلك أن يغرقه في حياة الملذّات الحسّيّة، حتى تظلّ عواطفه حبيسة الهيام.

ولكن لمّا أشبع جوتاما شهواته إشباعًا تامًّا، وأرضى جميع نزواته، ولبّى نداء كل رغبة، جاء وقت لم تعد فيه شهوته تشتهي متعة، ولم تجد نزواته لذّة لم تعبّ فيها عبًّا، فتوقّفت رغباته عن طلب المتع وأخذ يتضائل إقباله عليها، وبدأ يملّ حياة القصور، وعاد إلى حالته قبل الزواج، وفقد الشعور بالمرح والسرور، ولم يعد يحفل بما يحيطه من جمال وفتنة وبهجة.

وإذا به لا يطيق عيشته اللاهية الصاخبة، وإذا بالنزعات القاتمة تسيطر على تفكّره من جديد، وأحسّ بنفور من الحسان، واشمأزّ من الملذّات.

وكان يتولّاه الحزن والغمّ من حين لآخر، وينزع للوحدة والتأمّل والوجوم ، وكانت هذه النكسة من البوادر التي جعلت سودهودانا يحسّ بأنّ ميعاد انصراف ابنه عن حياة

القصور قريب، ممّا دعاه إلى تشديد المراقبة عليه وإبعاد كلّ ما يبعث على الألم والحزن من طريقه.

وأصدر الأوامر المشدّدة بإقصاء أي كهل أو مريض أو ميّت أو ناسك، قبل أن يسير جوتاما في أيّ طريق. وزيادة في الحرص طلب من الحرّاس إزالة الحيوانات النافقة والطيور الميّتة والأزهار الذابلة من الحدائق الملكية في الصباح المبكّر، قبل أن يستيقظ جوتاما، حتى لا تقع عيناه عليها، أو يرى المرض والشيخوخة والموت ممثّلا فيها ، فيزهد الحياة ويعتزل، ويطلب حياة النسّاك ليتخلّص من آلام الحياة، ويتحرّر من أحزانها [1] .

[1] صفحات ١٨-٢٤ من نفس الكتاب.

عطف بوذا على شاة

هذا الفصل قد غاب عن الشيخين الصدوق والمجلسي وذكره دانيال جيماريه [1] .

فلما رأى أبوه ما داخله من الهمّ والحزن، والتماسه العلم والحكمة، واستلذاذه كلّ حديث يذكر فيه ذكر الآخرة، أمر بإدخاله على نسائه، وأمرهنّ أن يخدعنه ويفتنّه بحلاوة كلام النساء، وأن يأتين باللؤلؤ والياقوت والزبرجد ومن ثياب الديباج والإستبرق ومن لباس الملوك فيضعنها بين يديه ويمازحنه ويلاعبنه حتى يفتنّه، فجمع له ذلك ولم ينظر إليه ولا إليهن.

فدعا الملك الكهنة والمنجّمين فسألهم عن حاله وأمره فقال بعضهم:

- أيها الملك إن هذا الغلام لن يتعلّق من الدنيا بشيء حتى يهريق دمًا.

فدعا الملك بشاة وسكّين ودخل على نسائه وأدخل الغلام معه عند والدة الغلام فقالا له:

- إنا نحبّ أن تذبح لنا هذه الشاة يا ولدنا.

فقال لها الغلام أين عنكما الخدم يكفوني هذه المؤونة وما الذي يدعوكما إلى ما أرى.

قالا: قد أنعمت علينا آلهتنا وأكرمتنا بك فنحن نحبّ أن نأكل ذبيحتك.

قال بوذاسف: أعفياني من هذا فإني أرقّ وأجزع منه وآثم.

قالا: إنه ليس عليك في هذا إثم، ونحن نحمل إثمه عنك، وأنت بريئ من وزره.

[1] في كتابه بلوهر وبوذاسف صفحات ٣٠ إلى ٣٢.

فلما ألحّا عليه قال الغلام:

- أما اذا ضمنتما لي أنكما تكفياني وزره فسأفعل ذلك لرضاكما.

فلفّ كمّه وأخذ أطراف أقبيته فأدخلها في منطقته، وأضجع الشاة، وقال لأبيه امسك رأسها، وقال لوالدته امسكي قوائمها، وأخذ السكّين بيمينه، ووضع شماله تحت عنق الشاة في الأرض، ثم ضرب السكّين كأنه يريد ذبح الشاة بشماله، فنفذ السكّين في كفّه، وخرّ مغشيًّا عليه.

وصاح أبوه وصكّت أمّه وجهها وأفاق الغلام فنزعوا السكّين من يده وقال الغلام:

- يا أبت إني مجهود فروّح عنّي ما أنا فيه من الألم والكرب.

قال له أبوه يا بنيّ اصبر فإنك تبرأ عن قريب ويذهب عنك ما تجد من الوجع.

قال الغلام ادع لي الأطباء ليشفوني من ساعتهم.

قال أبوه لا أقدر عليه.

قال يا أبت فاحمل عنّي بعض ما أجد من الوجع.

قال لا أجد إلى ذلك سبيلًا.

فضحك الغلام وقال:

- أيّها الملك فلا تغرّني بقولك إنك تحمل عني إثمه ووزره، وأنت في ملكك تعجز أن تشفيني من ألم سكّين صغير، فكيف تقدر على أن تؤخّر عنّي نارًا موقدة، وجهنم مسجّرة، إذا كنت فريدًا وحيدًا، قد سلبت مملكتك وخلّفتها لغيرك، وبطل سلطانك،

وتبدّدت جنودك وهلكت مقاتلك، وفرّق بينك وبين كنوزك وخزائنك، وتدعو فلا تجاب، وتستغيث فلا تغاث، وصرت إلى ما قدّمت من أعمالك، فلا همّ لك إلا همّ نفسك ، وقد قيل إن جميع ما نال أهل الدنيا إلى انقضائها من اللذات لا يعدل ساعة من عذاب النار المعدّة لأهلها في الآخرة.

وبرئ الغلام من جرح يده وصحّ.

بلوهر معلم بوذا

فَبَلَغَ ذَلِكَ رَجُلًا مِنَ النُّسَّاكِ يُقَالُ لَهُ بِلَوْهَرُ بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا سَرَنْدِيبُ كَانَ رَجُلًا نَاسِكاً حَكِيماً. فَرَكِبَ الْبَحْرَ حَتَّى أَتَى أَرْضَ سُولَابِطَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بَابِ ابْنِ الْمَلِكِ فَلَزِمَهُ، وَ طَرَحَ عَنْهُ زِيَّ النُّسَّاكِ، وَ لَبِسَ زِيَّ التُّجَّارِ، وَ تَرَدَّدَ إِلَى بَابِ ابْنِ الْمَلِكِ، حَتَّى عَرَفَ الْأَهْلَ وَ الْأَحِبَّاءَ وَ الدَّاخِلِينَ إِلَيْهِ.

فَلَمَّا اسْتَبَانَ لَهُ لُطْفُ الْحَاضِنِ بِابْنِ الْمَلِكِ وَ حُسْنُ مَنْزِلَتِهِ مِنْهُ، أَطَافَ [1] بِهِ بِلَوْهَرُ حَتَّى أَصَابَ مِنْهُ خَلْوَةً ، فَقَالَ لَهُ إِنِّي رَجُلٌ مِنْ تُجَّارِ سَرَنْدِيبَ قَدِمْتُ مُنْذُ أَيَّامٍ وَ مَعِي سِلْعَةٌ عَظِيمَةٌ نَفِيسَةُ الثَّمَنِ عَظِيمَةُ الْقَدْرِ فَأَرَدْتُ الثِّقَةَ لِنَفْسِي فَعَلَيْكَ وَقَعَ اخْتِيَارِي.

وَ سِلْعَتِي خَيْرٌ مِنَ الْكِبْرِيتِ الْأَحْمَرِ، وَ هِيَ تُبْصِرُ الْعُمْيَانَ وَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَ تُدَاوِي [2] الْأَسْقَامَ وَ تُقَوِّي مِنَ الضَّعْفِ وَ تَعْصِمُ مِنَ الْجُنُونِ وَ تَنْصُرُ عَلَى الْعَدُوِّ، وَ لَمْ أَرَ بِهَذَا أَحَداً هُوَ أَحَقُّ بِهَا مِنْ هَذَا الْفَتَى. فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَذْكُرَ لَهُ ذَلِكَ ذَكَرْتَهُ، فَإِنْ كَانَ لَهُ فِيهَا حَاجَةٌ أَدْخَلْتَنِي عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَخْفَ عَنْهُ فَضْلُ سِلْعَتِي لَوْ قَدْ نَظَرَ إِلَيْهَا.

قَالَ الْحَاضِنُ لِلْحَكِيمِ إِنَّكَ لَتَقُولُ شَيْئاً مَا سَمِعْنَا بِهِ مِنْ أَحَدٍ قَبْلَكَ، وَ لَا أَرَى بِكَ بَأْساً، وَ مَا مِثْلِي يَذْكُرُ مَا لَا يَدْرِي [3] مَا هُوَ. فَاعْرِضْ عَلَيَّ سِلْعَتَكَ أَنْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنْ رَأَيْتَ شَيْئاً يَنْبَغِي لِي أَنْ أَذْكُرَهُ ذَكَرْتُهُ.

---

[1] أطاف = أكثر الطواف.

[2] في نسخة المجلسي وتداوي من الأسقام.

[3] في نسخة المجلسي بإضافة به.

قَالَ لَهُ بِلَوْهَرُ إِنِّي رَجُلٌ طَبِيبٌ، وَ إِنِّي لَأَرَى فِي بَصَرِكَ ضَعْفاً، فَأَخَافُ إِنْ نَظَرْتَ إِلَى سِلْعَتِي أَنْ يَلْتَمِعَ بَصَرُكَ، وَ لكِنِ ابْنُ الْمَلِكِ صَحِيحُ الْبَصَرِ حَدَثُ السِّنِّ، وَ لَسْتُ أَخَافُ عَلَيْهِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى سِلْعَتِي. فَإِنْ رَأَى مَا يُعْجِبُهُ كَانَتْ لَهُ مَبْذُولَةً عَلَى مَا يُحِبُّ، وَ إِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ لَمْ تَدْخُلْ عَلَيْهِ مَئُونَةٌ [1] وَ لا مَنْقَصَةٌ، وَ هَذَا أَمْرٌ عَظِيمٌ لَا يَسَعُكَ أَنْ تُحَرِّمَهُ إِيَّاهُ أَوْ تَطْوِيَهُ [2] دُونَهُ.

فَانْطَلَقَ الْحَاضِنُ إِلَى ابْنِ الْمَلِكِ فَأَخْبَرَهُ خَبَرَ الرَّجُلِ، فَحَسَّ قَلْبُ ابْنِ الْمَلِكِ بِأَنَّهُ قَدْ وَجَدَ حَاجَتَهُ، فَقَالَ عَجِّلْ إِدْخَالَ الرَّجُلِ عَلَيَّ لَيْلًا، وَ لْيَكُنْ ذَلِكَ فِي سِرٍّ وَ كِتْمَانٍ، فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا لَا يُتَهَاوَنُ بِهِ.

فَأَمَرَ الْحَاضِنُ بِلَوْهَرَ بِالتَّهَيُّؤِ لِلدُّخُولِ عَلَيْهِ، فَحَمَلَ مَعَهُ سَفَطاً [3] فِيهِ كُتُبٌ لَهُ، فَقَالَ الْحَاضِنُ مَا هَذَا السَّفَطُ ؟

قَالَ بِلَوْهَرُ فِي هَذَا السَّفَطِ سِلْعَتِي فَإِذَا شِئْتَ فَأَدْخِلْنِي عَلَيْهِ.

فَانْطَلَقَ بِهِ حَتَّى أَدْخَلَهُ عَلَيْهِ. فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ بِلَوْهَرُ سَلَّمَ عَلَيْهِ وَ حَيَّاهُ، وَ أَحْسَنَ ابْنُ الْمَلِكِ إِجَابَتَهُ، وَ انْصَرَفَ الْحَاضِنُ ، وَ قَعَدَ الْحَكِيمُ عِنْدَ الْمَلِكِ. فَأَوَّلُ مَا قَالَ لَهُ بِلَوْهَرُ رَأَيْتُكَ يَا ابْنَ الْمَلِكِ زِدْتَنِي فِي التَّحِيَّةِ عَلَى مَا تَصْنَعُ بِغِلْمَانِكَ وَ أَشْرَافِ أَهْلِ بِلَادِكَ.

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ ذَلِكَ لِعَظِيمِ مَا رَجَوْتُ عِنْدَكَ.

---

[1] المؤونة = الشدّة والثقل.

[2] طوى الحديث = كتمه.

[3] السفط = وعاء كالقفّة، أو الزنبيل.

قَالَ بِلَوْهَرُ لَئِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ بِي فَقَدْ كَانَ رَجُلًا مِنَ الْمُلُوكِ فِي بَعْضِ الْآفَاقِ يُعْرَفُ بِالْخَيْرِ وَ يُرْجَى. فَبَيْنَا هُوَ يَسِيرُ يَوْماً فِي مَوْكِبِهِ إِذْ عَرَضَ لَهُ فِي مَسِيرِهِ رَجُلَانِ مَاشِيَانِ، لِبَاسُهُمَا الْخُلْقَانِ، وَ عَلَيْهِمَا أَثَرُ الْبُؤْسِ وَ الضُّرِّ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِمَا الْمَلِكُ لَمْ يَتَمَالَكْ أَنْ وَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ، فَحَيَّاهُمَا وَ صَافَحَهُمَا.

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ وُزَرَاؤُهُ اشْتَدَّ جَزَعُهُمْ مِمَّا صَنَعَ الْمَلِكُ، فَأَتَوْا أَخاً لَهُ وَ كَانَ جَرِيّاً عَلَيْهِ، فَقَالُوا لَهُ إِنَّ الْمَلِكَ أَزْرَى [1] بِنَفْسِهِ وَ فَضَحَ أَهْلَ مَمْلَكَتِهِ وَ خَرَّ عَنْ دَابَّتِهِ لِإِنْسَانَيْنِ دَنِيَّيْنِ. فَعَاتِبْهُ عَلَى ذَلِكَ كَيْ لَا يَعُودَ، وَ لُمْهُ عَلَى مَا صَنَعَ.

فَفَعَلَ ذَلِكَ أَخُ الْمَلِكِ، فَأَجَابَهُ الْمَلِكُ بِجَوَابٍ لَا يَدْرِي مَا حَالُهُ فِيهِ، أَ سَاخِطٌ عَلَيْهِ الْمَلِكُ أَمْ رَاضٍ عَنْهُ. فَانْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ، حَتَّى إِذَا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ أَمَرَ الْمَلِكُ مُنَادِياً وَ كَانَ يُسَمَّى مُنَادِيَ الْمَوْتِ، فَنَادَى فِي فِنَاءِ دَارِهِ، وَ كَانَتْ تِلْكَ سُنَّتَهُمْ فِيمَنْ أَرَادُوا قَتْلَهُ.

فَقَامَتِ النَّوَائِحُ وَ النَّوَادِبُ فِي دَارِ أَخِ الْمَلِكِ، وَ لَبِسَ ثِيَابَ الْمَوْتَى، وَ انْتَهَى إِلَى بَابِ الْمَلِكِ وَ هُوَ يَبْكِي بُكَاءً شَدِيداً وَ نَتَفَ [2] شَعْرَهُ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْمَلِكَ دَعَا بِهِ، فَلَمَّا أُذِنَ لَهُ الْمَلِكُ دَخَلَ عَلَيْهِ وَ وَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ وَ نَادَى بِالْوَيْلِ وَ الثُّبُورِ وَ رَفَعَ يَدَهُ بِالتَّضَرُّعِ.

فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ اقْتَرِبْ أَيُّهَا السَّفِيهُ، أَنْتَ تَجْزَعُ مِنْ مُنَادٍ نَادَى عَلَى [3] بَابِكَ بِأَمْرِ مَخْلُوقٍ، وَ لَيْسَ بِأَمْرِ خَالِقٍ، وَ أَنَا أَخُوكَ وَ قَدْ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ لَكَ إِلَيَّ ذَنْبٌ أَقْتُلُكَ عَلَيْهِ. ثُمَّ أَنْتُمْ تَلُومُونَنِي عَلَى وُقُوعِي إِلَى الْأَرْضِ ، حِينَ نَظَرْتُ إِلَى مُنَادِي رَبِّي إِلَيَّ، وَ أَنَا أَعْرَفُ مِنْكُمْ بِذُنُوبِي. فَاذْهَبْ فَإِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ إِنَّمَا اسْتَفَزَّكَ وُزَرَائِي وَ سَيَعْلَمُونَ خَطَأَهُمْ.

---

[1] أزرى به = وضع من حقّه.

[2] نتف الشعر = نزع.

[3] في نسخة المجلسي نادى من بابك.

ثُمَّ أَمَرَ الْمَلِكُ بِأَرْبَعَةِ تَوَابِيتَ فَصُنِعَتْ لَهُ مِنْ خَشَبٍ، فَطَلَى تَابُوتَيْنِ مِنْهَا بِالذَّهَبِ وَ تَابُوتَيْنِ بِالْقَارِ. فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهَا مَلأَ تَابُوتَيِ الْقَارِ ذَهَباً وَ يَاقُوتاً وَ زَبَرْجَداً، وَ مَلأَ تَابُوتَيِ الذَّهَبِ جِيَفاً وَ دَماً وَ عَذِرَةً وَ شَعْراً.

ثُمَّ جَمَعَ الْوُزَرَاءَ وَ الْأَشْرَافَ الَّذِينَ ظَنَّ أَنَّهُمْ أَنْكَرُوا صَنِيعَهُ بِالرَّجُلَيْنِ الضَّعِيفَيْنِ النَّاسِكَيْنِ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمُ التَّوَابِيتَ الْأَرْبَعَةَ وَ أَمَرَهُمْ بِتَقْوِيمِهَا، فَقَالُوا أَمَّا فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ وَ مَا رَأَيْنَا وَ مَبْلَغِ عِلْمِنَا فَإِنَّ تَابُوتَيِ الذَّهَبِ لَا ثَمَنَ لَهُمَا لِفَضْلِهِمَا وَ تَابُوتَيِ الْقَارِ لَا ثَمَنَ لَهُمَا لِرَذَالَتِهِمَا. فَقَالَ الْمَلِكُ أَجَلْ هَذَا لِعِلْمِكُمْ بِالْأَشْيَاءِ وَ مَبْلَغِ رَأْيِكُمْ فِيهَا.

ثُمَّ أَمَرَ بِتَابُوتَيِ الْقَارِ فَنُزِعَتْ عَنْهُمَا صَفَائِحُهُمَا، فَأَضَاءَ الْبَيْتُ بِمَا فِيهِمَا مِنَ الْجَوَاهِرِ، فَقَالَ هَذَانِ مَثَلُ الرَّجُلَيْنِ الَّذَيْنِ ازْدَرَيْتُمْ لِبَاسَهُمَا وَ ظَاهِرَهُمَا، وَ هُمَا مَمْلُوءَانِ عِلْماً وَ حِكْمَةً وَ صِدْقاً وَ بِرّاً وَ سَائِرَ مَنَاقِبِ الْخَيْرِ، الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْيَاقُوتِ وَ اللُّؤْلُؤِ وَ الْجَوْهَرِ وَ الذَّهَبِ.

ثُمَّ أَمَرَ بِتَابُوتَيِ الذَّهَبِ فَنُزِعَ عَنْهُمَا أَثْوَابُهُمَا (١) ، فَاقْشَعَرَّ الْقَوْمُ مِنْ سُوءِ مَنْظَرِهِمَا، وَ تَأَذَّوْا بِرِيحِهِمَا وَ نَتْنِهِمَا. فَقَالَ الْمَلِكُ وَ هَذَانِ مَثَلُ الْقَوْمِ الْمُتَزَيِّنِينَ بِظَاهِرِ الْكِسْوَةِ وَ اللِّبَاسِ، وَ أَجْوَافُهُمَا مَمْلُوءَةٌ جَهَالَةً وَ عَمًى وَ كَذِباً وَ جَوْراً وَ سَائِرَ أَنْوَاعِ الشَّرِّ، الَّتِي هِيَ أَفْظَعُ وَ أَشْنَعُ وَ أَقْذَرُ مِنَ الْجِيَفِ.

قَالَ الْقَوْمُ لِلْمَلِكِ (٢) قَدْ فُقِّهْنَا وَ اتَّعَظْنَا أَيُّهَا الْمَلِكُ.

(١) في نسخة المجلسي أبوابهما.

(٢) في نسخة المجلسي من دون للملك.

ثُمَّ قَالَ بِلَوْهَرُ هَذَا مَثَلُكَ يَا ابْنَ الْمَلِكِ فِيمَا تَلَقَّيْتَنِي بِهِ مِنَ التَّحِيَّةِ وَ الْبِشْرِ، فَانْتَصَبَ يُوذَاسُفُ ابْنُ الْمَلِكِ وَ كَانَ مُتَّكِئاً ثُمَّ قَالَ زِدْنِي مَثَلًا.

وقليل من عبادي الشكور

قَالَ الْحَكِيمُ إِنَّ الزَّارِعَ خَرَجَ بِبَذْرِهِ الطَّيِّبِ لِيَبْذُرَهُ، فَلَمَّا مَلأَ كَفَّيْهِ [١] وَ نَثَرَهُ، وَقَعَ بَعْضُهُ عَلَى حَافَّةِ الطَّرِيقِ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنِ الْتَقَطَهُ الطَّيْرُ، وَ وَقَعَ بَعْضُهُ عَلَى صَفَاةٍ [٢] قَدْ أَصَابَهَا نَدًى وَ طِينٌ، فَمَكَثَ حَتَّى اهْتَزَّ، فَلَمَّا صَارَتْ عُرُوقُهُ إِلَى يُبْسِ الصَّفَاةِ مَاتَ وَ يَبِسَ، وَ وَقَعَ بَعْضُهُ بِأَرْضٍ ذَاتِ شَوْكٍ، فَنَبَتَ حَتَّى سَنْبَلَ [٣] ، وَ كَادَ أَنْ يُثْمِرَ ، فَغَمَّهُ [٤] الشَّوْكُ فَأَبْطَلَهُ. وَ أَمَّا مَا كَانَ مِنْهُ وَقَعَ فِي الْأَرْضِ الطَّيِّبَةِ، وَ إِنْ كَانَ قَلِيلًا، فَإِنَّهُ سَلِمَ وَ طَابَ وَ زَكَى.

فَالزَّارِعُ حَامِلُ الْحِكْمَةِ، وَ أَمَّا الْبَذْرُ فَفُنُونُ الْكَلَامِ، وَ أَمَّا مَا وَقَعَ مِنْهُ عَلَى حَافَّةِ الطَّرِيقِ فَالْتَقَطَهُ الطَّيْرُ فَمَا لَا يُجَاوِزُ السَّمْعَ مِنْهُ حَتَّى يَمُرَّ صَفْحاً [٥] ، وَ أَمَّا مَا وَقَعَ عَلَى الصَّخْرَةِ فِي النَّدَى فَيَبِسَ حِينَ بَلَغَتْ عُرُوقُهُ الصَّفَاةَ فَمَا اسْتَحْلَاهُ صَاحِبُهُ حَتَّى سَمِعَهُ بِفَرَاغِ قَلْبِهِ وَ عَرَفَهُ بِفَهْمِهِ وَ لَمْ يَفْقَهْ بِحَصَافَةٍ وَ لَا نِيَّةٍ [٦] .

وَ أَمَّا مَا نَبَتَ مِنْهُ وَ كَادَ أَنْ يُثْمِرَ فَغَمَّهُ [٧] الشَّوْكُ فَأَهْلَكَهُ، فَمَا وَعَاهُ صَاحِبُهُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الْعَمَلِ بِهِ حَفَّتْهُ الشَّهَوَاتُ فَأَهْلَكَتْهُ، وَ أَمَّا مَا زَكَى وَ طَابَ وَ سَلِمَ مِنْهُ وَ انْتُفِعَ

---

[١] في نسخة المجلسي كفّه.

[٢] الصفاة = الحجر الصلد الضخم.

[٣] سنبل الزرع = خرج سنبله يعني برّه وشعيره أو ما كان في أعالي سوقه.

[٤] في نسخة المجلسي فمنعه. غمّه الشوك = غطّاه.

[٥] صفح مصدر صفح (عنه) = أعرض عنه وتركه.

[٦] في نسخة المجلسي بحصافة ولايته.

[٧] في نسخة المجلسي فمنعه.

بِهِ فَمَا [1] رَآهُ الْبَصَرُ وَ وَعَاهُ الْحِفْظُ وَ أَنْفَذَهُ الْعَزْمُ بِقَمْعِ الشَّهَوَاتِ وَ تَطْهِيرِ الْقُلُوبِ مِنْ دَنَسِهَا.

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ إِنِّي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ مَا تَبْذُرُهُ أَيُّهَا الْحَكِيمُ مَا يَزْكُو وَ يَسْلَمُ وَ يَطِيبُ فَاضْرِبْ لِي مَثَلَ الدُّنْيَا وَ غُرُورِ أَهْلِهَا بِهَا.

[1] في نسخة المجلسي من دون فما.

نحن والدنيا كمثل الذباب والعسل [1]

قَالَ بِلَوْهَرُ بَلَغَنَا أَنَّ رَجُلًا حَمَلَ عَلَيْهِ فِيلٌ مُغْتَلِمٌ[2] ، فَانْطَلَقَ مُوَلِّياً هَارِباً، وَ اتَّبَعَهُ الْفِيلُ حَتَّى غَشِيَهُ، فَاضْطَرَّهُ إِلَى بِئْرٍ، فَتَدَلَّى فِيهَا، وَ تَعَلَّقَ بِغُصْنَيْنِ نَابِتَيْنِ عَلَى شَفِيرِ الْبِئْرِ، وَ وَقَعَتْ قَدَمَاهُ عَلَى رُءُوسِ حَيَّاتٍ.

فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِالْغُصْنَيْنِ [3] ، فَإِذَا فِي أَصْلِهِمَا جُرَذَانِ يَقْرِضَانِ الْغُصْنَيْنِ، أَحَدُهُمَا أَبْيَضُ وَ الْآخَرُ أَسْوَدُ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى تَحْتِ قَدَمَيْهِ، فَإِذَا رُءُوسُ أَرْبَعِ أَفَاعٍ قَدْ طَلَعْنَ مِنْ جُحْرِهِنَّ.

فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى قَعْرِ الْبِئْرِ، إِذَا بِتِنِّينٍ [4] فَاغِرٍ فَاهُ [5] نَحْوَهُ يُرِيدُ الْتِقَامَهُ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى أَعْلَى الْغُصْنَيْنِ إِذَا عَلَيْهِمَا شَيْءٌ مِنْ عَسَلِ النَّحْلِ فَيَطْعَمُ مِنْ ذَلِكَ الْعَسَلِ فَأَلْهَاهُ مَا طَعِمَ مِنْهُ وَ مَا نَالَ مِنْ لَذَّةِ الْعَسَلِ وَ حَلَاوَتِهِ عَنِ التَّفَكُّرِ فِي أَمْرِ الْأَفَاعِي اللَّوَاتِي لَا يَدْرِي مَتَى يُبَادِرْنَهَ، وَ أَلْهَاهُ عَنِ التِّنِّينِ الَّذِي لَا يَدْرِي كَيْفَ مَصِيرُهُ بَعْدَ وُقُوعِهِ فِي لَهَوَاتِهِ [6] .

أَمَّا الْبِئْرُ فَالدُّنْيَا مَمْلُوءَةً آفَاتٍ وَ بَلَايَا وَ شُرُوراً، وَ أَمَّا الْغُصْنَانِ فَالْعُمُرُ، وَ أَمَّا الْجُرَذَانِ فَاللَّيْلُ وَ النَّهَارُ يُسْرِعَانِ فِي الْأَجَلِ، وَ أَمَّا الْأَفَاعِي الْأَرْبَعَةُ فَالْأَخْلَاطُ الْأَرْبَعَةُ الَّتِي

---

[1] تستهوينا ثم تهلكنا

[2] أي شديد الشهوة. اغتلم الشراب = اشتدّت سورته.

[3] في نسخة المجلسي فلما تبيّن له الغصنين.

[4] التنّين = الحيّة العظيمة.

[5] فاغر فاه = فاتح فمه.

[6] اللهوات جمع اللّهاة = اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.

هِيَ السُّمُومُ الْقَاتِلَةُ مِنَ الْمِرَّةِ [1] وَ الْبَلْغَمِ وَ الرِّيحِ وَ الدَّمِ، الَّتِي لَا يَدْرِي صَاحِبُهَا مَتَى تُهَيِّجَ بِهِ.

وَ أَمَّا التِّنِّينُ الْفَاغِرُ فَاهُ لِيَلْتَقِمَهُ فَالْمَوْتُ الرَّاصِدُ، (والفيل الأجل الطَّالِبُ) [2]، وَ أَمَّا الْعَسَلُ الَّذِي اغْتَرَّ بِهِ الْمَغْرُورُ فَمَا يَنَالُ النَّاسُ مِنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا وَ شَهَوَاتِهَا وَ نَعِيمِهَا وَ دَعَتِهَا مِنْ لَذَّةِ المَطْعَمِ وَ الْمَشْرَبِ وَ الشَّمِّ وَ اللَّمْسِ وَ السَّمْعِ وَ الْبَصَرِ.

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ إِنَّ هَذَا الْمَثَلَ عَجِيبٌ وَ إِنَّ هَذَا التَّشْبِيهَ حَقٌّ، فَزِدْنِي مَثَلًا لِلدُّنْيَا وَ صَاحِبِهَا الْمَغْرُورِ بِهَا الْمُتَهَاوِنِ بِمَا يَنْفَعُهُ فِيهَا.

---

[1] المرّة = خلط من أخلاط البدن، وهو الصفراء أو السوداء.

[2] بلوهر وبوذاسف صفحة ٤٠.

ما أقلّ قرين الصدق

قَالَ بِلَوْهَرُ زَعَمُوا أَنَّ رَجُلًا كَانَ لَهُ ثَلَاثَةُ قُرَنَاءَ، وَ كَانَ قَدْ آثَرَ أَحَدَهُمْ عَلَى النَّاسِ جَمِيعاً، وَ يَرْكَبُ الْأَهْوَالَ وَ الْأَخْطَارَ بِسَبَبِهِ، وَ يُغَرِّرُ [1] بِنَفْسِهِ لَهُ، وَ يُشْغَلُ لَيْلَهُ وَ نَهَارَهُ فِي حَاجَتِهِ.

وَ كَانَ الْقَرِينُ الثَّانِي دُونَ الْأَوَّلِ مَنْزِلَةً، وَ هُوَ عَلَى ذَلِكَ حَبِيبٌ إِلَيْهِ أَمِيرٌ [2] عِنْدَهُ، يُكْرِمُهُ وَ يُلَاطِفُهُ وَ يَخْدُمُهُ وَ يُطِيعُهُ وَ يَبْذُلُ لَهُ وَ لَا يَغْفُلُ عَنْهُ.

وَ كَانَ الْقَرِينُ الثَّالِثُ مَجْفُوّاً [3] مَحْقُوراً مُسْتَثْقِلًا لَيْسَ لَهُ مِنْ وُدِّهِ وَ مَالِهِ إِلَّا أَقَلُّهُ، حَتَّى إِذَا نَزَلَ بِالرَّجُلِ الْأَمْرُ الَّذِي يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى قُرَنَائِهِ الثَّلَاثَةِ، فَأَتَاهُ زَبَانِيَةُ [4] الْمَلِكِ لِيَذْهَبُوا بِهِ، فَفَزِعَ إِلَى قَرِينِهِ الْأَوَّلِ فَقَالَ لَهُ قَدْ عَرَفْتَ إِيثَارِي إِيَّاكَ وَ بَذْلَ نَفْسِي لَكَ، وَ هَذَا الْيَوْمُ يَوْمُ حَاجَتِي إِلَيْكَ فَمَا ذَا عِنْدَكَ ؟

قَالَ مَا أَنَا لَكَ بِصَاحِبٍ، وَ إِنَّ لِي أَصْحَاباً يَشْغَلُونِّي عَنْكَ، هُمُ الْيَوْمَ أَوْلَى بِي مِنْكَ، وَ لَكِنْ لَعَلِّي أُزَوِّدُكَ ثَوْبَيْنِ لِتَنْتَفِعَ بِهِمَا.

ثُمَّ فَزِعَ إِلَى قَرِينِهِ الثَّانِي ذِي الْمَحَبَّةِ وَ اللُّطْفِ، فَقَالَ لَهُ قَدْ عَرَفْتَ كَرَامَتِي إِيَّاكَ وَ لُطْفِي بِكَ وَ حِرْصِي عَلَى مَسَرَّتِكَ، وَ هَذَا يَوْمُ حَاجَتِي إِلَيْكَ ، فَمَا ذَا عِنْدَكَ ؟

---

[1] غرّر بنفسه = عرّضها للهلاك.

[2] في نسخة المجلسي مشفق.

[3] في نسخة المجلسي من دون مجفوًّا.

[4] في نسخة المجلسي جلاوزة.

فَقَالَ إِنَّ أَمْرَ نَفْسِي يَشْغَلُنِي عَنْكَ وَ عَنْ أَمْرِكَ، فَاعْمِدْ [١] لِشَأْنِكَ، وَ اعْلَمْ أَنَّهُ قَدِ انْقَطَعَ الَّذِي بَيْنِي وَ بَيْنَكَ، وَ أَنَّ طَرِيقِي غَيْرُ طَرِيقِكَ، إِلَّا أَنِّي لَعَلِّي أَخْطُو مَعَكَ خُطُوَاتٍ يَسِيرَةً لَا تَنْتَفِعُ بِهَا، ثُمَّ أَنْصَرِفُ إِلَى مَا هُوَ أَهَمُّ إِلَيَّ مِنْكَ.

ثُمَّ فَزِعَ إِلَى قَرِينِهِ الثَّالِثِ الَّذِي كَانَ يُحَقِّرُهُ وَ يَعْصِيهِ وَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ أَيَّامَ رَخَائِهِ، فَقَالَ لَهُ إِنِّي مِنْكَ لَمُسْتَحٍ، وَ لكِنَّ الْحَاجَةَ اضْطَرَّتْنِي إِلَيْكَ، فَمَا ذَا لِي عِنْدَكَ ؟

قَالَ لَكَ عِنْدِي الْمُوَاسَاةُ وَ الْمُحَافَظَةُ عَلَيْكَ وَ قِلَّةُ الْغَفْلَةِ عَنْكَ، فَأَبْشِرْ وَ قَرَّ عَيْناً، فَإِنِّي صَاحِبُكَ الَّذِي لَا يَخْذُلُكَ وَ لَا يُسْلِمُكَ، فَلَا يُهِمَّنَّكَ [٢] قِلَّةُ مَا أَسْلَفْتَنِي [٣] وَ اصْطَنَعْتَ [٤] إِلَيَّ، فَإِنِّي قَدْ كُنْتُ أَحْفَظُ لَكَ ذَلِكَ، وَ أُوَفِّرُهُ عَلَيْكَ كُلَّهُ، ثُمَّ لَمْ أَرْضَ لَكَ بَعْدَ ذَلِكَ [٥] حَتَّى اتَّجَرْتُ لَكَ بِهِ، فَرَبِحْتُ أَرْبَاحاً كَثِيرَةً، فَلَكَ الْيَوْمَ عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ أَضْعَافُ مَا وَضَعْتَ عِنْدِي مِنْهُ.

فَأَبْشِرْ ! وَ إِنِّي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ رِضَا الْمَلِكِ عَنْكَ الْيَوْمَ وَ فَرَجاً مِمَّا أَنْتَ فِيهِ. فَقَالَ الرَّجُلُ عِنْدَ ذَلِكَ مَا أَدْرِي عَلَى أَيِّ الْأَمْرَيْنِ أَنَا أَشَدُّ حَسْرَةً عَلَيْهِ، عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي الْقَرِينِ الصَّالِحِ [٦]، أَمْ عَلَى مَا اجْتَهَدْتُ فِيهِ مِنَ الْمَحَبَّةِ لِقَرِينِ السَّوْءِ.

---

[١] عمد بشأنه = لزم شأنه.

[٢] في نسخة المجلسي فلا يهمّك.

[٣] أسلفه مالًا = أقرضه إياه.

[٤] اصطنع = أحسن.

[٥] في نسخة المجلسي بإضافة به.

[٦] ما أقلّ ما نهتمّ بالقرين الصالح، الذي هو العمل الصالح، والذي هو رأسمالنا في الخلود، وما أكثر ما نهتمّ في دنيانا بالمال الذي يخذلنا، وبالأهل والولد الذين يوصلوننا إلى الحفرة الضيّقة ثم يتركوننا هناك.

قَالَ بِلَوْهَرُ فَالْقَرِينُ الْأَوَّلِ هُوَ الْمَالُ، وَ الْقَرِينُ الثَّانِي هُوَ الْأَهْلُ وَ الْوَلَدُ، وَ الْقَرِينُ الثَّالِثُ هُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ.

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ إِنَّ هَذَا هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ، فَزِدْنِي مَثَلًا لِلدُّنْيَا وَ غُرُورِهَا وَ صَاحِبِهَا الْمَغْرُورِ بِهَا الْمُطْمَئِنِّ إِلَيْهَا.

ملك الدنيا زائل

قَالَ بِلَوْهَرُ كَانَ أَهْلُ مَدِينَةٍ يَأْتُونَ الرَّجُلَ الْغَرِيبَ الْجَاهِلَ بِأَمْرِهِمْ فَيُمَلِّكُونَهُ عَلَيْهِمْ سَنَةً، فَلَا يَشُكُّ أَنَّ مِلْكَهُ دَائِمٌ عَلَيْهِمْ لِجَهَالَتِهِ بِهِمْ، فَإِذَا انْقَضَتِ السَّنَةُ أَخْرَجُوهُ مِنْ مَدِينَتِهِمْ عُرْيَاناً مُجَرَّداً سَلِيباً، فَيَقَعُ فِي بَلَاءٍ وَ شَقَاءٍ لَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ.

فَصَارَ مَا مَضَى عَلَيْهِ مِنْ مُلْكِهِ وَبَالًا وَ خِزْياً[1] وَ مُصِيبَةً وَ أَذًى، ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ تِلْكَ[2] الْمَدِينَةِ أَخَذُوا رَجُلًا آخَرَ فَمَلَّكُوهُ عَلَيْهِمْ. فَلَمَّا رَأَى الرَّجُلُ غُرْبَتَهُ فِيهِمْ لَمْ يَسْتَأْنِسْ بِهِمْ، وَ طَلَبَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ أَرْضِهِ خَبِيراً بِأَمْرِهِمْ حَتَّى وَجَدَهُ، فَأَفْضَى إِلَيْهِ بِسِرِّ الْقَوْمِ، وَ أَشَارَ إِلَيْهِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الْأَمْوَالِ الَّتِي فِي يَدَيْهِ، فَيُخْرِجَ مِنْهَا مَا اسْتَطَاعَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ حَتَّى يُحْرِزَهُ[3] فِي الْمَكَانِ الَّذِي يُخْرِجُونَهُ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَخْرَجَهُ الْقَوْمُ صَارَ إِلَى الْكِفَايَةِ وَ السَّعَةِ بِمَا قَدَّمَ وَ أَحْرَزَ. فَفَعَلَ مَا قَالَ لَهُ الرَّجُلُ وَ لَمْ يُضَيِّعْ وَصِيَّتَهُ.

قَالَ بِلَوْهَرُ وَ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ أَنْتَ ذَلِكَ الرَّجُلَ يَا ابْنَ الْمَلِكِ، الَّذِي لَمْ يَسْتَأْنِسْ بِالْغُرَبَاءِ، وَ لَمْ يَغْتَرَّ بِالسُّلْطَانِ، وَ أَنَا الرَّجُلُ الَّذِي طَلَبْتَ، وَ لَكَ عِنْدِي الدَّلَالَةُ وَ الْمَعْرِفَةُ وَ الْمَعُونَةُ.

---

[1] في نسخة المجلسي وحزنًا.

[2] في نسخة المجلسي من دون تلك.

[3] أحرز الشيء = حازه وصانه وادّخره.

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ صَدَقْتَ أَيُّهَا الْحَكِيمُ، أَنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ [1] وَ أَنْتَ طَلِبَتِي، الَّتِي كُنْتُ طَلَبْتُهَا، فَصِفْ لِي أَمْرَ الْآخِرَةِ تَامّاً، فَأَمَّا الدُّنْيَا فَلَعَمْرِي لَقَدْ صَدَقْتَ، وَ لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْهَا مَا يَدُلُّنِي عَلَى فَنَائِهَا وَ يُزَهِّدُنِي فِيهَا، وَ لَمْ يَزَلْ أَمْرُهَا حَقِيراً عِنْدِي.

[1] في نسخة المجلسي بإضافة وأنت ذلك الرجل.

لِذُوا للموت وابنوا للخراب واجمعوا للضياع [1]

قَالَ بِلَوْهَرُ إِنَّ الزَّهَادَةَ فِي الدُّنْيَا يَا ابْنَ الْمَلِكِ مِفْتَاحُ الرَّغْبَةِ فِي [2] الْآخِرَةِ، وَ مَنْ طَلَبَ الْآخِرَةَ فَأَصَابَ بَابَهَا دَخَلَ مَلَكُوتَهَا.

وَ كَيْفَ لَا تَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا يَا ابْنَ الْمَلِكِ [3] وَ قَدْ آتَاكَ اللَّهُ مِنَ الْعَقْلِ مَا آتَاكَ (وَ قَدْ تَرَى أَنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا دار ظلمة وعداوة ومضرّة ومعصية، وأنّ أشرف ما فيها من الخلق هذا الإنسان الذي بعضه ظاهر وبعضه باطن، والباطن منه مملوّ جهالة وضلالة وغمًّا وسقمًا وكربًا وإثمًا وإفكًا وغيظًا وغضبًا وحقدًا وشرًّا وحزنًا وحرصًا وفاقّة وشهوةً مرديةً وهوى مهلكًا وحبًّا للأوثان وبغضًا للحكمة وإيمانًا بالشيطان وكفرًا بالرحمن وقوّةً على الإثم والعدوان وضعفًا عن البرّ والتقوى، وأما الظاهر فهو أضعف الأنفس وأشدّها ظلمةً وأظهرها نتنًا وقبحًا وقذرًا وأكثرها آفةً) [4] .

---

[1] قَالَ الإمام علي عليه السلام: إِنَّ لِلَّهِ مَلَكاً يُنَادِي فِي كُلِّ يَوْمٍ لِدُوا لِلْمَوْتِ وَاجْمَعُوا لِلْفَنَاءِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ. (حكمة ١٣٢ - نهج البلاغة).

وله عليه السلام شعرًا إذ يقول فيه:

عَجِبْتُ لجَازِعٍ باكٍ مُصابِ ... بِأَهْلٍ أو حَمِيمٍ ذي اكتِئَابِ
يشقُّ الجَيْبَ يَدْعو الوَيْلَ جَهْلاً ... كأنَّ المَوْت بالشيء العُجابِ
وَسَلوى الله فيهِ الخَلْقُ حتّى ... نبيّ الله مِنْهُ لم يُحابِ
لَكَمْ مَلَكٍ يُنادي كُلَّ يَوْمٍ ... لِدُوا لِلمَوْتِ وَابْنُوا للخرابِ

[2] في نسخة المجلسي إلى.

[3] في نسخة المجلسي من دون يا ابن الملك.

[4] بلوهر وبوذاسف ص٤٣-٤٤.

وأنت ترى الدنيا كلّها وَ إِنْ كَثُرَتْ، إِنَّمَا يَجْمَعُهَا أَهْلُهَا لِهَذِهِ الْأَجْسَادِ الْفَانِيَةِ، وَ الْجَسَدُ لَا قِوَامَ لَهُ وَ لَا امْتِنَاعَ بِهِ، فَالْحَرُّ يُذِيبُهُ، وَ الْبَرْدُ يُجْمِدُهُ، وَ السَّمُومُ تَتَخَلَّلُهُ، وَ الْمَاءُ يُغْرِقُهُ، وَ الشَّمْسُ تُحْرِقُهُ، وَ الْهَوَاءُ يُسْقِمُهُ، وَ السِّبَاعُ تَفْتَرِسُهُ، وَ الطَّيْرُ تَنْقُرُهُ، وَ الْحَدِيدُ يَقْطَعُهُ، وَ الصِّدَامُ يَحْطِمُهُ.

ثُمَّ هُوَ مَعْجُونٌ بِطِينَةٍ مِنْ أَلْوَانِ الْأَسْقَامِ وَ الْأَوْجَاعِ وَ الْأَمْرَاضِ، فَهُوَ مُرْتَهَنٌ بِهَا مُتَرَقِّبٌ لَهَا وَجِلٌ مِنْهَا غَيْرُ طَامِعٍ فِي السَّلَامَةِ مِنْهَا، ثُمَّ هُوَ مُقَارِنُ الْآفَاتِ السَّبْعِ الَّتِي لَا يَتَخَلَّصُ مِنْهَا ذُو جَسَدٍ، وَ هِيَ الْجُوعُ وَ الظَّمَأُ وَ الْحَرُّ وَ الْبَرْدُ وَ الْوَجَعُ وَ الْخَوْفُ وَ الْمَوْتُ.

فَأَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ تَجِدَ مَا تَحْسَبُهُ بَعِيداً قَرِيباً، وَ مَا كُنْتَ تَحْسَبُهُ عَسِيراً يَسِيراً، وَ مَا كُنْتَ تَحْسَبُهُ قَلِيلًا كَثِيراً.

الحكيم غريب في أهله

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ أَيُّهَا الْحَكِيمُ أَ رَأَيْتَ الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانَ وَالِدِي حَرَّقَهُمْ بِالنَّارِ وَ نَفَاهُمْ أَهُمْ أَصْحَابُكَ ؟

قَالَ بِلَوْهَرُ نَعَمْ.

قَالَ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ النَّاسَ اجْتَمَعُوا عَلَى عَدَاوَتِهِمْ وَ سُوءِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ.

قَالَ بِلَوْهَرُ نَعَمْ قَدْ كَانَ ذَلِكَ.

قَالَ فَمَا سَبَبُ ذَلِكَ أَيُّهَا الْحَكِيمُ ؟

قَالَ بِلَوْهَرُ أَمَّا قَوْلُكَ يَا ابْنَ الْمَلِكِ فِي سُوءِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، فَمَا عَسَى أَنْ يَقُولُوا فِيمَنْ يَصْدُقُ وَ لَا يَكْذِبُ، وَ يَعْلَمُ وَ لَا يَجْهَلُ، وَ يَكُفُّ وَ لَا يُؤْذِي، وَ يُصَلِّي وَ لَا يَنَامُ، وَ يَصُومُ وَ لَا يُفْطِرُ، وَ يُبْتَلَى فَيَصْبِرُ، وَ يَتَفَكَّرُ فَيَعْتَبِرُ، وَ يُطَيِّبُ نَفْسَهُ عَنِ الْأَمْوَالِ وَ الْأَهْلِينَ، وَ لَا يَخَافُهُمُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَ أَهْلِيهِمْ.

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ فَكَيْفَ اتَّفَقَ النَّاسُ عَلَى عَدَاوَتِهِمْ وَ هُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ مُخْتَلِفُونَ ؟

قَالَ بِلَوْهَرُ مَثَلُهُمْ فِي ذَلِكَ مَثَلُ كِلَابٍ اجْتَمَعُوا عَلَى جِيفَةٍ تَنْهَشُهَا وَ يُهَارُّ [1] بَعْضُهَا بَعْضاً ، مُخْتَلِفَةَ الْأَلْوَانِ وَ الْأَجْنَاسِ، فَبَيْنَا هِيَ تُقْبِلُ عَلَى الْجِيفَةِ، إِذْ دَنَا رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَتَرَكَ بَعْضُهُنَّ بَعْضاً، وَ أَقْبَلْنَ عَلَى الرَّجُلِ فَيَهِرُّنَّ عَلَيْهِ جَمِيعاً مُتَعَاوِيَاتٍ [2] عَلَيْهِ، وَ لَيْسَ لِلرَّجُلِ فِي جِيفَتِهِنَّ حَاجَةٌ، وَ لَا أَرَادَ أَنْ يُنَازِعَهُنَّ فِيهَا، وَ لكِنَّهُنَّ عَرَفْنَ غُرْبَتَهُ مِنْهُنَّ فَاسْتَوْحَشْنَ

---

[1] هرّ الكلب = عبس وصوّت = صات دون نباح. هارّ = هرّ في وجهه.

[2] في نسخة المجلسي معاويات.

مِنْهُ، وَ اسْتَأْنَسَ بَعْضُهُنَّ بِبَعْضٍ، وَ إِنْ كُنَّ مُخْتَلِفَاتٍ مُتَعَادِيَاتٍ فِيمَا بَيْنَهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَرِدَ الرَّجُلُ عَلَيْهِنَّ.

قَالَ بِلَوْهَرُ فَمَثَلُ الْجِيفَةِ مَتَاعُ الدُّنْيَا، وَ مَثَلُ صُنُوفِ الْكِلَابِ ضُرُوبُ الرِّجَالِ، الَّذِينَ يَقْتَتِلُونَ عَلَى الدُّنْيَا وَ يُهْرِقُونَ دِمَاءَهُمْ وَ يُنْفِقُونَ لَهَا أَمْوَالَهُمْ.

وَ مَثَلُ الرَّجُلِ الَّذِي اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْكِلَابُ وَ لَا حَاجَةَ لَهُ فِي جِيَفِهِنَّ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الدِّينِ الَّذِي رَفَضَ الدُّنْيَا وَ خَرَجَ مِنْهَا، فَلَيْسَ يُنَازِعُ فِيهَا أَهْلَهَا، وَ لَا يَمْنَعُ ذَلِكَ النَّاسَ مِنْ أَنْ يُعَادُونَهُ (يعادوه) لِغُرْبَتِهِ عِنْدَهُمْ.

فَإِنْ عَجِبْتَ فَاعْجَبْ مِنَ النَّاسِ، أَنَّهُمْ لَا هِمَّةَ لَهُمْ إِلَّا الدُّنْيَا وَ جَمْعُهَا وَ التَّكَاثُرُ وَ التَّفَاخُرُ وَ التَّغَالُبُ عَلَيْهَا، حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَنْ قَدْ تَرَكَهَا فِي أَيْدِيهِمْ وَ تَخَلَّى عَنْهَا كَانُوا لَهُ [1] أَشَدَّ حَنَقاً مِنْهُمْ لِلَّذِي يُشَاحُّهُمْ [2] عَلَيْهَا، فَأَيُّ حُجَّةٍ [3] يَا ابْنَ الْمَلِكِ أَدْحَضُ مِنْ تَعَاوُنِ الْمُخْتَلِفِينَ عَلَى مَنْ لَا حُجَّةَ لَهُمْ عَلَيْهِ.

---

[1] في نسخة المجلسي بإضافة أشدّ قتالًا عليه.

[2] شاحّ بالشيء عليه = ضنّ به عليه.

[3] في نسخة المجلسي بإضافة لله.

كيف يبلغ من يسافر بغير دليل

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ اعْمِدْ لِحَاجَتِي.

قَالَ بِلَوْهَرُ إِنَّ الطَّبِيبَ الرَّفِيقَ إِذْ رَأَى الْجَسَدَ قَدْ أَهْلَكَتْهُ الْأَخْلَاطُ الْفَاسِدَةُ، فَأَرَادَ أَنْ يُقَوِّيَهُ وَ يُسْمِنَهُ، لَمْ يُغَذِّهِ بِالطَّعَامِ الَّذِي يَكُونُ مِنْهُ اللَّحْمُ وَ الدَّمُ وَ الْقُوَّةُ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَتَى أَدْخَلَ الطَّعَامَ عَلَى الْأَخْلَاطِ الْفَاسِدَةِ أَضَرَّ بِالْجَسَدِ وَ لَمْ يَنْفَعْهُ وَ لَمْ يُقَوِّهِ، وَ لكِنْ يَبْدَأُ بِالْأَدْوِيَةِ وَ الْحِمْيَةِ مِنَ الطَّعَامِ، فَإِذَا أَذْهَبَ مِنْ جَسَدِهِ الْأَخْلَاطَ الْفَاسِدَةَ، أَقْبَلَ عَلَيْهِ بِمَا يُصْلِحُهُ مِنَ الطَّعَامِ، فَحِينَئِذٍ يَجِدُ طَعْمَ الطَّعَامِ وَ يَسْمَنُ وَ يَقْوَى، وَ يَحْمِلُ الثِّقَلَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ.

ويضيف دانيال جياريه على ذلك [1] :

ومثل ذلك مثل الأرض التي تزرع، فإن لم يبدأ صاحبها بتنقيتها من الشوك وحفر أنهارها ومغائضها ثم يختار لها من البذر أجود ما يقدر عليه فيبذر ذلك في أوانه وزمانه وينعم حفظه من آفات المضرّات به من طائر الهواء وهوامّ الأرض وغير ذلك ويكون متعاهدًا لسقيه في زمان عطشه، لم ينبت ذلك الزرع، وإن نبت لم يزك، وصار عمل صاحبه ضياعا، وعناؤه مضمحلًّا، ورجاؤه خائبًا، وأمله منقطعًا، وريع بذره عنه نافدًا.

وَ قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ أَيُّهَا الْحَكِيمُ أَخْبِرْنِي مَا ذَا تُصِيبُ مِنَ الطَّعَامِ وَ الشَّرَابِ ؟

(قال بلوهر القوت الذي أتقوّت بها نفسي، وقد عوّدتها ما يكفيها أيسر ذلك من المؤونة، وقد قنعت به ورضيته، فلا تطلب غيره، ولا تنازعني فيما سواه) [1] .

---

[1] بلوهر وبوذاسف صفحة ٣٩.

قَالَ الْحَكِيمُ زَعَمُوا أَنَّ مَلِكاً مِنَ الْمُلُوكِ كَانَ عَظِيمَ الْمُلْكِ، كَثِيرَ الْجُنْدِ وَ الْأَمْوَالِ، وَ أَنَّهُ بَدَا لَهُ أَنْ يَغْزُوَ مَلِكاً آخَرَ لِيَزْدَادَ مُلْكاً إِلَى مُلْكِهِ وَ مَالًا إِلَى مَالِهِ، فَسَارَ إِلَيْهِ بِالْجُنُودِ وَ الْعِدَدِ وَ الْعُدَّةِ وَ النِّسَاءِ وَ الْأَوْلَادِ وَ الْأَثْقَالِ.

فَأَقْبَلُوا نَحْوَهُ فَظَهَرُوا عَلَيْهِ، وَ اسْتَبَاحُوا عَسْكَرَهُ، فَهَرَبَ وَ سَاقَ امْرَأَتَهُ وَ أَوْلَادَهُ صِغَاراً، فَأَلْجَأَهُ الطَّلَبُ عِنْدَ الْمَسَاءِ إِلَى أَجَمَةٍ [٢] عَلَى شَاطِئِ النَّهَرِ، فَدَخَلَهَا مَعَ أَهْلِهِ وَ وُلْدِهِ، وَ سَيَّبَ [٣] دَوَابَّهُ، مَخَافَةَ أَنْ تَدُلَّ عَلَيْهِ بِصَهِيلِهَا.

فَبَاتُوا فِي الْأَجَمَةِ، وَ هُمْ يَسْمَعُونَ وَقْعَ حَوَافِرِ الْخَيْلِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَأَصْبَحَ الرَّجُلُ لَا يُطِيقُ بَرَاحاً، وَ أَمَّا النَّهَرُ فَلَا يَسْتَطِيعُ عُبُورَهُ، وَ أَمَّا الْفَضَاءُ فَلَا يَسْتَطِيعُ الْخُرُوجَ إِلَيْهِ لِمَكَانِ الْعَدُوِّ. فَهُمْ فِي مَكَانٍ ضَيِّقٍ، قَدْ آذَاهُمُ الْبَرْدُ، وَ أَهْجَرَهُمُ [٤] الْخَوْفُ، وَ طَوَاهُمُ [٥] الْجُوعُ، وَ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ، وَ لَا مَعَهُمْ زَادٌ وَ لَا إِدَامٌ [٦]، وَ أَوْلَادُهُ صِغَارٌ جِيَاعٌ يَبْكُونَ مِنَ الضُّرِّ الَّذِي قَدْ أَصَابَهُمْ.

فَمَكَثَ بِذَلِكَ يَوْمَيْنِ، ثُمَّ إِنَّ أَحَدَ بَنِيهِ مَاتَ فَأَلْقَوْهُ فِي النَّهَرِ، فَمَكَثَ بَعْدَ ذَلِكَ يَوْماً آخَرَ. فَقَالَ الرَّجُلُ لِامْرَأَتِهِ إِنَّا مُشْرِفُونَ عَلَى الْهَلَاكِ جَمِيعاً، وَ إِنْ بَقِيَ بَعْضُنَا وَ هَلَكَ بَعْضُنَا كَانَ خَيْراً مِنْ أَنْ نَهْلِكَ جَمِيعاً، وَ قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أُعَجِّلَ ذِبْحَ صَبِيٍّ مِنْ هَؤُلَاءِ الصِّبْيَانِ فَنَجْعَلَهُ

---

[١] بلوهر وبوذاسف صفحة ٤٦.

[٢] الأجمة = مأوى الأسد، أو الشجر الكثير الملتفّ.

[٣] سابت الدابّة = مرّت حيث شاءت. سيّب دوابّه = تركها تسيب وأهملها.

[٤] أهجره القوم = ساروا في شدّة الحرّ.

[٥] طواهم الجوع = هزلهم الجوع.

[٦] إدام الطعام = ما يجعل مع الخبز فيطيّبه.

قُوتاً لَنَا وَ لِأَوْلَادِنَا، إِلَى أَنْ يَأْتِيَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِالْفَرَجِ، فَإِنْ أَخَّرْنَا ذَلِكَ هَزَلَ الصِّبْيَانُ، حَتَّى لَا يُشْبِعَ لُحُومُهُمْ، وَ نَضْعُفُ حَتَّى لَا نَسْتَطِيعَ الْحَرَكَةَ، إِنْ وَجَدْنَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا.

وَ طَاوَعَتْهُ امْرَأَتُهُ، فَذَبَحَ بَعْضَ أَوْلَادِهِ، وَ وَضَعُوهُ بَيْنَهُمْ يَنْهَشُونَهُ، فَمَا ظَنُّكَ يَا ابْنَ الْمَلِكِ بِذَلِكَ الْمُضْطَرِّ، أَكْلَ الْكَلْبِ الْمُسْتَكْثِرِ يَأْكُلُ، أَمْ أَكْلَ الْمُضْطَرِّ الْمُسْتَقِلِّ[1] ؟

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ بَلْ أَكْلَ الْمُسْتَقِلِّ.

قَالَ الْحَكِيمُ كَذَلِكَ أَكْلِي وَ شُرْبِي يَا ابْنَ الْمَلِكِ فِي الدُّنْيَا.

[1] استقلّه = عدّه ورآه قليلًا.

الدين دعوة من الله

فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْمَلِكِ أَ رَأَيْتَ هَذَا الَّذِي تَدْعُونِي إِلَيْهِ أَيُّهَا الْحَكِيمُ، أَ هُوَ شَيْءٌ نَظَرَ النَّاسُ فِيهِ بِعُقُولِهِمْ وَ أَلْبَابِهِمْ حَتَّى اخْتَارُوهُ عَلَى مَا سِوَاهُ لِأَنْفُسِهِمْ، أَمْ دَعَاهُمُ اللَّهُ إِلَيْهِ فَأَجَابُوا ؟

قَالَ الْحَكِيمُ عَلَا هَذَا الْأَمْرُ وَ لَطُفَ عَنْ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ أَوْ بِرَأْيِهِمْ دَبَّرُوهُ، وَ لَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ لَدَعَوْا إِلَى عَمَلِهَا وَ زِينَتِهَا وَ حِفْظِهَا وَ دَعَتِهَا وَ نَعِيمِهَا وَ لَذَّتِهَا وَ لَهْوِهَا وَ لَعِبِهَا وَ شَهَوَاتِهَا، وَ لَكِنَّهُ أَمْرٌ غَرِيبٌ، وَ دَعْوَةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ سَاطِعَةٌ، وَ هُدًى مُسْتَقِيمٌ، نَاقِضٌ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا أَعْمَالَهُمْ، مُخَالِفٌ لَهُمْ ، عَائِبٌ عَلَيْهِمْ، وَ طَاعِنٌ [1] نَاقِلٌ لَهُمْ عَنْ أَهْوَائِهِمْ، دَاعٍ لَهُمْ إِلَى طَاعَةِ رَبِّهِمْ، وَ إِنَّ ذَلِكَ لَبَيِّنٌ لِمَنْ تَنَبَّهَ، مَكْتُومٌ عِنْدَهُ عَنْ غَيْرِ أَهْلِهِ، حَتَّى يُظْهِرَ اللَّهُ الْحَقَّ بَعْدَ خَفَائِهِ، وَ يَجْعَلَ كَلِمَتَهُ الْعُلْيَا وَ كَلِمَةَ الَّذِينَ جَهِلُوا السُّفْلَى.

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ صَدَقْتَ أَيُّهَا الْحَكِيمُ.

ثُمَّ قَالَ الْحَكِيمُ إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ تَفَكَّرَ قَبْلَ مَجِيءِ الرُّسُلِ ع فَأَصَابَ، وَ مِنْهُمْ مَنْ دَعَتْهُ الرُّسُلُ بَعْدَ مَجِيئِهَا فَأَجَابَ، وَ أَنْتَ يَا ابْنَ الْمَلِكِ مِمَّنْ تَفَكَّرَ بِعَقْلِهِ فَأَصَابَ.

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ فَهَلْ تَعْلَمُ أَحَداً مِنَ النَّاسِ يَدْعُو إِلَى التَّزْهِيدِ فِي الدُّنْيَا غَيْرَكُمْ ؟

قَالَ الْحَكِيمُ أَمَّا فِي بِلَادِكُمْ هَذِهِ فَلَا، وَ أَمَّا فِي سَائِرِ الْأُمَمِ فَفِيهِمْ قَوْمٌ يَنْتَحِلُونَ الدِّينَ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَ لَمْ يَسْتَحِقُّوهُ بِأَعْمَالِهِمْ، فَاخْتَلَفَ سَبِيلُنَا وَ سَبِيلُهُمْ.

[1] طعن فيه أو عليه = عابه وقدح فيه.

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ كَيْفَ صِرْتُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْهُمْ[1] ، وَ إِنَّمَا أَتَاكُمْ هَذَا الْأَمْرُ الْغَرِيبُ مِنْ حَيْثُ أَتَاهُمْ.

[1] في بعض النسخ (فبما جعلكم الله أولى بالحقّ منهم).

أهل الحق وأهل البدع

قَالَ الْحَكِيمُ الْحَقُّ كُلُّهُ جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ، وَ إِنَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى دَعَا الْعِبَادَ إِلَيْهِ، فَقَبِلَهُ قَوْمٌ بِحَقِّهِ وَ شُرُوطِهِ حَتَّى أَدَّوْهُ إِلَى أَهْلِهِ كَمَا أُمِرُوا لَمْ يَظْلِمُوا وَ لَمْ يُخْطِئُوا وَ لَمْ يُضَيِّعُوا، وَ قَبِلَهُ آخَرُونَ فَلَمْ يَقُومُوا بِحَقِّهِ وَ شُرُوطِهِ وَ لَمْ يُؤَدُّوهُ إِلَى أَهْلِهِ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِيهِ عَزِيمَةٌ وَ لَا عَلَى الْعَمَلِ بِهِ نِيَّةُ ضَمِيرٍ، فَضَيَّعُوهُ وَ اسْتَثْقَلُوهُ ، فَالْمُضَيِّعُ لَا يَكُونُ مِثْلَ الْحَافِظِ، وَ الْمُفْسِدُ لَا يَكُونُ كَالْمُصْلِحِ، وَ الصَّابِرُ لَا يَكُونُ كَالْجَازِعِ ، فَمِنْ هَاهُنَا كُنَّا نَحْنُ أَحَقَّ بِهِ مِنْهُمْ وَ أَوْلَى.

ثُمَّ قَالَ الْحَكِيمُ إِنَّهُ لَيْسَ يَجْرِي عَلَى لِسَانِ أَحَدٍ مِنْهُمْ مِنَ الدِّينِ وَ التَّزْهِيدِ وَ الدُّعَاءِ إِلَى الْآخِرَةِ إِلَّا وَ قَدْ أَخَذَ ذَلِكَ عَنْ أَصْلِ الْحَقِ [1] الَّذِي عَنْهُ أَخَذْنَا، وَ لَكِنَّهُ فَرَّقَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُمْ أَحْدَاثُهُمُ الَّتِي أَحْدَثُوا، وَ ابْتِغَاؤُهُمُ الدُّنْيَا، وَ إِخْلَادُهُمْ إِلَيْهَا، وَ ذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الدَّعْوَةَ لَمْ تَزَلْ تَأْتِي وَ تَظْهَرُ فِي الْأَرْضِ مَعَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَ رُسُلِهِ ص [2] فِي الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ عَلَى أَلْسِنَةٍ مُخْتَلِفَةٍ مُتَفَرِّقَةٍ، وَ كَانَ أَهْلُ دَعْوَةِ الْحَقِّ أَمْرُهُمْ مُسْتَقِيمٌ، وَ طَرِيقُهُمْ وَاضِحٌ، وَ دَعْوَتُهُمْ بَيِّنَةٌ، لَا فُرْقَةَ بَيْنَهُمْ [3] وَ لَا اخْتِلَافَ.

فَكَانَتِ الرُّسُلُ ع إِذَا بَلَّغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَ احْتَجُّوا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ بِحُجَّتِهِ [4] وَ إِقَامَةِ مَعَالِمِ الدِّينِ وَ أَحْكَامِهِ قَبَضَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ إِلَيْهِ عِنْدَ انْقِضَاءِ آجَالِهِمْ

---

[1] في بعض النسخ (أهل الحق).

[2] في نسخة المجلسي صلوات الله عليهم.

[3] في نسخة المجلسي فيهم.

[4] في نسخة المجلسي بحجّة.

وَ مُنْتَهَى مُدَّتِهِمْ، وَ مَكَثَتِ الْأُمَّةُ مِنَ الْأُمَمِ بَعْدَ نَبِيِّهَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِهَا لَا تَغَيُّرٌ وَ لَا تَبَدُّلٌ، ثُمَّ صَارَ النَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ يُحْدِثُونَ الْأَحْدَاثَ وَ يَتَّبِعُونَ [1] الشَّهَوَاتِ وَ يُضَيِّعُونَ الْعِلْمَ.

فَكَانَ الْعَالِمُ الْبَالِغُ الْمُسْتَبْصِرُ مِنْهُمْ يُخْفِي شَخْصَهُ، وَ لَا يُظْهِرُ عِلْمَهُ، فَيَعْرِفُونَهُ بِاسْمِهِ وَ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى مَكَانِهِ، وَ لَا يَبْقَى مِنْهُمْ إِلَّا الْخَسِيسُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، يَسْتَخِفُّ بِهِ أَهْلُ الْجَهْلِ وَ الْبَاطِلِ، فَيَخْمُلُ الْعِلْمُ، وَ يَظْهَرُ الْجَهْلُ، وَ يَتَنَاسَلُ [2] الْقُرُونُ، فَلَا يَعْرِفُونَ إِلَّا الْجَهْلَ وَ الْبَاطِلَ [3]، وَ يَزْدَادُ الْجُهَّالُ اسْتِعْلَاءً وَ كَثْرَةً، وَ الْعُلَمَاءُ خُمُولًا وَ قِلَّةً، فَحَوَّلُوا مَعَالِمَ اللّٰهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى عَنْ وُجُوهِهَا، وَ تَرَكُوا قَصْدَ سَبِيلِهَا، وَ هُمْ مَعَ ذَلِكَ مُقِرُّونَ بِتَنْزِيلِهِ، مُتَّبِعُونَ شِبْهَهُ ابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ، مُتَعَلِّقُونَ بِصِفَتِهِ، تَارِكُونَ لِحَقِيقَتِهِ، نَابِذُونَ لِأَحْكَامِهِ.

فَكُلُّ صِفَةٍ جَاءَتِ الرُّسُلُ تَدْعُوا إِلَيْهَا فَنَحْنُ لَهُمْ مُوَافِقُونَ فِي تِلْكَ الصِّفَةِ، مُخَالِفُونَ لَهُمْ فِي أَحْكَامِهِمْ وَ سِيرَتِهِمْ، وَ لَسْنَا نُخَالِفُهُمْ فِي شَيْءٍ إِلَّا وَ لَنَا عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ الْوَاضِحَةُ، وَ الْبَيِّنَةُ الْعَادِلَةُ، مِنْ نَعْتِ مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْكُتُبِ الْمُنْزَلَةِ مِنَ اللّٰهِ عَزَّ وَ جَلَّ.

فَكُلُّ مُتَكَلِّمٍ مِنْهُمْ يَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ مِنَ الْحِكْمَةِ فَهِيَ لَنَا وَ هِيَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُمْ، تَشْهَدُ لَنَا عَلَيْهِمْ بِأَنَّهَا تُوَافِقُ صِفَتَنَا وَ سِيرَتَنَا وَ حُكْمَنَا، وَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهَا مُخَالِفَةٌ لِسُنَّتِهِمْ وَ أَعْمَالِهِمْ، فَلَيْسُوا يَعْرِفُونَ مِنَ الْكِتَابِ إِلَّا وَصْفَهُ، وَ لَا مِنَ الدِّينِ [4] إِلَّا اسْمَهُ، فَلَيْسُوا بِأَهْلِ الْكِتَابِ حَقِيقَةً حَتَّى يُقِيمُوهُ.

[1] في نسخة المجلسي يبتغون.

[2] في نسخة المجلسي وتتناسل.

[3] في نسخة المجلسي من دون الباطل.

[4] في نسخة المجلسي من الذكر.

فساد البدع كمثل فساد البستان

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ فَمَا بَالُ الْأَنْبِيَاءِ وَ الرُّسُلِ ع يَأْتُونَ فِي زَمَانٍ دُونَ زَمَانٍ ؟

قَالَ الْحَكِيمُ إِنَّمَا مَثَلُ ذَلِكَ كَمَثَلِ مَلِكٍ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ مَوَاتٌ لَا عُمْرَانَ فِيهَا، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يُقْبِلَ عَلَيْهَا بِعِمَارَتِهِ، أَرْسَلَ إِلَيْهَا رَجُلًا جَلْداً [1] أَمِيناً نَاصِحاً، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَعْمُرَ تِلْكَ الْأَرْضَ، وَ أَنْ يَغْرِسَ فِيهَا صُنُوفَ الشَّجَرِ وَ أَنْوَاعَ الزَّرْعِ، ثُمَّ سَمَّى لَهُ الْمَلِكُ أَلْوَاناً مِنَ الْغَرْسِ مَعْلُومَةً، وَ أَنْوَاعاً مِنَ الزَّرْعِ مَعْرُوفَةً، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ لَا يَعْدُوَ مَا سَمَّى لَهُ، وَ أَنْ لَا يُحْدِثَ فِيهَا مِنْ قِبَلِهِ شَيْئاً لَمْ يَكُنْ أَمَرَهُ بِهِ سَيِّدُهُ، وَ أَمَرَهُ أَنْ يُخْرِجَ لَهَا نَهَراً، وَ يَسُدَّ عَلَيْهَا حَائِطاً، وَ يَمْنَعَهَا مِنْ أَنْ يُفْسِدَهَا مُفْسِدٌ.

فَجَاءَ الرَّسُولُ الَّذِي أَرْسَلَهُ الْمَلِكُ إِلَى تِلْكَ الْأَرْضِ فَأَحْيَاهَا بَعْدَ مَوْتِهَا، وَ عَمَرَهَا بَعْدَ خَرَابِهَا، وَ غَرَسَ فِيهَا وَ زَرَعَ مِنَ الصُّنُوفِ الَّتِي أَمَرَهُ بِهَا، ثُمَّ سَاقَ [2] الْمَاءَ إِلَيْهَا حَتَّى نَبَتَ الْغَرْسُ وَ اتَّصَلَ الزَّرْعُ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ قَلِيلًا حَتَّى مَاتَ قَيِّمُهَا، وَ أَقَامَ بَعْدَهُ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ.

وَ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِ خَلَفٌ خَالَفُوا مَنْ أَقَامَهُ الْقَيِّمُ بَعْدَهُ وَ غَلَبُوهُ عَلَى أَمْرِهِ، فَأَخْرَبُوا الْعُمْرَانَ وَ طَمُّوا [3] الْأَنْهَارَ، فَيَبِسَ الْغَرْسُ وَ هَلَكَ الزَّرْعُ.

فَلَمَّا بَلَغَ الْمَلِكَ خِلَافُهُمْ عَلَى الْقَيِّمِ بَعْدَ رَسُولِهِ، وَ خَرَابُ أَرْضِهِ، أَرْسَلَ إِلَيْهَا رَسُولًا آخَرَ يُحْيِيهَا وَ يُعِيدُهَا وَ يُصْلِحُهَا، كَمَا كَانَتْ فِي مَنْزِلَتِهَا الْأُولَى. وَ كَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ وَ الرُّسُلُ ع يَبْعَثُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ مِنْهُمُ الْوَاحِدَ بَعْدَ الْوَاحِدِ، فَيُصْلِحُ أَمْرَ النَّاسِ بَعْدَ فَسَادِهِ.

---

[1] الجلد = الشديد القويّ.

[2] في نسخة المجلسي بإضافة نهر.

[3] طمّ البئر = سوّاها ودفنها.

بلاغ الرسل هو صوت الله

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ أَ يَخُصُّ الْأَنْبِيَاءَ وَ الرُّسُلَ ع إِذَا جَاءَتْ بِمَا يَبْعَثُ بِهِ أَمْ تُعَمُّ ؟

قَالَ بِلَوْهَرُ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَ الرُّسُلَ إِذَا جَاءَتْ تَدْعُوا عَامَّةَ النَّاسِ، فَمَنْ أَطَاعَهُمْ كَانَ مِنْهُمْ، وَ مَنْ عَصَاهُمْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ، وَ مَا تَخْلُو الْأَرْضُ قَطُّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ فِيهَا مُطَاعٌ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَ رُسُلِهِ وَ مِنْ أَوْصِيَائِهِ.

وَ إِنَّمَا مَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ طَائِرٍ كَانَ فِي سَاحِلِ الْبَحْرِ يُقَالُ لَهُ قدمٌ [1] ، يَبِيضُ بَيْضاً كَثِيراً، وَ كَانَ شَدِيدَ الْحُبِّ لِلْفِرَاخِ وَ كَثْرَتِهَا، وَ كَانَ يَأْتِي عَلَيْهِ زَمَانٌ يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ فِيهِ مَا يُرِيدُهُ مِنْ ذَلِكَ، فَلَا يَجِدُ بُدّاً مِنِ اتِّخَاذِ أَرْضٍ أُخْرَى، حَتَّى يَذْهَبَ ذَلِكَ الزَّمَانُ، فَيَأْخُذُ بَيْضَهُ مَخَافَةً عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَهْلِكَ مِنْ شَفَقَتِهِ ، فَيُفَرِّقُهُ فِي أَعْشَاشِ الطَّيْرِ، فَتَحْضُنُ الطَّيْرُ بَيْضَهُ مَعَ بَيْضِهَا [2] ، وَ تُخْرِجُ فِرَاخَهُ مَعَ فِرَاخِهَا.

فَإِذَا طَالَ مَكْثُ فِرَاخِ قدمٍ مَعَ فِرَاخِ الطَّيْرِ أَلِفَهَا بَعْضُ فِرَاخِ الطَّيْرِ وَ اسْتَأْنَسَ بِهَا، فَإِذَا كَانَ الزَّمَانُ الَّذِي يَنْصَرِفُ فِيهِ قدمٌ إِلَى مَكَانِهِ، مَرَّ بِأَعْشَاشِ الطَّيْرِ وَ أَوْكَارِهَا بِاللَّيْلِ، فَأَسْمَعَ فِرَاخَهُ وَ غَيْرَهَا صَوْتَهُ، فَإِذَا سَمِعَتْ فِرَاخُهُ صَوْتَهُ تَبِعَتْهُ، وَ تَبِعَ فِرَاخَهُ مَا كَانَ أَلِفَهَا مِنْ فِرَاخِ سَائِرِ الطَّيْرِ، وَ لَمْ يُجِبْهُ مَا لَمْ يَكُنْ مِنْ فِرَاخِهِ، وَ لَا مَا لَمْ يَكُنْ أَلِفَ فِرَاخَهُ. وَ كَانَ قَدْ يَضُمُّ إِلَيْهِ مَنْ أَجَابَهُ مِنْ فِرَاخِهِ حُبّاً لِلْفِرَاخِ.

---

[1] في بعض النسخ (قرم) و لعلّ الصواب (قرلى) الذي هو طائر مائيّ شديد الحذر يتغذّى بالأسماك.

[2] في نسخة المجلسي بيضته مع بيضتها.

وَ كَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ إِنَّمَا يَسْتَعْرِضُونَ النَّاسَ جَمِيعاً بِدُعَائِهِمْ، فَيُجِيبُهُمْ أَهْلُ الْحِكْمَةِ وَ الْعَقْلِ لِمَعْرِفَتِهِمْ بِفَضْلِ [1] الْحِكْمَةِ.

فَمَثَلُ الطَّيْرِ الَّذِي دَعَا بِصَوْتِهِ مَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ وَ الرُّسُلِ الَّتِي تَعُمُّ النَّاسَ بِدُعَائِهِمْ، وَ مَثَلُ الْبَيْضِ الْمُتَفَرِّقِ فِي أَعْشَاشِ الطَّيْرِ مَثَلُ الْحِكْمَةِ، وَ مَثَلُ سَائِرِ فِرَاخِ الطَّيْرِ الَّتِي أَلِفَتْ مَعَ [2] فِرَاخِ قدمٍ مَثَلُ مَنْ أَجَابَ الْحُكَمَاءَ قَبْلَ مَجِيءِ الرُّسُلِ، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ جَعَلَ لِأَنْبِيَائِهِ وَ رُسُلِهِ مِنَ الْفَضْلِ وَ الرَّأْيِ مَا لَمْ يَجْعَلْ لِغَيْرِهِمْ مِنَ النَّاسِ، وَ أَعْطَاهُمْ مِنَ الْحُجَجِ وَ النُّورِ وَ الضِّيَاءِ مَا لَمْ يُعْطِ غَيْرَهُمْ، وَ ذَلِكَ لِمَا يُرِيدُ مِنْ بُلُوغِ رِسَالَتِهِ وَ مَوَاقِعِ حُجَجِهِ.

وَ كَانَتِ الرُّسُلُ إِذَا جَاءَتْ وَ أَظْهَرَتْ دَعْوَتَهَا أَجَابَهُمْ مِنَ النَّاسِ أَيْضاً مَنْ لَمْ يَكُنْ أَجَابَ الْحُكَمَاءَ، وَ ذَلِكَ لِمَا جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَى دَعْوَتِهِمْ مِنَ الضِّيَاءِ وَ الْبُرْهَانِ.

---

[1] في نسخة المجلسي لفضل.

[2] في نسخة المجلسي من دون مع.

حكمة الله تتجلّى في الأنبياء

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ أَ فَرَأَيْتَ مَا يَأْتِي بِهِ الرُّسُلُ وَ الْأَنْبِيَاءُ إِذْ زَعَمْتَ أَنَّهُ لَيْسَ بِكَلَامِ النَّاسِ، وَ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ هُوَ [1] كَلَامٌ وَ كَلَامُ مَلَائِكَتِهِ كَلَامٌ.

قَالَ الْحَكِيمُ أَ مَا رَأَيْتَ النَّاسَ لَمَّا أَرَادُوا أَنْ يُفْهِمُوا بَعْضَ الدَّوَابِّ وَ الطَّيْرِ مَا يُرِيدُونَ مِنْ تَقَدُّمِهَا وَ تَأَخُّرِهَا وَ إِقْبَالِهَا وَ إِدْبَارِهَا لَمْ يَجِدُوا الدَّوَابَّ وَ الطَّيْرَ تَحْمِلُ [2] كَلَامَهُمُ الَّذِي هُوَ كَلَامُهُمْ.

فَوَضَعُوا مِنَ النَّقْرِ وَ الصَّفِيرِ وَ الزَّجْرِ [3] مَا يَبْلُغُوا بِهِ حَاجَتَهُمْ وَ مَا عَرَفُوا أَنَّهَا تُطِيقُ حَمْلَهُ، وَ كَذَلِكَ الْعِبَادُ يعجزوا [يَعْجَزُونَ] أَنْ يَعْلَمُوا كَلَامَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ كَلَامَ مَلَائِكَتِهِ عَلَى كُنْهِهِ وَ كَمَالِهِ وَ لُطْفِهِ وَ صِفَتِهِ.

---

[1] في نسخة المجلسي وهو.

[2] في نسخة المجلسي يحتمل.

[3] فكما نضع من النقر والصفير والزجر للدوابّ كي يبلغوا به حاجاتنا، كذلك يضع الله لنا من النقر والزجر والصفير ما نبلغ به كلام الله. وقد ذكرت في كتابي (هكذا تكلّم الإمام جعفر الصادق عليه السلام) في فصلي (نحن كالنعجة الأليفة أمام الله) و (الله يتكلم معنا بلساننا البشري) الآتي:-

قال الإمام عليه السلام:- هل رأيت يا جابر نعجة أليفة ؟

أجاب جابر:- لقد ربّيت بنفسي نعجة أليفة.

قال الإمام عليه السلام:- لأنك ربّيت نعجة بنفسك، هل تعلم بأنها تعرفك ؟ وهل تعلم بأنها تأتي إليك إذا أشرت لها وتأكل من يديك العلف أو أي شيء آخر يناسب ذائقتها ؟ وإذا ناداها غيرك لا تجري نحوه، فهي لا تخطئك ولا تستبدل بك غيرك. بيد أنها تجري باتّجاهك حين تشير لها أو تناديها وتلتصق بك لأنها تعرفك وتميّزك عن الآخرين، وتعرف جيّدًا أنك غير الآخرين.

أجاب جابر :- نعم.

فقال الإمام عليه السلام:- هذه النعجة الأليفة التي تعرفك وتطيع أوامرك، هل بإمكانها فهم صفاتك ؟ وهل بإمكان هذا الحيوان أن تدرك نيّتك وقصدك، حتى بالنسبة لها، وماذا أضمرت لها ؟ هي تعرفك جيّدًا وتطيع أوامرك. إن الشعور الذي أودع فيها قادر على معرفتك وتمييزك عن الآخرين، بيد أنها ليست بقادرة على معرفة صفاتك ونواياك وما تضمر لها.

وبهذا المثال الذي ضربته بإمكانك الآن أن تفهم مستوى عقلنا وقابليّته لمعرفة الله. نعم نحن نعرف الله ونعرف أنه خالقنا ونسلّم لأوامره، بيد أننا لسنا في وضع لفهم وإدراك صفاته. هذه هي حدود عقلنا ومستواه وقابليّته أن نعرفه وأن نطيع أوامره فقط لا غير. إلا أننا لسنا بقادرين أن نعرفه حقّ معرفته ، ومن هو، ولماذا خلق هذا الوجود، وما هي نهاية هذا الوجود، وإلى أين تسير الدنيا، وما هي مصيرها.

مستوى عقلنا بالنسبة إلى الله

كمثل شعور النعجة الأليفة بالنسبة إليك.

هل تعلم النعجة الأليفة متى خلقت ؟ وهل تعلم متى بني مأوى الأغنام الذي تعيش فيه ؟ وهل تعلم إلى متى يبقى هذا المأوى ؟ هل بإمكانها أن تفهم بأيّ مواد بني دارك، ومن هم الذين بنوا الدار ؟

هذه النعجة الأليفة لا تعرف شيئًا عن هذه الأمور، رغم أنها تعرفك وتطيع أوامرك.

كذلك نحن بعقلنا البشري نعبد الله،

بيد أننا لا نعرف شيئًا عن الله،

إلا في حدود ما ذكره الله في القرآن الكريم.

قال جابر:- هناك فرق بين تلك النعجة وبيني أنا، الذي أعبد الله بعقلي البشري: هو أن النعجة لا تتطلّع إلى معرفة صفاتي، بيد أنني متشوّق ومتفحّص ومتطلّع إلى معرفة صفات الله.

أجاب الإمام عليه السلام:- وكيف تعلم أن نعجتك الأليفة لا تتطلّع إلى معرفة صفاتك ؟ وكيف تعلم أن ذلك الحيوان لا يفكّر فيك، ولا يجهد نفسه في غيابك بأن يعرفك بشكل أحسن ؟ وكيف تتيقّن بأن تلك النعجة الأليفة لا تتفحّص ولا تتطلّع إلى معرفتك ؟

إلا أن شعوره الحيواني لا يمكّنه من معرفة صفاتك وفهم لسانك، إلّا في حدود شعوره الحيواني، وما استأنس به أذنه وفهمه الحيواني. وأنت تعلم ذلك جيّدًا، ولهذا حينما تتكلّم إلى النعجة، تخاطبها بلسان تفهمه وتفهم ما تقوله. وفي الواقع أنت تخاطب النعجة بلسانها، أي بلسان الأغنام، لأنك تعلم بأنها لن تفهم ما تقوله إذا أنت خاطبتها بلسان آخر.

فَصَارَ مَا تَرَاجَعَ النَّاسُ بَيْنَهُمْ مِنَ الْأَصْوَاتِ الَّتِي سَمِعُوا بِهَا الْحِكْمَةَ شَبِيهاً بِمَا وَضَعَ النَّاسُ لِلدَّوَابِّ وَ الطَّيْرِ، وَ لَمْ يَمْنَعْ ذَلِكَ الصَّوْتُ مَكَانَ الْحِكْمَةِ الْمُخْبِرَةِ فِي تِلْكَ الْأَصْوَاتِ مِنْ أَنْ تَكُونَ الْحِكْمَةُ وَاضِحَةً بَيْنَهُمْ قَوِيَّةً مُنِيرَةً شَرِيفَةً عَظِيمَةً، وَ لَمْ يَمْنَعْهَا مِنْ وُقُوعِ مَعَانِيهَا عَلَى مَوَاقِعِهَا وَ بُلُوغِ مَا احْتَجَّ بِهِ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَى الْعِبَادِ فِيهَا.

وَ كَانَ[1] الصَّوْتُ لِلْحِكْمَةِ جَسَداً وَ مَسْكَناً، وَ كَانَتِ الْحِكْمَةُ لِلصَّوْتِ نَفْساً وَ رُوحاً، وَ لَا طَاقَةَ لِلنَّاسِ أَنْ يُنْفِذُوا غَوْرَ كَلَامِ الْحِكْمَةِ وَ لَا يُحِيطُوا بِهِ بِعُقُولِهِمْ.

ولا تتصوّر يا جابر بأن الله يتكلّم بلسان عربي، ولذلك أنزل القرآن بهذه اللغة. إن الله عليم قدير وخبير بجميع اللغات، بل إنه تعالى غنيّ ولا يحتاج إلى لغة لتفهيم مقاصده وغاياته ونواياه .
نحن البشر نحتاج إلى لغة كي نفهم بعضنا البعض. إن الله قد أنزل قرآنه بلسان عربي، لأن نبيّه عربيّ، وكان يعيش بين العرب، ولذلك أنزل قرآنه بلسان يفهمه نبيّه وقومه من العرب. وقد نزل القرآن الكريم في حدود الفهم البشري.
وكما أنك يا جابر تتكلّم مع نعجتك الأليفة بلسانها الحيواني،
كذلك الله يتكلّم معنا نحن البشر بلساننا البشري،
وعلى قدر فهمنا وعقولنا،
لا على قدر عقله الربانيّ وفهمه الإلهيّ المطلق.
لأن الله جل وعلا لو خاطبنا على قدر عقله وإدراكه لما فهمنا شيئًا من كلامه،
كما أنك لو خاطبت الأغنام على قدر عقلك وفهمك لن تفهم من كلامك شيئًا.
قال جابر:- أصدّق كلّ ما تقوله، إلّا أن مشكلتي لم تحلّ بعد.
فسأل الإمام عليه السلام:- وما هي مشكلتك ؟
قال جابر:- مشكلتي هي: لماذا لم يعطني الله لسانًا كلسانه، كي أخاطب الله بلسانه، وأفهم كلامه على مستوى الفهم الإلهيّ ؟ ولماذا لم يهبني عقلًا، كي أعرف صفاته الإلهيّة، وأعلم كيف كانت أعماله في الماضي، وكيف ستكون في المستقبل ؟ كي لا أكون مثل النعجة الأليفة بالنسبة لصاحبها ومربّيها.

[1] في نسخة المجلسي فكان.

فَمِنْ قِبَلِ ذَلِكَ تَفَاضَلَتِ الْعُلَمَاءُ فِي عِلْمِهِمْ، فَلَا يَزَالُ عَالِمٌ يَأْخُذُ عِلْمَهُ مِنْ عَالِمٍ، حَتَّى يَرْجِعَ الْعِلْمُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ الَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِهِ، وَ كَذَلِكَ الْعُلَمَاءُ قَدْ يُصِيبُونَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَ الْعِلْمِ مَا يُنْجِيهِمْ مِنَ الْجَهْلِ، وَ لكِنْ لِكُلِّ ذِي فَضْلٍ فَضْلُهُ.

كَمَا أَنَّ النَّاسَ يَنَالُونَ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ مَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ فِي مَعَايِشِهِمْ وَ أَبْدَانِهِمْ، وَ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُنْفِذُوهَا بِأَبْصَارِهِمْ، فَهِيَ كَالْعَيْنِ الْغَزِيرَةِ [1] الظَّاهِرِ مَجْرَاهَا الْمَكْنُونِ عُنْصُرُهَا.

فَالنَّاسُ قَدْ يُجِيبُونَ بِمَا ظَهَرَ لَهُمْ مِنْ مَائِهَا، وَ لَا يُدْرِكُونَ غَوْرَهَا، وَ هِيَ كَالنُّجُومِ الزَّاهِرَةِ الَّتِي يَهْتَدِي بِهَا النَّاسُ وَ لَا يَعْلَمُونَ مَسَاقِطَهَا [2] .

فَالْحِكْمَةُ أَشْرَفُ وَ أَرْفَعُ وَ أَعْظَمُ مِمَّا وَصَفْنَاهَا بِهِ كُلِّهِ، هِيَ مِفْتَاحُ بَابِ كُلِّ خَيْرٍ يُرْتَجَى، وَ النَّجَاةُ مِنْ كُلِّ شَرٍّ يُتَّقَى، وَ هِيَ شَرَابُ الْحَيَاةِ الَّتِي مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَمُتْ أَبَداً، وَ الشِّفَاءُ لِلسَّقَمِ الَّذِي مَنِ اسْتَشْفَى بِهِ لَمْ يَسْقُمْ أَبَداً، وَ الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي مَنْ سَلَكَهُ لَمْ يَضِلَّ أَبَداً، هِيَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ الَّذِي لَا يُخْلِقُهُ طُولُ التَّكْرَارِ، مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ انْجَلَى عَنْهُ الْعَمَى، وَ مَنِ اعْتَصَمَ بِهِ فَازَ وَ اهْتَدَى وَ أَخَذَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى.

---

[1] عين ماء غزيرة = كثيرة الماء.

[2] مساقط النجوم = محلّ سقوطها.

مثل الحكمة كمثل الشمس

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ [1] فَمَا بَالُ هَذِهِ الْحِكْمَةِ الَّتِي وَصَفْتَ بِمَا وَصَفْتَ مِنَ الْفَضْلِ وَ الشَّرَفِ وَ الِارْتِفَاعِ وَ الْقُوَّةِ وَ الْمَنْفَعَةِ وَ الْكَمَالِ وَ الْبُرْهَانِ لَا يَنْتَفِعُ بِهَا النَّاسُ كُلُّهُمْ جَمِيعاً ؟

قَالَ الْحَكِيمُ إِنَّمَا مَثَلُ الْحِكْمَةِ كَمَثَلِ الشَّمْسِ الطَّالِعَةِ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ، الْأَبْيَضِ وَ الْأَسْوَدِ مِنْهُمْ وَ الصَّغِيرِ وَ الْكَبِيرِ. فَمَنْ أَرَادَ الِانْتِفَاعَ بِهَا لَمْ تَمْنَعْهُ، وَ لَمْ يَحُلْ بَيْنَهُ وَ بَيْنَهَا مِنْ أَقْرَبِهِمْ وَ أَبْعَدِهِمْ، وَ مَنْ لَمْ يُرِدِ الِانْتِفَاعَ بِهَا فَلَا حُجَّةَ لَهُ عَلَيْهَا، وَ لَا تَمْنَعُ الشَّمْسُ عَلَى النَّاسِ جَمِيعاً، وَ لَا يَحُولُ بَيْنَ النَّاسِ وَ بَيْنَ الِانْتِفَاعِ بِهَا.

وَ كَذَلِكَ الْحِكْمَةُ وَ حَالُهَا بَيْنَ النَّاسِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَ الْحِكْمَةُ قَدْ عَمَّتِ النَّاسَ جَمِيعاً إِلَّا أَنَّ النَّاسَ يَتَفَاضَلُونَ فِي ذَلِكَ.

(قال بلوهر: إنهما شمسان تطلعان جميعًا ليس لواحدة منهما تقصير عمّا لا منتهى له من النور الساطع، فإذا وافقتا من طلعتا عليه لم تغمّا: إحداهما تطلع على الأبصار والأخرى تطلع على القلوب. فأمّا الشمس الظاهرة فإنها إذا طلعت على الأبصار الظاهرة عمّت الناس جميعًا) [2] .

وَ الشَّمْسُ ظَاهِرَةٌ إِذْ طَلَعَتْ عَلَى الْأَبْصَارِ النَّاظِرَةِ، فَرَّقَتْ بَيْنَ النَّاسِ عَلَى ثَلَاثَةِ مَنَازِلَ، فَمِنْهُمُ الصَّحِيحُ الْبَصَرِ الَّذِي يَنْفَعُهُ الضَّوْءُ وَ يَقْوَى عَلَى النَّظَرِ، وَ مِنْهُمُ الْأَعْمَى الْقَرِيبُ مِنَ (الغريب عن) الضَّوْءِ، الَّذِي لَوْ طَلَعَتْ عَلَيْهِ شَمْسٌ أَوْ شُمُوسٌ لَمْ تُغْنِ عَنْهُ

---

[1] في نسخة المجلسي بدون ابن الملك.

[2] بلوهر وبوذاسف صفحة ٥٣.

شَيْئاً، وَ مِنْهُمُ الْمَرِيضُ الْبَصَرِ، الَّذِي لَا يُعَدُّ فِي الْعُمْيَانِ وَ لَا فِي أَصْحَابِ الْبَصَرِ، (ينظر إلى الشمس بقدر قوّة بصره) [1] .

كَذَلِكَ الْحِكْمَةُ هِيَ شَمْسُ الْقُلُوبِ إِذَا طَلَعَتْ، تَفَرَّقَ عَلَى ثَلَاثِ مَنَازِلَ، مَنْزِلٍ لِأَهْلِ الْبَصَرِ الَّذِينَ يَعْقِلُونَ الْحِكْمَةَ فَيَكُونُونَ مِنْ أَهْلِهَا وَ يَعْمَلُونَ بِهَا، وَ مَنْزِلٍ لِأَهْلِ الْعَمَى الَّذِينَ تَنْبُو [2] الْحِكْمَةُ عَنْ قُلُوبِهِمْ لِإِنْكَارِهِمُ الْحِكْمَةَ، وَ تَرْكِهِمْ قَبُولَهَا، كَمَا يَنْبُو ضَوْءُ الشَّمْسِ عَنِ الْعُمْيَانِ، وَ مَنْزِلٍ لِأَهْلِ مَرَضِ الْقُلُوبِ، الَّذِينَ يَقْصُرُ عِلْمُهُمْ، وَ يَضْعُفُ عَمَلُهُمْ، وَ يَسْتَوِي فِيهِمُ السَّيِّئُ وَ الْحَسَنُ، وَ الْحَقُّ وَ الْبَاطِلُ، وَ إِنَّ أَكْثَرَ مَنْ تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَ هِيَ الْحِكْمَةُ مِمَّنْ يَعْمَى عَنْهَا.

(غير أن هاتين الشمسين يفرّق بينهما أن أكثر من تطلع عليه الشمس الباطنة من العمي عنها، ولذلك أعلام واضحة فيها عند إيضاحها، ودلائل تظهر عجائب، وسيأتيك علم ذلك في أوانه.

مع أن كل منزلة من منازل أهل البصر الباطن فيها من الاختلاف ما ليس في البصر الظاهر. فأهل الطبقة الأولى والطبقة الثالثة الذين كلّهم منسوب إلى البصر مختلفون في طبقاتهم، متفاوتون فيما بينهم، وإن جمعهم إسم واحد من إجابة الحق وطلاب الحكمة، وأما اختلافهم فيما بينهم ، فمثلهم في ذلك كاللؤلؤ الذي يجمعه إسم اللؤلؤ ثم يبلغ في اختلافه فيما بينه من التفاضل أن الحبّة من اللؤلؤ الواحدة يبلغ ثمنها ألفًا والأخرى يبلغ درهمًا. ثم ما بين ذلك على منازل الأثمان.

---

[1] بلوهر وبوذاسف صفحة ٥٣.

[2] تنبو = تتجافى وتتباعد.

وكذلك منزلة أهل العمى مختلفة، فمنهم من يعمى عن الحق ولا ينهمك في الباطل، ومنهم من لا يقتصر على العمى عن الحق حتى يعاديه ويكائده وينصب لأهله. فمنازلهم في ذلك متفاوتة على قدر تفاوتهم وقوّتهم وضعفهم وصنوف الأدواء التي تلبّست بهم.

قال بوذاسف: انصرف الليلة راشدًا وكن قريبًا إذا بدا لنا أرسلنا إليك. فانصرف عنه تلك الليلة. ثم إن بوذاسف أرسل إليه فالتقيا الليلة الثانية) [1] .

[1] بلوهر وبوذاسف صفحة ٥٤-٥٥.

الحوار الثاني في الحكمة

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ فَهَلْ يَسَعُ الرَّجُلَ الْحِكْمَةُ فَلَا يُجِيبُ إِلَيْهَا حَتَّى يَلْبَثَ زَمَاناً نَاكِباً عَنْهَا ثُمَّ يُجِيبُ وَ يُرَاجِعُهَا ؟

قَالَ بِلَوْهَرُ نَعَمْ هَذَا أَكْثَرُ حَالاتِ النَّاسِ فِي الْحِكْمَةِ.

(وإنما المثل في ذلك مثل رجل راعي غنم في أرض فلاة، فيمرّ بعين من ماء فيراه ولا يكترث به، فيمرّ عليه الزمان، ثم يذكر مكان تلك العين، فيسير إليه، فيفتح فم العين، ويسقّط حواليه، فيخرج الماء، وينتفع هو وغيره به.

وكذلك مثل طلاب الحكمة كمثل استنباط الماء في أعماق الأرض، فمنها القريب الاستنباط كالأحساء والعيون، ومنها ما هو على القامة والقامتين، ومنها النزر البعيد، ومنها المعاطش التي لا يدرك فيها الماء.

وهي بعد ذلك مختلفات في منازل أخرى أيضًا. فربّ قريب القعر غير عذب ولا رويّ، وربّ بعيد القعر فرات خسيف، وربّما اجتمع البعد والغلظ والنزورة، وربّما اجتمع القرب والعذوبة والروى.

قال بوذاسف: فهل لأهل التقصير في هذه المنازل حظّ وهل لهم من نجاة ؟

قال بلوهر: العتق والرقّ والسلامة والعطب والولاية والعداوة موجودة. ففي التخلّص من الضلالة والجهالة عتق، وفي التعلّق بعصمة الحكمة والاعتصام بالعروة الوثقى نجاة وسلامة، وفي الولاية لأهلها والمعونة لهم ارتفاع الدرجات والخير الوافر والجزاء الأفضل، الذي لا ينقص منه شيء إذا نال نائل منه شيئًا، فما قلّ منه أو كثر فهو أفضل،

والطريق واضح، والحجّة نيّرة، والبرهان زاهر، والخير نافع، والشرّ ضارّ، والله عزّ وجلّ الحاكم العادل الذي لا يجور) [1] .

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ تَرَى وَالِدِي سَمِعَ شَيْئاً مِنْ هَذَا الْكَلَامِ قَطُّ ؟

قَالَ بِلَوْهَرُ لَا أَرَاهُ سَمِعَ سَمَاعاً صَحِيحاً رَسَخَ فِي قَلْبِهِ، وَ لَا كَلَّمَهُ فِيهِ نَاصِحٌ شَفِيقٌ.

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ وَ كَيْفَ تَرَكَ ذَلِكَ الْحُكَمَاءُ مِنْهُ طُولَ دَهْرِهِمْ ؟

قَالَ بِلَوْهَرُ تَرَكُوهُ لِعِلْمِهِمْ بِمَوَاضِعِ كَلَامِهِمْ، فَرُبَّمَا تَرَكُوا ذَلِكَ مِمَّنْ هُوَ أَحْسَنُ إِنْصَافاً وَ أَلْيَنُ عَرِيكَةً وَ أَحْسَنُ اسْتِمَاعاً مِنْ أَبِيكَ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ ليعاش [لَيُعَايِشُ] الرَّجُلَ طُولَ عُمُرِهِ، وَ بَيْنَهُمَا الِاسْتِينَاسُ وَ الْمَوَدَّةُ وَ الْمُفَاوَضَةُ، وَ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَهُمَا شَيْءٌ إِلَّا الدِّينُ وَ الْحِكْمَةُ، وَ هُوَ مُتَفَجِّعٌ عَلَيْهِ مُتَوَجِّعٌ لَهُ، ثُمَّ لَا يُفْضِي إِلَيْهِ أَسْرَارَ الْحِكْمَةِ، إِذْ لَمْ يَرَهُ لَهَا مَوْضِعاً.

[1] بلوهر وبوذاسف ص ٥٥-٥٦.

لا تضعوا الحكمة في غير أهلها فتظلموها [١]

وَ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ مَلِكاً مِنَ الْمُلُوكِ كَانَ عَاقِلًا قَرِيباً مِنَ النَّاسِ مُصْلِحاً لِأُمُورِهِمْ حَسَنَ النَّظَرِ وَ الْإِنْصَافِ لَهُمْ، وَ كَانَ لَهُ وَزِيرُ صِدْقٍ صَالِحٌ يُعِينُهُ عَلَى الْإِصْلَاحِ وَ يَكْفِيهِ مَئُونَتَهُ وَ يُشَاوِرُهُ فِي أُمُورِهِ.

وَ كَانَ الْوَزِيرُ أَدِيباً عَاقِلًا لَهُ دِينٌ وَ وَرَعٌ وَ نَزَاهَةٌ عَلَى الدُّنْيَا [٢] ، وَ كَانَ قَدْ لَقِيَ أَهْلَ الدِّينِ وَ سَمِعَ كَلَامَهُمْ وَ عَرَفَ فَضْلَهُمْ فَأَجَابَهُمْ وَ انْقَطَعَ إِلَيْهِمْ بِإِخَائِهِ وَ وُدِّهِ، وَ كَانَتْ لَهُ مِنَ الْمَلِكِ مَنْزِلَةٌ حَسَنَةٌ وَ خَاصَّةٌ، وَ كَانَ الْمَلِكُ لَا يَكْتُمُهُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِهِ، وَ كَانَ الْوَزِيرُ أَيْضاً لَهُ بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيُطْلِعَهُ عَلَى أَمْرِ الدِّينِ وَ لَا يُفَاوِضُهُ أَسْرَارَ الْحِكْمَةِ.

فَعَاشَا بِذَلِكَ زَمَاناً طَوِيلًا، وَ كَانَ الْوَزِيرُ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ سَجَدَ لِلْأَصْنَامِ وَ عَظَّمَهَا وَ أَخَذَ شَيْئاً فِي طَرِيقِ الْجَهَالَةِ وَ الضَّلَالَةِ تَقِيَّةً لَهُ. (فكان كلّما نظر الوزير إلى الملك يسجد للأصنام ويعظّمها ويهدي لها ويأخذ في شيء من طرق الضلالة والجهالة دخل عليه من ذلك ما يدخل قلب الرجل الذي ليس له غير ولد واحد، فهو أحبّ الناس إليه وأقرّهم لعينه ، ثم لا يزال يراه يتلبّس به الجنون وتعتريه أرواح الشياطين) [٣] .

فَأَشْفَقَ الْوَزِيرُ عَلَى الْمَلِكِ مِنْ ذَلِكَ وَ اهْتَمَّ بِهِ، وَ اسْتَشَارَ فِي ذَلِكَ أَصْحَابَهُ وَ إِخْوَانَهُ، فَقَالُوا لَهُ انْظُرْ لِنَفْسِكَ وَ أَصْحَابِكَ، فَإِنْ رَأَيْتَهُ مَوْضِعاً لِلْكَلَامِ فَكَلِّمْهُ وَ فَاوِضْهُ، وَ إِلَّا

[١] ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم (الحديث النبويّ الشريف).

[٢] في بعض النسخ (و زهادة عن الدنيا).

[٣] بلوهر وبوذاسف صفحة ٥٧.

فَإِنَّكَ إِنَّمَا تُعِينُهُ عَلَى نَفْسِكَ، وَ تُهَيِّجُهُ عَلَى أَهْلِ دِينِكَ، فَإِنَّ السُّلْطَانَ لَا يَغْتَرُّ بِهِ، وَ لَا تُؤْمَنُ سَطْوَتُهُ.

فَلَمْ يَزَلِ الْوَزِيرُ عَلَى اهْتِمَامِهِ بِهِ مُصَافِياً [1] لَهُ رَفِيقاً بِهِ، رَجَاءَ أَنْ يَجِدَ فُرْصَةً فَيَنْصَحَهُ، أَوْ يَجِدَ لِلْكَلَامِ مَوْضِعاً فَيُفَاوِضَهُ، وَ كَانَ الْمَلِكُ مَعَ ضَلَالَتِهِ مُتَوَاضِعاً سَهْلًا قَرِيباً حَسَنَ السِّيرَةِ فِي رَعِيَّتِهِ، حَرِيصاً عَلَى إِصْلَاحِهِمْ، مُتَفَقِّداً لِأُمُورِهِمْ، فَاصْطَحَبَ الْوَزِيرُ مَعَ الْمَلِكِ عَلَى هَذَا بُرْهَةً مِنْ زَمَانِهِ.

---

[1] صافى فلانًا = أخلص له الودّ.

نعيم الملكوت

ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ قَالَ لِلْوَزِيرِ ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيَالِي بَعْدَ مَا هَدَأَتِ الْعُيُونُ، هَلْ لَكَ أَنْ تَرْكَبَ فَنَسِيرَ فِي الْمَدِينَةِ فَنَنْظُرَ إِلَى حَالِ النَّاسِ وَ آثَارِ الْأَمْطَارِ الَّتِي أَصَابَتْهُمْ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ.

فَقَالَ الْوَزِيرُ نَعَمْ.

فَرَكِبَا جَمِيعاً يَجُولَانِ فِي نَوَاحِي الْمَدِينَةِ، فَمَرَّا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ عَلَى مَزْبَلَةٍ تُشْبِهُ الْجَبَلَ، فَنَظَرَ الْمَلِكُ إِلَى ضَوْءِ النَّارِ تَبْدُو فِي نَاحِيَةِ الْمَزْبَلَةِ، فَقَالَ لِلْوَزِيرِ إِنَّ لِهَذِهِ [١] لَقِصَّةً، فَانْزِلْ بِنَا نَمْشِي حَتَّى نَدْنُوَ مِنْهَا فَنَعْلَمَ خَبَرَهَا، فَفَعَلَا ذَلِكَ.

فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى مَخْرَجِ الضَّوْءِ وَجَدَا نَقْباً[٢] شَبِيهاً بِالْغَارِ وَ فِيهِ مِسْكِينٌ مِنَ الْمَسَاكِينِ، ثُمَّ نَظَرَا فِي الْغَارِ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَاهُمَا الرَّجُلُ، فَإِذَا الرَّجُلُ مُشَوَّهُ الْخَلْقِ، عَلَيْهِ ثِيَابٌ خُلْقَانٌ [٣] مِنْ خُلْقَانِ الْمَزْبَلَةِ، مُتَّكِئٌ عَلَى مُتَّكَإٍ قَدْ هَيَّأَهُ مِنَ الزِّبْلِ [٤]، وَ بَيْنَ يَدَيْهِ إِبْرِيقٌ فَخَّارٌ فِيهِ شَرَابٌ، وَ فِي يَدِهِ طُنْبُورٌ يَضْرِبُ بِيَدِهِ، وَ امْرَأَتُهُ فِي مِثْلِ خَلْقِهِ وَ لِبَاسِهِ، قَائِمَةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ تَسْقِيهِ إِذَا اسْتَسْقَى مِنْهَا، وَ تَرْقُصُ لَهُ إِذَا ضَرَبَ، وَ تُحَيِّيهِ بِتَحِيَّةِ الْمُلُوكِ كُلَّمَا شَرِبَ، وَ هُوَ يُسَمِّيهَا سَيِّدَةَ النِّسَاءِ، وَ هُمَا يَصِفَانِ أَنْفُسَهُمَا بِالْحُسْنِ وَ الْجَمَالِ، وَ بَيْنَهُمَا مِنَ السُّرُورِ وَ الضَّحِكِ وَ الطَّرَبِ مَا لَا يُوصَفُ.

---

[١] في نسخة المجلسي بإضافة النار.

[٢] نقب الحائط = خرقه. والنقب = الطريق في الجبل.

[٣] خلق الثوب = بلي.

[٤] الزبل = السرجين تسمّد الأرض وتصلح بوضع الزبل فيها. والمزبلة = موضع الزبل.

فَقَامَ الْمَلِكُ عَلَى رِجْلَيْهِ مَلِيّاً، وَ الْوَزِيرُ يَنْظُرُ كَذَلِكَ، وَ يَتَعَجَّبَانِ مِنْ لَذَّتِهِمَا وَ إِعْجَابِهِمَا بِمَا هُمَا فِيهِ. ثُمَّ انْصَرَفَ الْمَلِكُ وَ الْوَزِيرُ، فَقَالَ الْمَلِكُ مَا أَعْلَمَنِي وَ إِيَّاكَ أَصَابَنَا الدَّهْرُ مِنَ اللَّذَّةِ وَ السُّرُورِ وَ الْفَرَحِ مِثْلَ مَا أَصَابَ هَذَيْنِ اللَّيْلَةَ، مَعَ أَنِّي أَظُنُّهُمَا يَصْنَعَانِ كُلَّ لَيْلَةٍ مِثْلَ هَذَا.

فَاغْتَنَمَ الْوَزِيرُ ذَلِكَ مِنْهُ وَ وَجَدَ فُرْصَةً، فَقَالَ لَهُ أَخَافُ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنْ يَكُونَ دُنْيَانَا هَذِهِ مِنَ الْغُرُورِ وَ يَكُونَ مُلْكُكَ وَ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْبَهْجَةِ وَ السُّرُورِ فِي أَعْيُنِ مَنْ يَعْرِفُ الْمَلَكُوتَ الدَّائِمَ مِثْلَ هَذِهِ الْمَزْبَلَةِ وَ مِثْلَ هَذَيْنِ الشَّخْصَيْنِ اللَّذَيْنِ رَأَيْنَاهُمَا.

وَ تَكُونَ مَسَاكِنُنَا وَ مَا شَيَّدْنَا مِنْهَا عِنْدَ مَنْ يَرْجُو مَسَاكِنَ السَّعَادَةِ وَ ثَوَابَ الْآخِرَةِ مِثْلَ هَذَا الْغَارِ فِي أَعْيُنِنَا، وَ تَكُونَ أَجْسَادُنَا عِنْدَ مَنْ يَعْرِفُ الطَّهَارَةَ وَ النَّضَارَةَ وَ الْحُسْنَ وَ الصِّحَّةَ مِثْلَ جَسَدِ هَذَا الْمُشَوَّهِ الْخَلْقِ فِي أَعْيُنِنَا، وَ يَكُونَ تَعَجُّبُهُمْ عَنْ إِعْجَابِنَا بِمَا نَحْنُ فِيهِ كَتَعَجُّبِنَا مِنْ إِعْجَابِ هَذَيْنِ الشَّخْصَيْنِ بِمَا هُمَا فِيهِ.

قَالَ الْمَلِكُ وَ هَلْ تَعْرِفُ لِهَذِهِ الصِّفَةِ أَهْلًا ؟

قَالَ الْوَزِيرُ نَعَمْ.

قَالَ الْمَلِكُ مَنْ هُمْ ؟

قَالَ الْوَزِيرُ أَهْلُ الدِّينِ الَّذِينَ عَرَفُوا مُلْكَ الْآخِرَةِ وَ نَعِيمَهَا فَطَلَبُوهُ.

قَالَ الْمَلِكُ وَ مَا مُلْكُ الْآخِرَةِ ؟

قَالَ الْوَزِيرُ هُوَ النَّعِيمُ الَّذِي لَا بُؤْسَ بَعْدَهُ، وَ الْغِنَى الَّذِي لَا فَقْرَ بَعْدَهُ، وَ الْفَرَحُ الَّذِي لَا تَرَحَ بَعْدَهُ، وَ الصِّحَّةُ الَّتِي لَا سُقْمَ بَعْدَهَا، وَ الرِّضَا الَّذِي لَا سَخَطَ بَعْدَهُ، وَ الْأَمْنُ

الَّذِي لَا خَوْفَ بَعْدَهُ، وَ الْحَيَاةُ الَّتِي لَا مَوْتَ بَعْدَهَا، وَ الْمُلْكُ الَّذِي لَا زَوَالَ لَهُ [١] .

(والنور الذي ليس معه ظلمة، والعلم الذي ليس معه جهل، والمحبّة التي ليس معها بغضة، والحسن الذي ليس معه قبح، والطيب الذي ليس معه نتن، وتمام الخير والسلامة من جميع الشرور في دار البقاء التي ليس معها زوال) [٢] .

هِيَ دَارُ الْبَقَاءِ وَ دَارُ الْحَيَوَانِ الَّتِي لَا انْقِطَاعَ لَهَا وَ لَا تَغَيُّرَ فِيهَا، رَفَعَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ عَنْ سَاكِنِيهَا فِيهَا السُّقْمَ وَ الْهَرَمَ وَ الشَّقَاءَ وَ النَّصَبَ وَ الْمَرَضَ وَ الْجُوعَ وَ الظَّمَأَ وَ الْمَوْتَ، فَهَذِهِ صِفَةُ مُلْكِ الْآخِرَةِ وَ خَبَرُهَا أَيُّهَا الْمَلِكُ.

قَالَ الْمَلِكُ وَ هَلْ تُدْرِكُونَ إِلَى هَذِهِ الدَّارِ مَطْلَباً وَ إِلَى دُخُولِهَا سَبِيلًا ؟

قَالَ الْوَزِيرُ نَعَمْ هِيَ مُهَيَّأَةٌ لِمَنْ طَلَبَهَا مِنْ وَجْهِ مَطْلَبِهَا، وَ مَنْ أَتَاهَا مِنْ بَابِهَا ظَفِرَ بِهَا.

قَالَ الْمَلِكُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تُخْبِرَنِي بِهَذَا قَبْلَ الْيَوْمِ ؟

قَالَ الْوَزِيرُ مَنَعَنِي مِنْ ذَلِكَ إِجْلَالُكَ وَ الْهَيْبَةُ لِسُلْطَانِكَ.

(قال الوزير ما منعني من ذلك إلا أن أكون رأيتك له موضعًا في العقل والمودّة والثقة، ولكن لم أرك موضعه لما في عنقك من السلطان، فإن السلطان يصمّ عن هذا كله ويعمى عنه للذي قد شغل به قلبه، فتزيد مع العمى والصمم الحميّة، التي تحول بينه وبين التدبير والتقدير، لاشتغال قلبه بالأمور المتفرّقة القريبة والبعيدة، مما يحبّ ويكره، واشتغال سمعه بكثرة الأقاويل والأحاديث التي تلهي عن هذا، وتنسي ذكره، واشتغال بصره

---

[١] في نسخة المجلسي بإضافة التي.

[٢] بلوهر وبوذاسف صفحة ٦٠.

بصنوف ما ينظر إليه مما يطغيه ويبطره، ويدعو إلى رفضه من الألوان والأشكال، ثم لا يكون مع هذه الحميّة والغضب إلا اليوم لمّا رأيتك له موضعًا) [١] .

قَالَ الْمَلِكُ لَئِنْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي وَصَفْتَ يَقِيناً فَلَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نُضَيِّعَهُ، وَ لَا نَتْرُكَ الْعَمَلَ بِهِ فِي إِصَابَتِهِ، وَ لَكِنَّا نَجْتَهِدُ حَتَّى يَصِحَّ لَنَا خَبَرُهُ.

(قال الملك لإن كان هذا الأمر الذي وصفت يقينًا ما ينبغي لنا أن نجعل ليلنا ونهارنا وأبصارنا وأسماعنا إلا فيه، وطلبًا لذلك المكان الشريف، ولإن كان شكًّا إنّا لأحقّ أن نجعل أكثر شغلنا في طلب علمه، حتى نعلم أحقّ هو أم باطل، وما أرى كتمانك هذا الأمر بجميل فيما بيني وبينك، وإن كنت بمودّتك واثقًا وبعذرك عارفًا) [٢] .

قَالَ الْوَزِيرُ أَ فَتَأْمُرُنِي أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنْ أُوَاظِبَ عَلَيْكَ فِي ذِكْرِهِ وَ التَّكْرِيرِ لَهُ ؟

قَالَ الْمَلِكُ بَلْ آمُرُكَ أَنْ لَا تَقْطَعَ عَنِّي ذِكْرَهُ لَيْلًا وَ لَا نَهَاراً، وَ لَا تُرِيحَنِي وَ لَا تُمْسِكَ عَنِّي ذِكْرَهُ، فَإِنَّ هَذَا أَمْرٌ عَجِيبٌ لَا يُتَهَاوَنُ بِهِ، وَ لَا يُغْفَلُ عَنْ مِثْلِهِ.

وَ كَانَ سَبِيلُ ذَلِكَ الْمَلِكِ وَ الْوَزِيرِ إِلَى النَّجَاةِ.

---

[١] بلوهر وبوذاسف صفحة ٦٠.

[٢] بلوهر وبوذاسف صفحة ٦٠-٦١.

فنّ الإنقاذ من الغرق

(قال الوزير أيّها الملك إنّي وإن كنت أثمت فيما بيني وبينك في ترك شرح هذا الأمر لك، فقد كنت في تغريري بديني في صحبتك والمقام عليك إلى نفسي لآثمًا مليمًا.

فإن هذا الأمر متفاوت فيما بين عارفه والجاهل به، إذا اتّفقا في ترك فرائضه والنكوب عن منهاجه، والعمل للدنيا التي هي عدوّه.

وإنّما أقمت عليك تذمّمًا منك ورأفة ومحافظة عليك، كما أقام السابح على صاحبه الجاهل بالسباحة حين وقعا في الغمر.

قال الملك وكيف ذلك ؟

قال الوزير وذلك أنه بلغني أن أخوين كانا متصافيين أحدهما سابح عالم بمعالجة الماء، والآخر لا علم له بالسّباحة، ولا جرأة له على الماء.

فخاضا نهرًا فوقعا في الغمر، فطفق السابح يعمل بأطرافه ليخرج من الغرق، فلما التفت إلى صاحبه وجده ينغمس أحيانًا ويطلع رأسه أحيانًا لا يعين نفسه بشيء.

فلما رأى جهالته بالسباحة وقلّة غنائه عن نفسه، انصرف إليه تذمّمًا وحفاظًا، فجعل يطوف وينظر الفرصة في أمره لاستنقاذه، ولا يجترئ على الدنوّ منه، مخافة أن يتعلّق به، فيغرقان جميعًا. والسابح نحيف الجسم ضعيف البطش، وصاحبه قويّ شديد جسيم.

فما زال يخبط الماء بيديه نصب عيني صاحبه ليهديه لحيلة السباحة والخروج من الماء، حتى حرّك صاحبه يديه يحكي السباحة.

فلما رآه أعان نفسه رجا أن يخلّصه، فغرّر بنفسه في الدنوّ منه، حتى أمكنه من يده، ثم سبح به حتى خرجا جميعًا.

وكذلك أيّها الملك غرّرت بنفسي في ذكر هذا لك، مع تخوّفي لبطشك وقوّتك، وعلمي بمهانة نفسي وضعفها، مع خيفتي ووجلي من الأمر الذي يكون به قضاء واجب حقّك، حتى رأيت الفرصة، ورجوت لك الخلاص.

أفتأمرني أن أواظب عليك في هذا الأمر ؟

قال الملك بل آمرك ألّا تقلع عنّي فيه ليلًا ولا نهارًا، ولا تريحني ولا نفسك.

ففعل الوزير ما أمر الملك، فكان سبيلهما إلى النجاة والخلاص) [1] .

---

[1] بلوهر وبوذاسف صفحة ٦١-٦٢.

الغنيّ الذي صاهر الفقير

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ مَا أَنَا بِشَاغِلٍ نَفْسِي بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ عَنْ هَذَا السَّبِيلِ، وَ لَقَدْ حَدَّثْتُ نَفْسِي بِالْهَرَبِ مَعَكَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، حَيْثُ بَدَا لَكَ أَنْ تَذْهَبَ.

قَالَ بِلَوْهَرُ وَ كَيْفَ تَسْتَطِيعُ الذَّهَابَ مَعِي وَ الصَّبْرَ عَلَى صُحْبَتِي، وَ لَيْسَ لِي جُحْرٌ يَأْوِينِي، وَ لَا دَابَّةٌ تَحْمِلُنِي، وَ لَا أَمْلِكُ ذَهَباً وَ لَا فِضَّةً، وَ لَا أَدَّخِرُ غِذَاءَ الْعِشَاءِ، وَ لَا يَكُونُ عِنْدِي فَضْلُ ثَوْبٍ، وَ لَا أَسْتَقِرُّ بِبَلْدَةٍ إِلَّا قَلِيلًا، حَتَّى أَتَحَوَّلَ عَنْهَا، وَ لَا أَتَزَوَّدُ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ أُخْرَى رَغِيفاً أَبَداً.

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ إِنِّي أَرْجُو أَنْ يُقَوِّيَنِي الَّذِي قَوَّاكَ.

قَالَ بِلَوْهَرُ أَمَا إِنَّكَ إِنْ أَبَيْتَ إِلَّا صُحْبَتِي كُنْتَ خَلِيقاً أَنْ تَكُونَ كَالْغَنِيِّ [1] الَّذِي صَاهَرَ الْفَقِيرَ.

قَالَ يُوذَاسُفُ وَ كَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ بِلَوْهَرُ زَعَمُوا أَنَّ فَتًى كَانَ مِنْ أَوْلَادِ الْأَغْنِيَاءِ، فَأَرَادَ أَبُوهُ أَنْ يُزَوِّجَهُ ابْنَةَ عَمٍّ لَهُ ذَاتَ جَمَالٍ وَ مَالٍ، فَلَمْ يُوَافِقْ ذَلِكَ الْفَتَى، وَ لَمْ يُطْلِعْ أَبَاهُ عَلَى كَرَاهَتِهِ، حَتَّى خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ مُتَوَجِّهاً إِلَى أَرْضٍ أُخْرَى.

فَمَرَّ فِي طَرِيقِهِ عَلَى جَارِيَةٍ عَلَيْهَا ثِيَابٌ خُلْقَانٌ لَهَا قَائِمَةٍ عَلَى بَابِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الْمَسَاكِينِ، فَأَعْجَبَتْهُ الْجَارِيَةُ فَقَالَ لَهَا مَنْ أَنْتِ أَيَّتُهَا الْجَارِيَةُ ؟

قَالَتْ أَنَا ابْنَةُ شَيْخٍ كَبِيرٍ فِي هَذَا الْبَيْتِ.

[1] في نسخة المجلسي كالفتى.

فَنَادَى الْفَتَى الشَّيْخَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ هَلْ تُزَوِّجُنِي ابْنَتَكَ هَذِهِ ؟

قَالَ مَا أَنْتَ بِمُتَزَوِّجٍ لِبَنَاتِ الْفُقَرَاءِ وَ أَنْتَ فَتًى مِنَ الْأَغْنِيَاءِ.

قَالَ أَعْجَبَتْنِي هَذِهِ الْجَارِيَةُ، وَ لَقَدْ خَرَجْتُ هَارِباً مِنِ امْرَأَةٍ ذَاتِ حَسَبٍ وَ مَالٍ أَرَادُوا مِنِّي تَزْوِيجَهَا فَكَرِهْتُهَا، فَزَوِّجْنِي ابْنَتَكَ، فَإِنَّكَ وَاجِدٌ عِنْدِي خَيْراً إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

قَالَ الشَّيْخُ كَيْفَ أُزَوِّجُكَ ابْنَتِي وَ نَحْنُ لَا تَطِيبُ أَنْفُسُنَا أَنْ تَنْقُلَهَا عَنَّا، وَ لَا أَحْسَبُ [1] مَعَ ذَلِكَ أَنَّ أَهْلَكَ يَرْضَوْنَ أَنْ تَنْقُلَهَا إِلَيْهِمْ.

قَالَ الْفَتَى فَنَحْنُ مَعَكُمْ فِي مَنْزِلِكُمْ هَذَا.

قَالَ الشَّيْخُ إِنْ صَدَقْتَ فِيمَا تَقُولُ فَاطْرَحْ عَنْكَ زِيَّكَ وَ حِلْيَتَكَ هَذِهِ.

قَالَ فَفَعَلَ الْفَتَى ذَلِكَ، وَ أَخَذَ أَطْمَاراً [2] رَثَّةً مِنْ أَطْمَارِهِمْ فَلَبِسَهَا وَ قَعَدَ مَعَهُمْ.

فَسَأَلَهُ الشَّيْخُ عَنْ شَأْنِهِ، وَ عَرَضَ لَهُ بِالْحَدِيثِ حَتَّى فَتَّشَ عَقْلَهُ فَعَرَفَ أَنَّهُ صَحِيحُ الْعَقْلِ، وَ أَنَّهُ لَمْ يَحْمِلْهُ عَلَى مَا صَنَعَ السَّفَهُ.

فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ أَمَّا إِذَا اخْتَرْتَنَا وَ رَضِيتَ بِنَا، فَقُمْ مَعِي إِلَى هَذَا السَّرْبِ [3] فَأَدْخَلَهُ، فَإِذَا خَلْفَ مَنْزِلِهِ بُيُوتٌ وَ مَسَاكِنُ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا [4] قَطُّ سَعَةً وَ حُسْناً، وَ لَهُ خَزَائِنُ مِنْ كُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهِ مَفَاتِيحَهُ، وَ قَالَ لَهُ إِنَّ كُلَّ مَا هَاهُنَا لَكَ، فَاصْنَعْ بِهِ مَا أَحْبَبْتَ، فَنِعْمَ الْفَتَى أَنْتَ ! وَ أَصَابَ الْفَتَى مَا كَانَ يُرِيدُهُ.

---

(١) في نسخة المجلسي ولا أحتسب.

(٢) أطمار جمع طمر = الثوب البالي.

(٣) السرب = القناة يدخل منها الماء.

(٤) في نسخة المجلسي مثله.

مداواة القلوب بالدعاء إلى الله

قَالَ يُوذَاسُفُ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا صَاحِبَ هَذَا الْمَثَلِ. إِنَّ الشَّيْخَ فَتَّشَ عَقْلَ هَذَا الْغُلَامَ حَتَّى وَثِقَ بِهِ، فَلَعَلَّكَ تَطَوَّلُ [١] بِي عَلَى تَفْتِيشِ عَقْلِي، فَأَعْلِمْنِي مَا عِنْدَكَ فِي ذَلِكَ.

قَالَ الْحَكِيمُ لَوْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ إِلَيَّ لَاكْتَفَيْتُ مِنْكَ بِأَدْنَى الْمُشَافَهَةِ [٢] ، وَ لَكِنَّ فَوْقَ رَأْسِي سُنَّةً قَدْ سَنَّهَا أَئِمَّةُ الْهُدَى فِي بُلُوغِ الْغَايَةِ فِي التَّوْفِيقِ، وَ عِلْمِ مَا فِي الصُّدُورِ، فَأَنَا أَخَافُ إِنْ خَالَفْتُ السُّنَّةَ، أَنْ أَكُونَ قَدْ أَحْدَثْتُ بِدْعَةً، وَ أَنَا مُنْصَرِفٌ عَنْكَ اللَّيْلَةَ وَ حَاضِرٌ بَابَكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ.

فَفَكِّرْ فِي نَفْسِكَ بِهَذَا وَ اتَّعِظْ بِهِ، وَ لْيَحْضُرْكَ فَهْمُكَ تَثْبُتْ[٣] ، وَ لَا تَعْجَلْ بِالتَّصْدِيقِ لِمَا يُورِدُهُ عَلَيْكَ هَمُّكَ، حَتَّى تَعْلَمَهُ بَعْدَ التُّؤَدَةِ وَ الْأَنَاةِ.

وَ عَلَيْكَ بِالاحْتِرَاسِ فِي ذَلِكَ أَنْ يَغْلِبَكَ الْهَوَى وَ الْمَيْلُ إِلَى الشُّبْهَةِ وَ الْعَمَى، وَ اجْتَهِدْ فِي الْمَسَائِلِ الَّتِي تَظُنُّ أَنَ فِيهَا شُبْهَةً، ثُمَّ كَلِّمْنِي فِيهَا وَ أَعْلِمْنِي رَأْيَكَ فِي الْخُرُوجِ إِذَا أَرَدْتَ.

وَ افْتَرَقَا عَلَى هَذَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ.

ثُمَّ عَادَ الْحَكِيمُ إِلَيْهِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَ دَعَا لَهُ، ثُمَّ جَلَسَ فَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ أَنْ قَالَ:

---

[١] تطوّل عليه = امتنّ عليه.

[٢] شافهه = خاطبه فاه إلى فيه.

[٣] في نسخة المجلسي وتثبت.

أَسْأَلُ اللهَ الْأَوَّلَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ شَيْءٌ، وَ الْآخِرَ الَّذِي لَا يَبْقَى مَعَهُ شَيْءٌ، وَ الْبَاقِيَ الَّذِي لَا مُنْتَهَى[1] لَهُ[2]، وَ الْوَاحِدَ الْفَرْدَ الصَّمَدَ الَّذِي لَيْسَ مَعَهُ غَيْرُهُ، وَ الْقَاهِرَ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ، الْبَدِيعَ الَّذِي لَا خَالِقَ مَعَهُ، الْقَادِرَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ ضِدٌّ، الصَّمَدَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ نِدٌّ، الْمَلِكَ الَّذِي لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، أَنْ يَجْعَلَكَ مَلِكاً عَدْلًا إِمَاماً فِي الْهُدَى، قَائِداً إِلَى التَّقْوَى، وَ مُبْصِراً مِنَ الْعَمَى، وَ زَاهِداً فِي الدُّنْيَا، وَ مُحِبّاً لِذَوِي النُّهَى، وَ مُبْغِضاً لِأَهْلِ الرَّدَى، حَتَّى يُفْضِيَ بِنَا وَ بِكَ إِلَى مَا وَعَدَ اللهُ أَوْلِيَاءَهُ عَلَى أَلْسِنَةِ أَنْبِيَائِهِ مِنْ جَنَّتِهِ وَ رِضْوَانِهِ.

فَإِنَّ رَغْبَتَنَا إِلَى اللهِ فِي ذَلِكَ سَاطِعَةٌ، وَ رَهْبَتَنَا مِنْهُ بَاطِنَةٌ، وَ أَبْصَارَنَا إِلَيْهِ شَاخِصَةٌ[3]، وَ أَعْنَاقَنَا لَهُ خَاضِعَةٌ، وَ أُمُورَنَا إِلَيْهِ صَائِرَةٌ.

---

[1] في نسخة المجلسي لا فناء.

[2] في نسخة المجلسي بإضافة هذه العبارة: والعظيم الذي لا منتهى له.

[3] في بعض النسخ (و أبصارنا إليه خاشعة).

الحوار الثالث في عمر بلوهر

فَرَقَّ ابْنُ الْمَلِكِ لِذَلِكَ الدُّعَاءِ رِقَّةً شَدِيدَةً، وَ ازْدَادَ فِي الْخَيْرِ رَغْبَةً، وَ قَالَ مُتَعَجِّباً مِنْ قَوْلِهِ، أَيُّهَا الْحَكِيمُ أَعْلِمْنِي كَمْ أَتَى لَكَ مِنَ الْعُمُرِ ؟

فَقَالَ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً.

فَارْتَاعَ لِذَلِكَ، وَ قَالَ ابْنُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً طِفْلٌ وَ أَنْتَ مَعَ مَا أَرَى مِنَ التَّكَهُّلِ لِابْنِ [1] سِتِّينَ سَنَةً.

قَالَ الْحَكِيمُ أَمَّا الْمَوْلِدُ فَقَدْ رَاهَقَ السِّتِّينَ سَنَةً، وَ لَكِنَّكَ سَأَلْتَنِي عَنِ الْعُمُرِ، وَ إِنَّمَا الْعُمُرُ الْحَيَاةُ، وَ لَا حَيَاةَ إِلَّا فِي الدِّينِ وَ الْعَمَلِ بِهِ، وَ التَّخَلِّي مِنَ الدُّنْيَا، وَ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لِي إِلَّا مِنِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، فَأَمَّا قَبْلَ ذَلِكَ فَإِنِّي كُنْتُ مَيِّتاً، وَ لَسْتُ أَعْتَدُّ [2] فِي عُمُرِي بِأَيَّامِ الْمَوْتِ.

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ كَيْفَ تَجْعَلُ الْآكِلَ وَ الشَّارِبَ وَ الْمُتَقَلِّبَ مَيِّتاً ؟

قَالَ الْحَكِيمُ لِأَنَّهُ شَارَكَ الْمَوْتَى فِي الْعَمَى وَ الصَّمِّ وَ الْبَكَمِ وَ ضَعْفِ الْحَيَاةِ وَ قِلَّةِ الْغِنَى، فَلَمَّا شَارَكَهُمْ فِي الصِّفَةِ وَافَقَهُمْ فِي الِاسْمِ.

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ لَئِنْ كُنْتَ لَا تَعُدَّ[3] حَيَاةً وَ لَا غِبْطَةً مَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعُدَّ مَا يَتَوَقَّعُ [1] مِنَ الْمَوْتِ مَوْتاً وَ لَا تَرَاهُ مَكْرُوهاً !

---

(1) في نسخة المجلسي كـ ابن ستين.

(2) اعتدّ = صار معدودًا. لا يعتدّ به = لا يلتفت إليه.

(3) في نسخة المجلسي بإضافة حياتك تلك.

(1) في نسخة المجلسي تتوقّع.

موتوا قبل أن تموتوا [1]

قَالَ الْحَكِيمُ تَغْرِيرِي [2] فِي الدُّخُولِ عَلَيْكَ بِنَفْسِي يَا ابْنَ الْمَلِكِ، مَعَ عِلْمِي لِسَطْوَةِ أَبِيكَ عَلَى أَهْلِ دِينِي ، يَدُلُّكَ عَلَى أَنِّي لا أَرَى الْمَوْتَ مَوْتاً، وَ لا أَرَى هَذِهِ الْحَيَاةَ حَيَاةً، وَ لا مَا أَتَوَقَّعُ مِنَ الْمَوْتِ مَكْرُوهاً.

فَكَيْفَ يَرْغَبُ فِي الْحَيَاةِ مَنْ قَدْ تَرَكَ حَظَّهُ مِنْهَا، أَوْ يَهْرُبُ مِنَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ أَمَاتَ نَفْسَهُ بِيَدِهِ ! أَ وَ لَا تَرَى يَا ابْنَ الْمَلِكِ أَنَّ صَاحِبَ الدِّينِ قَدْ رَفَضَ فِي [3] الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِهِ وَ مَالِهِ، وَ مَا لَا يَرْغَبُ فِي الْحَيَاةِ [4] إِلَّا لَهُ [5]، وَ احْتَمَلَ مِنْ نَصَبِ الْعِبَادَةِ مَا لَا يُرِيحُهُ مِنْهُ إِلَّا الْمَوْتُ.

فَمَا حَاجَةُ مَنْ لَا يَتَمَتَّعُ بِلَذَّةِ الْحَيَاةِ إِلَى الْحَيَاةِ، أَوْ مهرب [يَهْرُبُ] مَنْ لَا رَاحَةَ لَهُ إِلَّا فِي الْمَوْتِ مِنَ الْمَوْتِ !

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ صَدَقْتَ أَيُّهَا الْحَكِيمُ، فَهَلْ يَسُرُّكَ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ الْمَوْتُ مِنْ غَدٍ ؟

قَالَ الْحَكِيمُ بَلْ يَسُرُّنِي أَنْ يَنْزِلَ بِيَ اللَّيْلَةَ دُونَ غَدٍ، فَإِنَّهُ مَنْ عَرَفَ السَّيِّئَ وَ الْحَسَنَ وَ عَرَفَ ثَوَابَهُمَا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ تَرَكَ السَّيِّئَ مَخَافَةَ عِقَابِهِ وَ عَمِلَ بِالْحَسَنِ رَجَاءَ ثَوَابِهِ.

---

[1] الحديث النبويّ الشريف.

[2] تعريض نفسه للهلاك.

[3] في نسخة المجلسي من دون في.

[4] في نسخة المجلسي فيها.

[5] في بعض النسخ (ما لا يرغب فيها مالًا إلا له).

وَ مَنْ كَانَ مُوقِناً بِاللهِ وَحْدَهُ، مُصَدِّقاً بِوَعْدِهِ، فَإِنَّهُ يُحِبُّ الْمَوْتَ، لِمَا يَرْجُو بَعْدَ الْمَوْتِ مِنَ الرَّخَاءِ، وَ يَزْهَدُ فِي الْحَيَاةِ، لِمَا يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا [1] وَ الْمَعْصِيَةِ لِلّٰهِ فِيهَا، فَهُوَ يُحِبُّ الْمَوْتَ مُبَادِرَةً مِنْ ذَلِكَ.

فَقَالَ ابْنُ الْمَلِكِ إِنَّ هَذَا لَخَلِيقٌ أَنْ يُبَادِرَ [2] الْهَلَكَةَ، لِمَا يَرْجُو فِي ذَلِكَ مِنَ النَّجَاةِ. فَاضْرِبْ لِي مَثَلَ أُمَّتِنَا هَذِهِ وَ عُكُوفِهَا عَلَى أَصْنَامِهَا.

(قال بوذاسف أراك قد جسرت على بصيرتك هذه، كما جسرت أمّتنا هذه على عبادة الأوثان، فهل معك من الحجّة ما ليس معهم ؟) [3] .

[1] إذا كان الإنسان يرى الحقيقة كما هي، ويرى الشيطان يطارده كلّ حين ويترصّد له في كل ركن (طبعًا في أعماق باطنه)، ويرى خصماءه في أهوائه من الْحِرْص وَ الْغَضَب وَ الْحَسَد وَ الْحَمِيَّة وَ الشَّهْوَة وَ الرِّيَاء وَ اللَّجَاجَة، ويراها كالسباع تريد أن تنقضّ عليه، وهي معه في قارب واحد، فماذا عسى أن يفعل هذا الإنسان المسكين ! من البديهيّ أنّه يفضّل أن يلقي بنفسه في لجج البحار لعلّه ينجو من السباع، حتى لا تنهش السباع لحمه نهشًا وتأكله حيًّا !

كذلك مثل الإنسان الخائف من الله، أراد الله أن يمتحنه، فوسّع عليه الشيطان مجالات الأهواء، فوجدها سهلة المنال ماثلة أمامه، وزيّنت له نفسه العمل بالأهواء وبدأت توسوس له، وهو يعلم علم اليقين بما ينتظره من الهلاك، إن هو ارتكب هذه المعاصي، فهو يرى العاقبة رأي العين، كيف لا يصرخ طالبًا من الله أن يعصمه ! واويلاه من هذه الدنيا الدنيّة ومن زخرفها ومن نفس الإنسان الحريصة التابعة للشهوات والرياء !!!

[2] بادره = عاجله.

[3] بلوهر وبوذاسف صفحة ٦٦.

مثل العصفور وصاحب البستان

قَالَ الْحَكِيمُ إِنَّ رَجُلًا كَانَ لَهُ بُسْتَانٌ يَعْمُرُهُ وَ يُحْسِنُ الْقِيَامَ عَلَيْهِ، إِذْ رَأَى فِي بُسْتَانِهِ ذَاتَ يَوْمٍ عُصْفُوراً وَاقِعاً عَلَى شَجَرَةٍ مِنْ شَجَرِ [1] الْبُسْتَانِ يُصِيبُ مِنْ ثَمَرِهَا.

فَغَاضَهُ ذَلِكَ فَنَصَبَ فَخّاً فَصَادَهُ، فَلَمَّا هَمَّ بِذَبْحِهِ أَنْطَقَهُ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِقُدْرَتِهِ، فَقَالَ لِصَاحِبِ الْبُسْتَانِ، إِنَّكَ تَهْتَمُّ بِذَبْحِي، وَ لَيْسَ فِيَّ مَا يُشْبِعُكَ مِنْ جُوعٍ، وَ لَا يُقَوِّيكَ مِنْ ضَعْفٍ، فَهَلْ لَكَ فِيَّ خَيْرٌ مِمَّا هَمَمْتَ بِهِ ؟

قَالَ الرَّجُلُ مَا هُوَ ؟

قَالَ الْعُصْفُورُ تُخَلِّي سَبِيلِي وَ أُعَلِّمُكَ ثَلَاثَ كَلِمَاتٍ إِنْ أَنْتَ حَفِظْتَهُنَّ كُنَّ خَيْراً لَكَ مِنْ أَهْلٍ وَ مَالٍ هُوَ لَكَ.

قَالَ قَدْ فَعَلْتُ فَأَخْبِرْنِي بِهِنَّ.

قَالَ الْعُصْفُورُ احْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ: لَا تَأْسَ عَلَى مَا فَاتَكَ، وَ لَا تُصَدِّقَنَّ بِمَا لَا يَكُونُ، وَ لَا تَطْلُبَنَّ مَا لَا تُطِيقُ.

فَلَمَّا قَضَى الْكَلِمَاتِ خَلَّى سَبِيلَهُ، فَطَارَ فَوَقَعَ عَلَى بَعْضِ الْأَشْجَارِ، ثُمَّ قَالَ لِلرَّجُلِ لَوْ تَعْلَمُ مَا فَاتَكَ مِنِّي، لَعَلِمْتَ أَنَّكَ قَدْ فَاتَكَ مِنِّي عَظِيمٌ جَسِيمٌ مِنَ الْأَمْرِ.

فَقَالَ الرَّجُلُ وَ مَا ذَاكَ ؟

[1] في نسخة المجلسي شجرة.

قَالَ الْعُصْفُورُ لَوْ كُنْتَ مَضَيْتَ [١] عَلَى مَا هَمَمْتَ بِهِ مِنْ ذَبْحِي، لَاسْتَخْرَجْتَ مِنْ حَوْصَلَتِي [٢] دُرَّةً كَبَيْضَةِ الْوَزَّةِ، فَكَانَ لَكَ فِي ذَلِكَ غِنَى الدَّهْرِ.

فَلَمَّا سَمِعَ الرَّجُلُ مِنْهُ ذَلِكَ أَسَرَّ فِي نَفْسِهِ نَدماً عَلَى مَا فَاتَهُ، وَ قَالَ دَعْ عَنْكَ مَا مَضَى، وَ هَلُمَّ أَنْطَلِقْ بِكَ إِلَى مَنْزِلِي، فَأُحْسِنَ صُحْبَتَكَ وَ أُكْرِمَ مَثْوَاكَ.

فَقَالَ لَهُ الْعُصْفُورُ أَيُّهَا الْجَاهِلُ مَا أَرَاكَ حَفِظْتَنِي إِذَا ظَفِرْتَ بِي، وَ لَا انْتَفَعْتَ بِالْكَلِمَاتِ الَّتِي افْتَدَيْتُ بِهَا مِنْكَ نَفْسِي. أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكَ أَلَّا تَأْسَ عَلَى مَا فَاتَكَ، وَ لَا تُصَدِّقْ مَا لَا يَكُونُ وَ لَا تَطْلُبْ مَا لَا يُدْرَكُ ؟

أَمَّا أَنْتَ مُتَفَجِّعٌ عَلَى مَا فَاتَكَ، وَ تَلْتَمِسُ مِنِّي رَجْعَتِي إِلَيْكَ، وَ تَطْلُبُ مَا لَا تُدْرِكُ، وَ تُصَدِّقُ أَنَّ فِي حَوْصَلَتِي دُرَّةً كَبَيْضَةِ الْوَزَّةِ، وَ جَمِيعِي أَصْغَرُ مِنْ بَيْضِهَا، وَ قَدْ كُنْتُ عَهِدْتُ إِلَيْكَ أَنْ لَا تُصَدِّقَ بِمَا لَا يَكُونُ.

وَ أَنَّ [٣] أُمَّتَكُمْ صَنَعُوا أَصْنَامَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ زَعَمُوا أَنَّهَا هِيَ الَّتِي خَلَقَتْهُمْ، وَ حَفِظُوهَا مِنْ أَنْ تُسْرَقَ مَخَافَةً عَلَيْهَا وَ زَعَمُوا أَنَّهَا هِيَ الَّتِي تَحْفَظُهُمْ، وَ أَنْفَقُوا عَلَيْهَا مِنْ مَكَاسِبِهِمْ وَ أَمْوَالِهِمْ وَ زَعَمُوا أَنَّهَا هِيَ الَّتِي تَرْزُقُهُمْ. فَطَلَبُوا مِنْ ذَلِكَ مَا لَا يُدْرَكُ، وَ صَدَّقُوا بِمَا لَا يَكُونُ، فَلَزِمَهُمْ مِنْهُ مَا لَزِمَ صَاحِبَ الْبُسْتَانِ.

---

[١] في نسخة المجلسي قضيت.

[٢] الحوصلة من الطائر بمنزلة المعدة من الإنسان.

[٣] في نسخة المجلسي إنّ.

معرفة الله والعمل برضاه

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ صَدَقْتَ، أَمَّا الْأَصْنَامُ فَإِنِّي لَمْ أَزَلْ عَارِفاً بِأَمْرِهَا زَاهِداً فِيهَا آيِساً مِنْ خَيْرِهَا. فَأَخْبِرْنِي بِالَّذِي تَدْعُونِي إِلَيْهِ وَ الَّذِي ارْتَضَيْتَهُ لِنَفْسِكَ مَا هُوَ ؟

قَالَ بِلَوْهَرُ جِمَاعُ الدِّينِ أَمْرَانِ أَحَدُهُمَا مَعْرِفَةُ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ الْآخَرُ الْعَمَلُ بِرِضْوَانِهِ.

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ وَ كَيْفَ مَعْرِفَةُ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ ؟

قَالَ الْحَكِيمُ أَدْعُوكَ إِلَى أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ وَاحِدٌ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ، لَمْ يَزَلْ فَرْداً رَبّاً وَ مَا سِوَاهُ مَرْبُوبٌ، وَ أَنَّهُ خَالِقٌ وَ مَا سِوَاهُ مَخْلُوقٌ، وَ أَنَّهُ قَدِيمٌ وَ مَا سِوَاهُ مُحْدَثٌ، وَ أَنَّهُ صَانِعٌ وَ مَا سِوَاهُ مَصْنُوعٌ، وَ أَنَّهُ مُدَبِّرٌ وَ مَا سِوَاهُ مُدَبَّرٌ، وَ أَنَّهُ بَاقٍ وَ مَا سِوَاهُ فَانٍ، وَ أَنَّهُ عَزِيزٌ وَ مَا سِوَاهُ ذَلِيلٌ. وَ أَنَّهُ لَا يَنَامُ وَ لَا يَغْفُلُ وَ لَا يَأْكُلُ وَ لَا يَشْرَبُ وَ لَا يَضْعُفُ وَ لَا يُغْلَبُ وَ لَا يَضْجَرُ [1] وَ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ.

لَمْ تَمْتَنِعْ مِنْهُ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ وَ الْهَوَاءُ وَ الْبَرُّ وَ الْبَحْرُ، وَ أَنَّهُ كَوَّنَ الْأَشْيَاءَ لَا مِنْ شَيْءٍ، وَ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ وَ لَا يَزَالُ، وَ لَا تُحْدِثُ فِيهِ الْحَوَادِثُ، وَ لَا تُغَيِّرُهُ الْأَحْوَالُ، وَ لَا تُبَدِّلُهُ الْأَزْمَانُ، وَ لَا يَتَغَيَّرُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَ لَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ، وَ لَا يَشْتَغِلُ بِهِ مَكَانٌ، وَ لَا يَكُونُ مِنْ مَكَانٍ أَقْرَبَ مِنْهُ إِلَى مَكَانٍ، وَ لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ، عَالِمٌ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، قَدِيرٌ لَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ.

---

[1] في نسخة المجلسي لا يعجز.

وَ أَنْ تَعْرِفَهُ بِالرَّأْفَةِ وَ الرَّحْمَةِ وَ الْعَدْلِ، وَ أَنَّ لَهُ ثَوَاباً أَعَدَّهُ لِمَنْ أَطَاعَهُ، وَ عَذَاباً أَعَدَّهُ لِمَنْ عَصَاهُ، وَ أَنْ تَعْمَلَ لِلَّهِ بِرِضَاهُ، وَ تَجْتَنِبَ سَخَطَهُ.

(قال بوذاسف وما الحجّة في ذلك ؟

قال بلوهر ألا ترى يا ابن الملك أنّك لو رأيت صناعةً غاب عنك صانعها عرفت أنّ لها صانعًا، وإن رأيت بناءً غاب عنك بانيه شهدت أنّ له بانيًا، فكذلك ما ترى من خلق السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم ودوران الفلك وجري الماء والريح والسحاب وتدبير سائر الخلق يدلّك أجمع أنّ لهذا الخلق خالقًا هو يملكه ويدبّره) [1] .

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ فَمَا رِضَا الْوَاحِدِ الْخَالِقِ مِنَ الْأَعْمَالِ ؟

قَالَ الْحَكِيمُ يَا ابْنَ الْمَلِكِ رِضَاهُ أَنْ تُطِيعَهُ وَ لَا تَعْصِيَهُ، وَ أَنْ تَأْتِيَ إِلَى غَيْرِكَ مَا تُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْكَ، وَ تَكُفَّ عَنْ غَيْرِكَ مَا تُحِبُّ أَنْ يُكَفَّ عَنْكَ فِي مِثْلِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ عَدْلٌ، وَ فِي الْعَدْلِ رِضَاهُ، وَ فِي اتِّبَاعِ آثَارِ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَ رُسُلِهِ بِأَنْ لَا تَعْدُوَ [2] سُنَّتَهُمْ.

[1] بلوهر وبوذاسف صفحة ٦٨- ٦٩.

[2] عدا الأمر = جاوزه وتركه.

هوان الدنيا

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ زِدْنِي أَيُّهَا الحْكِيمُ تَزْهِيداً فِي الدُّنْيَا وَ أَخْبِرْنِي بِحَالِهَا.

(قال بلوهر يا ابن الملك إن الدنيا لا تعدو أن تكون كما نعت الله عز وجل لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد) [١] .

قَالَ الحْكِيمُ إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ الدُّنْيَا دَارَ تَصَرُّفٍ وَ زَوَالٍ، وَ تَقَلُّبٍ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَ رَأَيْتُ أَهْلَهَا فِيهَا أَغْرَاضاً لِلْمَصَائِبِ، وَ رَهَائِنَ لِلْمَتَالِفِ، وَ رَأَيْتُ صِحَّةً بَعْدَهَا سُقْماً، وَ شَبَاباً بَعْدَهُ هَرَماً، وَ غِنًى بَعْدَهُ فَقْراً، وَ فَرَحاً بَعْدَهُ حُزْناً، وَ عِزّاً بَعْدَهُ ذُلًّا، وَ رَخَاءً بَعْدَهُ شِدَّةً، وَ أَمْناً بَعْدَهُ خَوْفاً، وَ حَيَاةً بَعْدَهَا مَمَاتاً، وَ رَأَيْتُ أَعْمَاراً قَصِيرَةً، وَ حُتُوفاً رَاصِدَةً [٢] ، وَ سِهَاماً قَاصِدَةً، وَ أَبْدَاناً ضَعِيفَةً مُسْتَسْلِمَةً غَيْرَ مُمْتَنِعَةٍ وَ لَا حَصِينَةٍ، عَرَفْتُ أَنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ بَالِيَةٌ فَانِيَةٌ، وَ عَرَفْتُ بِمَا ظَهَرَ لِي مِنْهَا مَا غَابَ عَنِّي مِنْهَا، وَ عَرَفْتُ بِظَاهِرِهَا بَاطِنَهَا، وَ غَامِضَهَا بِوَاضِحِهَا، وَ سِرَّهَا بِعَلَانِيَتِهَا، وَ صُدُورَهَا بِوُرُودِهَا.

فَحَذِرْتُهَا لِمَا عَرَفْتُهَا، وَ فَرَرْتُ مِنْهَا لِمَا أَبْصَرْتُهَا.

بَيْنَا تَرَى الْمَرْءَ فِيهَا مُغْتَبِطاً مَحْبُوراً [٣] ، وَ مَلِكاً مَسْرُوراً [٤] ، فِي خَفْضٍ وَ دَعَةٍ وَ نِعْمَةٍ وَ سَعَةٍ، فِي بَهْجَةٍ مِنْ شَبَابِهِ، وَ حَدَاثَةٍ مِنْ سِنِّهِ، وَ غِبْطَةٍ مِنْ مُلْكِهِ، وَ بَهَاءٍ مِنْ سُلْطَانِهِ، وَ صِحَّةٍ مِنْ بَدَنِهِ، إِذَا انْقَلَبَتِ الدُّنْيَا بِهِ أَسَرَّ مَا كَانَ فِيهَا نَفْساً، وَ أَقَرَّ مَا كَانَ فِيهَا عَيْناً،

---

[١] بلوهر وبوذاسف صفحة ٧٠.

[٢] الحتف: الموت من غير قتل و الجمع حتوف. و الراصد: المراقب.

[٣] أي مسرورًا.

[٤] في بعض النسخ (مشغوفًا).

فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ مُلْكِهَا وَ غِبْطَتِهَا وَ خَفْضِهَا وَ دَعَتِهَا وَ بَهْجَتِهَا، فَأَبْدَلَتْهُ بِالْعِزِّ ذُلًّا، وَ بِالْفَرَحِ تَرَحاً، وَ بِالسُّرُورِ حُزْناً، وَ بِالنِّعْمَةِ بُؤْساً، وَ بِالْغِنَى فَقْراً، وَ بِالسَّعَةِ ضِيقاً، وَ بِالشَّبَابِ هَرَماً، وَ بِالشَّرَفِ ضَعَةً، وَ بِالْحَيَاةِ مَوْتاً.

(لكان أبعد غايته مائة سنة، حتى يبلى جسده، ويتغيّر لونه وشعره، ويترهّل خلقه ولحمه وقوّته وبصره، ويفارقه أهله وأحبّاؤه، ويذلّ عزّه، ويمحى سلطانه.

وأبعد الغاية لما يخلّف ثلاثمائة عام، حتى يصير ما جمع متفرّقًا، وما عمل متبدّدًا، وما شيّد خرابًا، ويصير اسمه مجهولًا، وذكره منسيًّا، وحسبه خاملًا، وشرف عقبه وولده حقيرًا، وما يغني عنه وبالًا، وما كسب خبالًا، ويرث سلطانه ولاة الأمور على الأزمان، ويرث ماله من يسوقه إليه وتنساق الأرزاق والمواريث من الأوّل إلى الآخر) [1] .

فَدَلَّتْهُ فِي حُفْرَةٍ ضَيِّقَةٍ شَدِيدَةِ الْوَحْشَةِ، وَحِيداً فَرِيداً غَرِيباً ، قَدْ فَارَقَ الْأَحِبَّةَ وَ فَارَقُوهُ، وَ خَذَلَهُ إِخْوَانُهُ ، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُمْ مَنْعاً [2] ، وَ غَرَّهُ أَعْدَاؤُهُ ، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُمْ دَفْعاً[3]، وَ صَارَ عِزُّهُ وَ مُلْكُهُ وَ أَهْلُهُ وَ مَالُهُ نُهْبَةً مِنْ بَعْدِهِ، كَأَنْ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا، وَ لَمْ يَذْكُرْ فِيهَا سَاعَةً قَطُّ، وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِيهَا خَطَرٌ، وَ لَمْ يَمْلِكْ مِنَ الْأَرْضِ حَظّاً قَطُّ.

فَلَا تَتَّخِذُهَا [4] يَا ابْنَ الْمَلِكِ دَاراً، وَ لَا تَتَّخِذَنَّ فِيهَا عُقْدَةً [5] وَ لَا عَقَاراً، فَأُفٍّ لَهَا وَ تُفٍّ !

---

[1] بلوهر وبوذاسف صفحة ٧١.

[2] في نسخة المجلسي دفعًا.

[3] في نسخة المجلسي حذفت هذه العبارة: وَ غَرَّهُ أَعْدَاؤُهُ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُمْ دَفْعاً.

[4] في نسخة المجلسي فلا تتّخذ فيها.

[5] العقدة: الضيعة و هي المتاع و العقار.

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ أُفٍّ لَهَا وَ لِمَنْ يَغْتَرُّ بِهَا إِذَا كَانَ هَذَا حَالَهَا !

وَ رَقَّ ابْنُ الْمَلِكِ، وَ قَالَ زِدْنِي أَيُّهَا الْحَكِيمُ مِنْ حَدِيثِكَ، فَإِنَّهُ شِفَاءٌ لِمَا فِي صَدْرِي.

قَالَ الْحَكِيمُ إِنَّ الْعُمُرَ قَصِيرٌ، وَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ يُسْرِعَانِ فِيهِ، وَ الارْتِحَالَ مِنَ الدُّنْيَا حَثِيثٌ قَرِيبٌ، وَ إِنَّهُ وَ إِنْ طَالَ الْعُمُرُ فِيهَا فَإِنَّ الْمَوْتَ نَازِلٌ، وَ الظَّاعِنَ لَا مَحَالَةَ رَاحِلٌ.

فَيَصِيرُ مَا جَمَعَ فِيهَا مُفَرَّقاً، وَ مَا عَمِلَ فِيهَا مُتَبَّراً [١] ، وَ مَا شَيَّدَ فِيهَا خَرَاباً، وَ يَصِيرُ اسْمُهُ مَجْهُولًا، وَ ذِكْرُهُ مَنْسِيّاً، وَ حَسَبُهُ خَامِلًا، وَ جَسَدُهُ بَالِياً، وَ شَرَفُهُ وَضِيعاً، وَ نِعْمَتُهُ وَبَالًا، وَ كَسْبُهُ خَسَاراً، وَ يُورَثُ سُلْطَانُهُ، وَ يُسْتَذَلُّ عَقِبُهُ، وَ يُسْتَبَاحُ حَرِيمُهُ، وَ تُنْقَضُ عُهُودُهُ، وَ تُخْفَرُ [٢] ذِمَّتُهُ، وَ تُدْرَسُ آثَارُهُ، وَ يُوَزَّعُ مَالُهُ، وَ يُطْوَى [٣] رَحْلُهُ [٤] ، وَ يَفْرَحُ عَدُوُّهُ، وَ يَبِيدُ مُلْكُهُ، وَ يُورَثُ تَاجُهُ، وَ يُخْلَفُ عَلَى سَرِيرِهِ.

وَ يُخْرَجُ مِنْ مَسَاكِنِهِ مَسْلُوباً مَخْذُولًا، فَيُذْهَبُ بِهِ إِلَى قَبْرِهِ، فَيُدْلَى [٥] فِي حُفْرَتِهِ[٦]، فِي وَحْدَةٍ وَ غُرْبَةٍ وَ ظُلْمَةٍ وَ وَحْشَةٍ وَ مَسْكَنَةٍ وَ ذِلَّةٍ، قَدْ فَارَقَ الْأَحِبَّةَ، وَ أَسْلَمَتْهُ الْعَصَبَةُ[٧]، فَلَا تُؤْنَسُ وَحْشَتُهُ أَبَداً، وَ لَا تُرَدُّ غُرْبَتُهُ أَبَداً.

---

[١] تبّره = أهلكه ، دمّره.

[٢] خفر ذمّته = نقضها.

[٣] طوى = نقيض نشر.

[٤] الرحل = المنزل والمأوى.

[٥] دلا الدلو = أرسلها في البئر.

[٦] يوضع أو يتوسّد في حفرته.

[٧] العصبة = قوم الرجل الذي يتعصّبون له.

(فلما رأيت كل مجموع متفرّقًا، وكل مكسوب مسلوبًا، إلا التقوى وعمل البرّ، الذي لا يسلب ولا يبلى ولا يهلك، رأيت أن أوجّه رأيي وهواي ومحبّتي وقولي إلى عمل البرّ والتقوى، فإنه أفضل ما نحن مكتسبوه من المكاسب، وأفضل ما نحن معتقدوه هي القوة على أعمال البرّ، والاجتناب لأعمال الشرّ، والتصديق بالله عز وجل.

فذلك هو الكسب الذي اكتسبت، والعقدة التي اعتقدتها، ولم أزل مذ أبصرت ذلك أحبّ العمل بما قدرت عليه من الخير، واجتناب ما قدرت على اجتنابه من الشرّ، مع التصديق بوعد ربّي تبارك وتعالى، واليقين والإيمان بالبعث والجنّة والنار) [1] .

---

[1] بلوهر وبوذاسف صفحة ٧١.

بالجهل تهلك النفوس

(واعلم يا ابن الملك أنّ من لزم الصواب، وأقام الدين على العلم، وإن لم يعلم إلا قليلًا، وكفّ عن الشبه ، فقد برئ عن الخطايا. وقليل الصواب يكون كلامه أفضل من المتكلّم بكثرة من الصدق إذا شابه الكذب) [١] .

وَ اعْلَمْ أَنَّهَا يَحِقُّ عَلَى الْمَرْءِ اللَّبِيبِ مِنْ سِيَاسَةِ نَفْسِهِ خَاصَّةً، كَسِيَاسَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ الْحَازِمِ، الَّذِي يُؤَدِّبُ الْعَامَّةَ، وَ يَسْتَصْلِحُ الرَّعِيَّةَ، وَ يَأْمُرُهُمْ بِمَا يُصْلِحُهُمْ، وَ يَنْهَاهُمْ عَمَّا يُفْسِدُهُمْ، ثُمَّ يُعَاقِبُ مَنْ عَصَاهُ مِنْهُمْ، وَ يُكْرِمُ مَنْ أَطَاعَهُ مِنْهُمْ.

(وكذلك سياسة أهل بيته في تدبير معائشهم، وتوكيلهم بأعمالهم، والمبالغة في أمرهم، والشدّة في الأدب على من خالفه منهم، فيأخذ بذلك نفسه في جميع أخلاقها وأهوائها، ويسنّ عليها السنن في لزوم منافعها واجتناب مضارّها) [٢] .

فَكَذَلِكَ لِلرَّجُلِ اللَّبِيبِ أَنْ يُؤَدِّبَ نَفْسَهُ فِي جَمِيعِ أَخْلَاقِهَا وَ أَهْوَائِهَا وَ شَهَوَاتِهَا، وَ أَنْ تَحْمِلَهَا وَ إِنْ كَرِهَتْ عَلَى لُزُومِ مَنَافِعِهَا، فِيمَا أَحَبَّتْ وَ كَرِهَتْ، وَ عَلَى الاجْتِنَابِ مَضَارِّهَا، وَ أَنْ يَجْعَلَ لِنَفْسِهِ عَنْ نَفْسِهِ ثَوَاباً وَ عِقَاباً مِنْ مَكَانِهَا مِنَ السُّرُورِ إِذَا أَحْسَنَتْ وَ مِنْ مَكَانِهَا مِنَ الْغَمِّ إِذَا أَسَاءَتْ.

وَ مِمَّا يَحِقُّ عَلَى ذِي الْعَقْلِ، النَّظَرُ فِيمَا وَرَدَ عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِهِ، وَ الْأَخْذُ بِصَوَابِهَا، وَ يَنْهَى نَفْسَهُ عَنْ خَطَائِهَا، وَ أَنْ يَحْتَقِرَ عَمَلَهُ وَ نَفْسَهُ فِي رَأْيِهِ، لِكَيْ لَا يَدْخُلَهُ عُجْبٌ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ قَدْ مَدَحَ أَهْلَ الْعَقْلِ، وَ ذَمَّ أَهْلَ الْعُجْبِ وَ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ.

[١] بلوهر وبوذاسف صفحة ٧٢.

[٢] بلوهر وبوذاسف صفحة ٧٢.

وَ بِالْعَقْلِ يُدْرَكُ كُلُّ خَيْرٍ بِإِذْنِ اللهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى، وَ بِالْجَهْلِ تَهْلِكُ النُّفُوسُ، وَ إِنَّ مِنْ أَوْثَقِ الثِّقَاتِ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ مَا أَدْرَكَتْهُ عُقُولُهُمْ، وَ بَلَغَتْهُ تَجَارِبُهُمْ، وَ نَالَتْهُ أَبْصَارُهُمْ، فِي التَّرْكِ لِلْأَهْوَاءِ وَ الشَّهَوَاتِ.

مكائد الشيطان

وَ لَيْسَ ذُو الْعَقْلِ بِجَدِيرٍ أَنْ يَرْفُضَ مَا قَوِيَ عَلَى حِفْظِهِ مِنَ الْعَمَلِ احْتِقَاراً لَهُ، إِذَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْهُ. وَ إِنَّمَا هَذَا مِنْ أَسْلِحَةِ الشَّيْطَانِ الْغَامِضَةِ، الَّتِي لَا يُبْصِرُهَا إِلَّا مَنْ تَدَبَّرَهَا، وَ لَا يَسْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللهُ مِنْهَا.

وَ مِنْ رَأْسِ [1] أَسْلِحَتِهِ سِلَاحَانِ، أَحَدُهُمَا إِنْكَارُ الْعَقْلِ، أَنْ يُوقِعَ فِي قَلْبِ الْإِنْسَانِ الْعَاقِلِ أَنَّهُ لَا عَقْلَ لَهُ وَ لَا بَصَرَ وَ لَا مَنْفَعَةَ لَهُ فِي عَقْلِهِ وَ بَصَرِهِ، وَ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّهُ عَنْ مَحَبَّةِ الْعِلْمِ وَ طَلَبِهِ، وَ يُزَيِّنَ لَهُ الِاشْتِغَالَ بِغَيْرِهِ مِنْ مَلَاهِي الدُّنْيَا.

فَإِنِ اتَّبَعَهُ الْإِنْسَانُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ فَهُوَ ظَفَرُهُ، وَ إِنْ عَصَاهُ وَ غَلَبَهُ فَزِعَ إِلَى السِّلَاحِ الْآخَرِ، وَ هُوَ أَنْ يَجْعَلَ الْإِنْسَانَ إِذَا عَمِلَ شَيْئاً وَ أَبْصَرَ[2] ، عَرَضَ لَهُ بِأَشْيَاءَ لَا يُبْصِرُهَا لِيَغُمَّهُ[3] وَ يضجزه [يُضْجِرَهُ] بِمَا لَا يَعْلَمُ، حَتَّى يُبْغِضَ إِلَيْهِ مَا هُوَ فِيهِ، بِتَضْعِيفِ عَقْلِهِ عِنْدَهُ، وَ بِمَا يَأْتِيهِ مِنَ الشُّبْهَةِ [4] .

---

[1] في نسخة المجلسي من دون رأس.

[2] في نسخة المجلسي وأبصره.

[3] في نسخة المجلسي ليغمزه.

[4] هذه حيلة الشيطان المستترة، أو حيلة العقل الباطن، كما يسمّيه علم النفس الحديث، بأن يخلق افتراضات في نفس الإنسان لا نهاية لها ولا مصداقيّة لها على الواقع، لكي تعكّر على الإنسان المسكين حياته وتجعلها نكدًا. وهذا هو عمل الشيطان التدميري في وجود الإنسان. يقول الله تعالى في سورة يس الآية ٦٠: { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ }. فمن استسلم لافتراضات الشيطان التي لا تنتهي، فكأنه عبده، ومن عبده فقد هلك وخسر الدنيا والآخرة، إلا من رحم ربّي وسلك، واتّجه في السير والسلوك في طريق الله، وجاهد الجهاد الأكبر وهو جهاد النفس،

وَ يَقُولُ أَ لَسْتَ تَرَى أَنَّكَ لَا تَسْتَكْمِلُ هَذَا الْأَمْرَ وَ لَا تُطِيقُهُ أَبَداً ! فَبِمَ تَعْنِي نَفْسَكَ وَ تُشْقِيهَا فِيمَا لَا طَاقَةَ لَكَ بِهِ ؟

فَبِهَذَا السِّلَاحِ صَرَعَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ.

فَاحْتَرِسْ مِنْ أَنْ تَدَعَ اكْتِسَابَ عِلْمٍ مَا تَعْلَمُهُ، وَ أَنْ تُخْدَعَ عَمَّا اكْتَسَبْتَ مِنْهُ، فَإِنَّكَ فِي دَارٍ قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَى أَكْثَرِ أَهْلِهَا الشَّيْطَانُ، بِأَلْوَانِ حِيَلِهِ وَ وُجُوهِ ضَلَالَتِهِ.

وطهّر نفسه (من بعد معرفتها) من أدران الشيطان، في عمليّة تزكية يتولّاها الله سبحانه وتعالى رحمةً ورفقًا بهذا السالك.

الانحراف عن الدين القيّم

وَ مِنْهُمْ مَنْ قَدْ ضَرَبَ عَلَى سَمْعِهِ وَ عَقْلِهِ وَ قَلْبِهِ ، فَتَرَكَهُ لَا يَعْلَمُ شَيْئاً، وَ لَا يَسْأَلُ عَنْ عِلْمٍ مَا يَجْهَلُ[1] مِنْهُ كَالْبَهِيمَةِ. وَ إِنَّ لِعَامَّتِهِمْ أَدْيَاناً مُخْتَلِفَةً، فَمِنْهُمُ الْمُجْتَهِدُونَ فِي الضَّلَالَةِ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَسْتَحِلُّ دَمَ بَعْضٍ وَ أَمْوَالَهُمْ، وَ يُمَوِّهُ ضَلَالَتَهُمْ بِأَشْيَاءَ مِنَ الْحَقِّ، لِيَلْبِسَ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ، وَ يُزَيِّنَهُ لِضَعِيفِهِمْ، وَ يَصُدَّهُمْ عَنِ الدِّينِ الْقَيِّمِ.

فَالشَّيْطَانُ وَ جُنُودُهُ دَائِبُونَ فِي إِهْلَاكِ النَّاسِ وَ تَضْلِيلِهِمْ، لَا يَسْأَمُونَ وَ لَا يَفْتُرُونَ، وَ لَا يُحْصِي عَدَدَهُمْ إِلَّا اللَّهُ، وَ لَا يُسْتَطَاعُ دَفْعُ مَكَايِدِهِمْ، إِلَّا بِعَوْنٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ، وَ الِاعْتِصَامِ بِدِينِهِ. فَنَسْأَلُ اللَّهَ تَوْفِيقاً لِطَاعَتِهِ، وَ نَصْراً عَلَى عَدُوِّنَا، فَإِنَّهُ لَا حَوْلَ وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

(ولا تكوننّ ممّن تصدّه نفسه عن الأمور والنظر فيها، واختبار ما يرد عليك ممّا لا يبلغه عقلك، ولا ينفذ فيه نظرك. فما أكثر ما ينبو العقل عن الأمور في المواطن، ثم يبلغه بعد ذلك.

وعليك في ورود ما يرد عليك بالإناءة والتثبّت. وإيّاك أن تقول في شيء من ذلك بما لا علم لك به، وإيّاك أن تقول لأمر هذا لا يستطاع ولا يقدر عليه، حتى يحملك العجز على تركه، وتتبرّم بالنظر فيه، والنظر فيه أفضل، وفي تركه الجهل، فيصدّك حتى ترفض أيضًا ما قد وضح لك.

---

[1] في نسخة المجلسي ما جهل منه.

ولعمري ما من الخير شيء لا يستطيع أحد من الناس استيفاء بعضه، إذا لم يقدر على الكلّ. ألم تر إلى الإنسان لا يستطيع أن يتبيّن عين الشمس، ولا يحتمل عيناه جميع نورها، ولا يمنعه ذلك إذ يتبيّن بعض نورها، فيقضي به حاجته. ألا ترى أن الذي أعياه من ذلك، لم يمنعه نفع ما قوي عليه منه.

وكذلك الطعام والشراب، لا يستطيع أن يأكل ويشرب جميع ما يرى ويشتهي، ولا يقوى من ذلك إلا على القليل منه، ولم يمنعه ما لا يستطيع أكله وشربه، أن يجد طعم ما يأكل ويشرب ما يعيش به وينتفع.

وكذلك العلم، واعلم يا ابن الملك أنّ العلم أعظم خطرًا وأجلّ قدرًا من أن تستوعبه القلوب، ممّا قد مثّلته لك من الشمس والطعام، لأن العقل حامل من العلم بقدر قوّته وطاقته، ولا يعمى عليه ما قد أبصر منه ممّا لا يبصر منه، ولا يمنعه أن ينتفع منه بما قد علم منه ضعفه عمّا لا يعلم) [1] .

---

[1] بلوهر وبوذاسف صفحة ٧٢-٧٣.

المعرفة قوام الدين

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ صِفْ لِيَ اللهَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى حَتَّى كَأَنِّي أَرَاهُ.

قَالَ إِنَّ اللهَ تَقَدَّسَ ذِكْرُهُ لَا يُوصَفُ بِالرُّؤْيَةِ، وَ لَا يُبْلَغُ بِالْعُقُولِ كُنْهَ صِفَتِهِ، وَ لَا تَبْلُغُ الْأَلْسُنُ كُنْهَ مِدْحَتِهِ، وَ لَا يُحِيطُ الْعِبَادُ مِنْ عِلْمِهِ، إِلَّا بِمَا عَلَّمَهُمْ مِنْهُ عَلَى أَلْسِنَةِ أَنْبِيَائِهِ ع، بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَ لَا تُدْرِكُ الْأَوْهَامُ عِظَمَ رُبُوبِيَّتِهِ.

هُوَ أَعْلَى مِنْ ذَلِكَ وَ أَجَلُّ وَ أَعَزُّ وَ أَعْظَمُ وَ أَمْنَعُ وَ أَلْطَفُ، فَبَاحَ [1] لِلْعِبَادِ مِنْ عِلْمِهِ بِمَا أَحَبَّ، وَ أَظْهَرَهُمْ مِنْ صِفَتِهِ عَلَى مَا أَرَادَ، وَ دَلَّهُمْ [2] عَلَى مَعْرِفَتِهِ وَ مَعْرِفَةِ رُبُوبِيَّتِهِ بِإِحْدَاثِ مَا لَمْ يَكُنْ وَ إِعْدَامِ مَا أَحْدَثَ [3] .

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ وَ مَا الْحُجَّةُ ؟

---

[1] في نسخة المجلسي فتّاح.

[2] في نسخة المجلسي وأدلّهم.

[3] وأيّ شيء أدلّ على معرفة الله جلّ وعلا من أن ترى أمام عينيك ليل نهار أشياء تحدث ثم تعدم. ترى مولودًا من جنس الإنسان أو الحيوان يولد، ثم يموت عند انقضاء أجله، وكأنه لم يكن ! وترى أشجارًا لم تكن، ثم أحدثت ثم أعدمت عند انقضاء أجلها، وكأنها لم تكن ! فكلّ مخلوقات الله لم تكن ثم أحدثت ثم أعدمت، بعد أن انتهت دورة حياتها، بمعنى أنّ لكل مخلوق دورته الحياتيّة، بما فيها السموات والأرض والشمس والقمر. فلو كنت قد عمّرت خمسة بلايين سنة لرأيت بأمّ عينيك أن الأرض والقمر لم تكونا ثم أحدثتا، ومتى تكون نهاية الأرض والقمر فلا ندري، ولكنها آتية لا محالة ! ولو كنت قد عمّرت ١٤ بليون سنة لرأيت بأمّ عينيك ولادة الكون والإنفجار العظيم، ومن ثمّ ولادة الفضاء والمجرّات والنجوم والكواكب والسيّارات بشكل تدريجيّ، ولرأيت نهاية كثير من المجرّات والنجوم التي تولد ثم تعدم بعد انتهاء دورتها الحياتيّة ! ومتى تكون نهاية الكون فلا ندري، ولكنها آتية لا محالة !

قَالَ إِذَا رَأَيْتَ شَيْئاً مَصْنُوعاً غَابَ عَنْكَ صَانِعُهُ عَلِمْتَ بِعَقْلِكَ أَنَّ لَهُ صَانِعاً، فَكَذَلِكَ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ وَ مَا بَيْنَهُمَا، فَأَيُّ حُجَّةٍ أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ !

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ فَأَخْبِرْنِي أَيُّهَا الْحَكِيمُ أَ بِقَدَرٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ يُصِيبُ النَّاسَ مَا يُصِيبُهُمْ مِنَ الْأَسْقَامِ وَ الْأَوْجَاعِ وَ الْفَقْرِ وَ الْمَكَارِهِ أَوْ بِغَيْرِ قَدَرٍ ؟

قَالَ بِلَوْهَرُ لَا بَلْ بِقَدَرٍ.

قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ.

قَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ مِنْ سَيِّئِ أَعْمَالِهِمْ بَرِيءٌ، وَ لَكِنَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ أَوْجَبَ الثَّوَابَ الْعَظِيمَ لِمَنْ أَطَاعَهُ، وَ الْعِقَابَ الشَّدِيدَ لِمَنْ عَصَاهُ.

(قال بلوهر إن القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد، فالروح بغير الجسد لا تحسّ، والجسد بغير الروح صورة لا حراك بها، فإذا اجتمعا قويا وصلحا.

وكذلك القدر والعمل، فلو لم يكن القدر يقع على العمل كان القدر شيئًا لا يحسّ، ولو لم يكن العمل يوافق القدر لم يتمّ، ولكنّهما باجتماعهما قويا.

قال بوذاسف أخبرني ما القدر وما العمل ؟

قال بلوهر القدر ما هو كائن حتمًا لا محالة، والعمل علّة ما يكون. فإذا جاء القدر حقّقه فكان.

ثم أوصاه فقال له:

لا ترض للناس إلا ما ترضاه لنفسك، فإنّ للعمل جزاء، فاتّق العواقب، واعلم أن لتقلّب الأمور تبعات، فكن على حذر، ولا تعدنّ وعدًا ليس في يدك وفاؤه، ولا يغرّنّك المرتقى السهل، إذا كان المنحدر وعرًا) [(١)] .

قَالَ فَأَخْبِرْنِي مَنْ أَعْدَلُ النَّاسِ وَ مَنْ أَجْوَرُهُمْ وَ مَنْ أَكْيَسُهُمْ وَ مَنْ أَحْمَقُهُمْ وَ مَنْ أَشْقَاهُمْ وَ مَنْ أَسْعَدُهُمْ ؟

قَالَ أَعْدَلُهُمْ أَنْصَفُهُمْ مِنْ نَفْسِهِ، وَ أَجْوَرُهُمْ مَنْ كَانَ جَوْرُهُ عِنْدَهُ عَدْلًا، وَ عَدْلُ أَهْلِ الْعَدْلِ عِنْدَهُ جَوْراً، وَ أَمَّا أَكْيَسُهُمْ فَمَنْ أَخَذَ لِآخِرَتِهِ أُهْبَتَهَا [(٢)] ، وَ أَحْمَقُهُمْ مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ وَ الْخَطَايَا عَمَلَهُ، وَ أَسْعَدُهُمْ مَنْ خُتِمَ عَاقِبَةَ عَمَلِهِ بِخَيْرٍ، وَ أَشْقَاهُمْ مَنْ خُتِمَ لَهُ بِمَا يُسْخِطُ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ.

ثُمَّ قَالَ مَنْ دَانَ النَّاسَ بِمَا إِنْ دُيِّنَ بِمِثْلِهِ هَلَكَ، فَذَلِكَ الْمُسْخِطُ لِلَّهِ الْمُخَالِفُ لِمَا يُحِبُّ، وَ مَنْ دَانَهُمْ بِمَا إِنْ دُيِّنَ بِمِثْلِهِ صَلَحَ، فَذَلِكَ الْمُطِيعُ لِلَّهِ الْمُوَافِقُ لِمَا يُحِبُ الْمُجْتَنِبُ لِسَخَطِهِ.

ثُمَّ قَالَ لَا تَسْتَقْبِحَنَّ الْحَسَنَ وَ إِنْ كَانَ فِي الْفُجَّارِ، وَ لَا تَسْتَحْسِنَنَّ الْقَبِيحَ وَ إِنْ كَانَ فِي الْأَبْرَارِ.

ثُمَّ قَالَ لَهُ أَخْبِرْنِي أَيُّ النَّاسِ أَوْلَى بِالسَّعَادَةِ وَ أَيُّهُمْ أَوْلَى بِالشَّقَاوَةِ ؟

قَالَ بِلَوْهَرُ أَوْلَاهُمْ بِالسَّعَادَةِ الْمُطِيعُ لِلَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ فِي أَوَامِرِهِ، وَ الْمُجْتَنِبُ لِنَوَاهِيهِ، وَ أَوْلَاهُمْ بِالشَّقَاوَةِ الْعَامِلُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ، التَّارِكُ لِطَاعَتِهِ، الْمُؤْثِرُ لِشَهْوَتِهِ عَلَى رِضَا اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ.

قَالَ فَأَيُّ النَّاسِ أَطْوَعُهُمْ لِلَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ ؟

---

(١) بلوهر وبوذاسف صفحة ٧٧- ٧٨.

(٢) الأهبة: العدة، يقال: أخذ للسفر أهبته أي أسبابه.

قَالَ أَتْبَعُهُمْ لِأَمْرِهِ، وَ أَقْوَاهُمْ فِي دِينِهِ، وَ أَبْعَدُهُمْ مِنَ الْعَمَلِ بِالسَّيِّئَاتِ.

أمر الله هو الحسنات

(قال بوذاسف أخبرني أيّ الناس أولى بالسعادة ؟

قال بلوهر المطيع لله تعالى الذي لا يذنب.

قال بوذاسف فأيّهم أقلّ ذنوبًا ؟

قال بلوهر أتبعهم لأمر الله، وأقومهم في طاعته، وأبعدهم من أمر الشيطان.

قال بوذاسف أخبرني ما أمر الله وما أمر الشيطان ؟

قال بلوهر الحسنات أمر الله والسيّئات أمر الشيطان) [1] .

قَالَ فَمَا الْحَسَنَاتُ وَ السَّيِّئَاتُ ؟

قَالَ الْحَسَنَاتُ صِدْقُ النِّيَّةِ وَ الْعَمَلِ، وَ الْقَوْلُ الطَّيِّبُ، وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَ السَّيِّئَاتُ سُوءُ النِّيَّةِ، وَ سُوءُ الْعَمَلِ، وَ الْقَوْلُ السَّيِّئُ.

قَالَ فَمَا صِدْقُ النِّيَّةِ ؟

قَالَ الِاقْتِصَادُ فِي الْهِمَّةِ.

(قال فما حسن القول ؟

قال الصدق .

قال وما حسن العمل ؟

---

[1] بلوهر وبوذاسف صفحة ٧٩.

قال بلوهر أن تأمر بالمعروف وتعمل به.

قال فما سوء النيّة ؟

قال بلوهر إفراط الهمّة) [1].

قَالَ فَمَا سُوءُ الْقَوْلِ ؟

قَالَ الْكَذِبُ.

قَالَ فَمَا سُوءُ الْعَمَلِ [2] ؟

قَالَ مَعْصِيَةُ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ.

قَالَ أَخْبِرْنِي كَيْفَ الِاقْتِصَادُ فِي الْهِمَّةِ ؟

قَالَ التَّذَكُّرُ لِزَوَالِ الدُّنْيَا وَ انْقِطَاعِ أَمْرِهَا، وَ الْكَفُّ عَنِ الْأُمُورِ الَّتِي فِيهَا النَّقِمَةُ وَ التَّبِعَةُ فِي الْآخِرَةِ.

قَالَ فَمَا السَّخَاءُ ؟

قَالَ إِعْطَاءُ الْمَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ.

قَالَ فَمَا الْكَرَمُ ؟

قَالَ التَّقْوَى.

قَالَ فَمَا الْبُخْلُ ؟

---

[1] بلوهر وبوذاسف صفحة ٧٩.

[2] في بعض النسخ (شر) مكان (سوء).

قَالَ مَنْعُ الْحُقُوقِ عَنْ أَهْلِهَا وَ أَخْذُهَا مِنْ غَيْرِ وَجْهِهَا.

قَالَ فَمَا الْحِرْصُ ؟

قَالَ الْإِخْلَادُ إِلَى الدُّنْيَا، وَ الطِّمَاحُ إِلَى الْأُمُورِ الَّتِي فِيهَا الْفَسَادُ، وَ ثَمَرَتُهَا عُقُوبَةُ الْآخِرَةِ.

قَالَ فَمَا الصِّدْقُ ؟

قَالَ الطَّرِيقَةُ [1] فِي الدِّينِ بِأَنْ لَا يُخَادِعَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ وَ لَا يَكْذِبَهَا.

قَالَ فَمَا الْحُمْقُ ؟

قَالَ الطُّمَأْنِينَةُ إِلَى الدُّنْيَا، وَ تَرْكُ مَا يَدُومُ وَ يَبْقَى.

قَالَ فَمَا الْكَذِبُ ؟

قَالَ أَنْ يَكْذِبَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ، فَلَا يَزَالُ بِهَوَاهُ شَغِفاً، وَ لِدِينِهِ مُسَوِّفاً.

قَالَ أَيُّ الرِّجَالِ أَكْمَلُهُمْ فِي الصَّلَاحِ ؟

قَالَ أَكْمَلُهُمْ فِي الْعَقْلِ، وَ أَبْصَرُهُمْ بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ، وَ أَعْلَمُهُمْ بِخُصُومِهِ، وَ أَشَدُّهُمْ مِنْهُمُ احْتِرَاساً.

قَالَ أَخْبِرْنِي مَا تِلْكَ الْعَاقِبَةُ وَ مَا أُولَئِكَ الْخُصَمَاءُ الَّذِينَ يَعْرِفُهُمُ الْعَاقِلُ فَيَحْتَرِسُ مِنْهُمْ ؟

قَالَ الْعَاقِبَةُ الْآخِرَةُ وَ الْفَنَاءُ [1] الدُّنْيَا.

---

[1] في نسخة المجلسي طريقة.

(1) في نسخة المجلسي والعناء.

خصماء الإنسان أهواؤه

قَالَ فَمَا الْخُصَمَاءُ ؟

قَالَ الْحِرْصُ وَ الْغَضَبُ وَ الْحَسَدُ وَ الْحَمِيَّةُ وَ الشَّهْوَةُ وَ الرِّيَاءُ وَ اللَّجَاجَةُ [1] .

قَالَ أَيُّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَدَدْتَ أَقْوَى وَ أَجْدَرُ أَنْ يُسْلَمَ مِنْهُ ؟

قَالَ الْحِرْصُ أَقَلُّ رِضًا وَ أَفْحَشُ غَضَباً، وَ الْغَضَبُ أَجْوَرُ سُلْطَاناً وَ أَقَلُّ شُكْراً وَ أَكْسَبُ لِلْبَغْضَاءِ، وَ الْحَسَدُ أَسْوَأُ الْخَيْبَةِ لِلنِّيَّةِ وَ أَخْلَفُ لِلظَّنِّ، وَ الْحَمِيَّةُ أَشَدُّ لَجَاجَةً وَ أَفْظَعُ مَعْصِيَةً، وَ الْحِقْدُ أَطْوَلُ تَوَقُّداً وَ أَقَلُّ رَحْمَةً وَ أَشَدُّ سَطْوَةً، وَ الرِّيَاءُ أَشَدُّ خَدِيعَةً وَ أَخْفَى اكْتِتَاماً [2] وَ أَكْذَبُ، وَ اللَّجَاجَةُ أَعْيَا خُصُومَةً وَ أَقْطَعُ مَعْذِرَةً.

قَالَ أَيُّ مَكَايِدِ الشَّيْطَانِ لِلنَّاسِ فِي هَلَاكِهِمْ أَبْلَغُ ؟

قَالَ تَعْمِيَتُهُ عَلَيْهِمُ الْبِرَّ وَ الْإِثْمَ وَ الثَّوَابَ وَ الْعِقَابَ وَ عَوَاقِبَ الْأُمُورِ فِي ارْتِكَابِ الشَّهَوَاتِ.

قَالَ أَخْبِرْنِي بِالْقُوَّةِ الَّتِي قَوَّى اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِهَا الْعِبَادَ فِي تَغَالُبِ تِلْكَ الْأُمُورِ السَّيِّئَةِ وَ الْأَهْوَاءِ الْمُرْدِيَةِ ؟

قَالَ الْعِلْمُ وَ الْعَقْلُ وَ الْعَمَلُ بِهِمَا، وَ صَبْرُ النَّفْسِ عَنْ شَهَوَاتِهَا، وَ الرَّجَاءُ لِلثَّوَابِ فِي الدِّينِ، وَ كَثْرَةُ الذِّكْرِ لِفَنَاءِ الدُّنْيَا، وَ قُرْبِ الْأَجَلِ، وَ الِاحْتِفَاظُ مِنْ أَنْ يَنْقُضَ [3] مَا يَبْقَى

---

[1] لجّ لجاجة = تمادى في العناد إلى الفعل المزجور عنه.

[2] في نسخة المجلسي اكتنانًا.

[3] نقض البناء = هدمه. نقض الأمر = أفسده بعد إحكامه.

بِمَا يَفْنَى، فَاعْتِبَارُ[1] مَاضِي الْأُمُورِ بِعَاقِبَتِهَا، وَ الِاحْتِفَاظُ بِمَا لَا يَعْرِفُ إِلَّا عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ، وَ كَفُّ النَّفْسِ عَنِ الْعَادَةِ السَّيِّئَةِ، وَ حَمْلُهَا عَلَى الْعَادَةِ الْحَسَنَةِ وَ الْخُلُقِ الْمَحْمُودِ.

(قال بوذاسف وما عمل كل واحد من هذه الخلال ؟

قال بلوهر عمل العقل الخلاص من الخوف والخطايا والنصب فيما لا عاقبة له، وإكثار التذكّر لفناء الدنيا وقرب الأجل، والاحتفاظ من أن ينتقص ما يبقى بما يفنى.

وعمل العلم إيضاح الحقّ وتدبير الأمور، واعتبار ما مضى من الأمور وباقيها، والاحتفاظ من التصديق بما لا يعرف عند ذوي الألباب، وطلب ما لا ينال.

وعمل العفاف كفّ النفس عن العادة السيئة وعن الشهوات المردية وحملها بالعادة الحسنة والخلق المحمود على البرّ والفضائل.

وعمل الرجاء حسن الظنّ بما يرجى من الأمر في تقاربه، وأن يكون أمل المرء بقدر سعيه، حتى يبلغ غاية العمل بالخير.

وعمل الصبر الرضى بالكفاف، واللزوم للقضاء، والمعرفة بما في الشره من التعب، وما في الإفراط من الخوف، وحسن العزاء عمّا فات، وطيب النفس عنه، وترك معالجة ما لا يتمّ، والبصر بالأمر الذي إليه المردّ والإكرام له عن أن يباع بثمن أو خطر لغرض.

وعمل الدين اختيار سبيل الرشد على سبيل الغيّ، وتوطين النفس على أنّه من عمل خيرًا يجز به ومن عمل شرًا يجز به، والمعرفة بالحقوق والحدود في التقوى، والعدل في

[1] في نسخة المجلسي واعتبار.

الحكم، وعمل النصيحة، وكفّ النفس عن اتّباع الهوى وركوب الشهوات، والعمل بالرأي، والأخذ بالحزم، فإن أتاه البلاء أتاه وهو معذور غير لائم لنفسه ولا ملوم) [١] .

وَ أَنْ يَكُونَ أَمَلُ الْمَرْءِ بِقَدْرِ عَيْشِهِ حَتَّى يَبْلُغَ غَايَتَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ الْقُنُوعُ، وَ عَمَلُ الصَّبْرِ وَ الرِّضَا بِالْكَفَافِ، وَ اللُّزُومُ لِلْقَضَاءِ، وَ الْمَعْرِفَةُ بِمَا فِيهِ فِي الشِّدَّةِ مِنَ التَّعَبِ، وَ مَا فِي الْإِفْرَاطِ مِنَ الِاقْتِرَافِ [٢] ، وَ حُسْنِ الْعَزَاءِ عَمَّا فَاتَ، وَ طِيبُ النَّفْسِ عَنْهُ، وَ تَرْكُ مُعَالَجَةِ مَا لَا يَتِمُّ، وَ الصَّبْرُ بِالْأُمُورِ الَّتِي إِلَيْهَا يُرَدُّ، وَ اخْتِيَارُ سَبِيلِ الرُّشْدِ عَلَى سَبِيلِ الْغَيِّ، وَ تَوْطِينُ النَّفْسِ عَلَى أَنَّهُ إِنْ عَمِلَ خَيْراً أُجْزِيَ [٣] بِهِ وَ إِنْ عَمِلَ شَرّاً أُجْزِيَ [٤] بِهِ، وَ الْمَعْرِفَةُ بِالْحُقُوقِ وَ الْحُدُودِ فِي التَّقْوَى، وَ عَمَلُ النَّصِيحَةِ، وَ كَفُّ النَّفْسِ عَنِ اتِّبَاعِ الْهَوَى وَ رُكُوبُ الشَّهَوَاتِ، وَ حَمْلُ الْأُمُورِ عَلَى الرَّأْيِ، وَ الْأَخْذُ بِالْحَزْمِ وَ الْقُوَّةِ، فَإِنْ أَتَاهُ الْبَلَاءُ أَتَاهُ وَ هُوَ مَعْذُورٌ غَيْرُ مَلُومٍ.

---

[١] بلوهر وبوذاسف صفحة ٨٢-٨٣.

[٢] في نسخة المجلسي الاغتراف.

[٣] في نسخة المجلسي جزي به.

[٤] في نسخة المجلسي جزي به.

التواضع أكرم الأخلاق

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ أَيُّ الْأَخْلَاقِ أَكْرَمُ وَ أَعَزُّ ؟

قَالَ التَّوَاضُعُ وَ لِينُ الْكَلِمَةِ لِلْإِخْوَانِ فِي اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ.

قَالَ أَيُّ الْعِبَادَةِ أَحْسَنُ ؟

قَالَ الْوَقَارُ وَ الْمَوَدَّةُ.

قَالَ فَأَخْبِرْنِي أَيُّ الشِّيَمِ أَفْضَلُ ؟

قَالَ حُبُّ الصَّالِحِينَ.

قَالَ أَيُّ الذِّكْرِ أَفْضَلُ ؟

قَالَ مَا كَانَ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ.

قَالَ فَأَيُّ الْخُصُومِ أَلَدُّ ؟

قَالَ ارْتِكَابُ الذُّنُوبِ.

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ أَخْبِرْنِي أَيُّ الْفَضْلِ أَفْضَلُ ؟

قَالَ الرِّضَا بِالْكَفَافِ.

قَالَ أَخْبِرْنِي أَيُّ الْأَدَبِ أَحْسَنُ ؟

قَالَ أَدَبُ الدِّينِ.

قَالَ أَيُّ الشَّيْءِ أَجْفَى [1] ؟

قَالَ السُّلْطَانُ الْعَاتِي وَ الْقَلْبُ الْقَاسِي.

قَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَبْعَدُ غَايَةً ؟

قَالَ عَيْنُ الْحَرِيصِ الَّتِي لَا تَشْبَعُ مِنَ الدُّنْيَا.

قَالَ أَيُّ الْأُمُورِ أَخْبَثُ عَاقِبَةً ؟

قَالَ الْتِمَاسُ رِضَا النَّاسِ فِي سَخَطِ الرَّبِّ عَزَّ وَ جَلَّ.

قَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَسْرَعُ تَقَلُّباً ؟

قَالَ قُلُوبُ الْمُلُوكِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ لِلدُّنْيَا.

قَالَ فَأَخْبِرْنِي أَيُّ الْفُجُورِ أَفْحَش ؟

قَالَ إِعْطَاءُ عَهْدِ اللَّهِ وَ الْغَدْرُ فِيهِ.

قَالَ فَأَيُّ شَيْءٍ أَسْرَعُ انْقِطَاعاً ؟

قَالَ مَوَدَّةُ الْفَاسِقِ.

قَالَ فَأَيُّ شَيْءٍ أَخْوَنُ ؟

قَالَ لِسَانُ الْكَاذِبِ.

قَالَ فَأَيُّ شَيْءٍ أَشَدُّ اكْتِتَاماً ؟

---

[1] في نسخة المجلسي أجفل.

قَالَ شَرُّ الْمُرَائِي الْمُخَادِعِ.

قَالَ فَأَيُّ شَيْءٍ أَشْبَهُ بِأَحْوَالِ الدُّنْيَا ؟

قَالَ أَحْلَامُ النَّائِمِ.

قَالَ أَيُّ الرِّجَالِ أَفْضَلُ رِضًا ؟

قَالَ أَحْسَنُهُمْ ظَنّاً بِاللهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ أَتْقَاهُمْ، وَ أَقَلُّهُمْ غَفْلَةً عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَ انْقِطَاعِ الْمُدَّةِ.

قَالَ أَيُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا أَقَرُّ لِلْعَيْنِ ؟

قَالَ الْوَلَدُ الْأَدِيبُ وَ الزَّوْجَةُ الْمُوَافِقَةُ الْمُؤَاتِيَةُ الْمُعِينَةُ عَلَى أَمْرِ الْآخِرَةِ.

قَالَ أَيُّ الدَّاءِ أَلْزَمُ فِي الدُّنْيَا ؟

قَالَ الْوَلَدُ السَّوْءُ وَ الزَّوْجَةُ السَّوْءُ اللَّذَيْنِ لَا يَجِدُ مِنْهُمَا بُدّاً.

قَالَ أَيُّ الْخَفْضِ [1] أَخْفَضُ ؟

قَالَ رِضَا الْمَرْءِ بِحَظِّهِ وَ اسْتِينَاسُهُ بِالصَّالِحِينَ.

---

[1] الخفض والدعة = الراحة وخفض العيش = السكينة.

هل للعتاة من توبة

ثُمَّ قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ لِلْحَكِيمِ فَرِّغْ لِي ذِهْنَكَ فَقَدْ أَرَدْتُ مُسَاءَلَتَكَ عَنْ أَهَمِّ الْأَشْيَاءِ إِلَيَّ بَعْدَ إِذْ بَصَّرَنِيَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ مِنْ أَمْرِي مَا كُنْتُ بِهِ جَاهِلًا وَ رَزَقَنِي مِنَ الدِّينِ مَا كُنْتُ مِنْهُ آيِساً.

قَالَ الْحَكِيمُ سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ.

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ أَ رَأَيْتَ مَنْ أُوتِيَ الْمُلْكَ طِفْلًا، وَ دِينُهُ عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ، وَ قَدْ غُذِّيَ بِلَذَّاتِ الدُّنْيَا وَ اعْتَادَهَا، وَ نَشَأَ فِيهَا، إِلَى أَنْ كَانَ رَجُلًا وَ كَهْلًا لَا يَنْتَقِلُ مِنْ حَالَتِهِ تِلْكَ فِي جَهَالَتِهِ بِاللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ، وَ إِعْطَائِهِ نَفْسَهُ شَهَوَاتِهَا، مُتَجَرِّداً لِبُلُوغِ الْغَايَةِ فِيمَا زُيِّنَ لَهُ مِنْ تِلْكَ الشَّهَوَاتِ، مُشْتَغِلًا بِهَا مُؤْثِراً لَهَا جَرِيّاً عَلَيْهَا، لَا يَرَى الرُّشْدَ إِلَّا فِيهَا، وَ لَا تَزِيدُهُ الْأَيَّامُ إِلَّا حُبّاً لَهَا وَ اغْتِرَاراً بِهَا وَ عَجَباً وَ حُبّاً لِأَهْلِ مِلَّتِهِ وَ رَأْيِهِ.

وَ قَدْ دَعَتْهُ بَصِيرَتُهُ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ جَهِلَ أَمْرَ آخِرَتِهِ وَ أَغْفَلَهَا فَاسْتَخَفَ بِهَا [1] وَ سَهَا [2] عَنْهَا قَسَاوَةَ قَلْبٍ وَ خُبْثَ نِيَّةٍ وَ سُوءَ رَأْيٍ، وَ اشْتَدَّتْ عَدَاوَتُهُ لِمَنْ خَالَفَهُ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ، وَ الِاسْتِخْفَاءِ بِالْحَقِّ، وَ الْمُغَيِّبِينَ لِأَشْخَاصِهِمْ، انْتِظَاراً لِلْفَرَجِ مِنْ ظُلْمِهِ وَ عَدَاوَتِهِ.

هَلْ يَطْمَعُ لَهُ إِنْ طَالَ عُمُرُهُ فِي النُّزُوعِ [1] عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ، وَ الْخُرُوجِ مِنْهُ إِلَى مَا الْفَضْلُ فِيهِ بَيِّنٌ، وَ الْحُجَّةُ فِيهِ وَاضِحَةٌ، وَ الْحَظُّ جَزِيلٌ، مِنْ لُزُومِ مَا أُبْصِرَ[2] مِنَ الدِّينِ، فَيَأْتِي مَا يُرْجَى لَهُ بِهِ مَغْفِرَةً لِمَا قَدْ سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِهِ[3]، وَ حُسْنِ الثَّوَابِ فِي مَآبِهِ ؟

---

[1] في نسخة المجلسي فاستخفّها.

[2] سها عنه = غفل عنه.

قَالَ الْحَكِيمُ قَدْ عَرَفْتُ هَذِهِ الصِّفَةَ وَ مَا دَعَاكَ إِلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ.

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ مَا ذَاكَ مِنْكَ بِمُسْتَنْكَرٍ لِفَضْلِ مَا أُوتِيتَ مِنَ الْفَهْمِ وَ خُصِّصْتَ بِهِ مِنَ الْعِلْمِ.

قَالَ الْحَكِيمُ أَمَّا صَاحِبُ هَذِهِ الصِّفَةِ فَالْمَلِكُ، وَ الَّذِي دَعَاكَ إِلَيْهِ الْعِنَايَةُ بِمَا سَأَلْتَ عَنْهُ وَ الِاهْتِمَامُ بِهِ مِنْ أَمْرِهِ، وَ الشَّفَقَةُ عَلَيْهِ مِنْ عَذَابِ مَا أَوْعَدَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِهِ وَ طَبْعِهِ وَ هَوَاهُ، مَعَ مَا نَوَيْتَ مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ فِي أَدَاءِ حَقِّ مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْكَ لَهُ.

وَ أَحْسَبُكَ تُرِيدُ بُلُوغَ غَايَةِ الْعُذْرِ فِي التَّلَطُّفِ لِإِنْقَاذِهِ وَ إِخْرَاجِهِ عَنْ عَظِيمِ الْهَوْلِ وَ دَائِمِ الْبَلَاءِ، الَّذِي لَا انْقِطَاعَ لَهُ، مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، إِلَى السَّلَامَةِ وَ رَاحَةِ الْأَبَدِ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاءِ.

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ لَمْ[٤] تَجْرِمْ [٥] حَرْفاً عَمَّا أَرَدْتُ، فَأَعْلِمْنِي رَأْيَكَ فِيمَا عَنَيْتُ[٦] مِنْ أَمْرِ الْمَلِكِ وَ حَالِهِ، الَّتِي أَتَخَوَّفُ أَنْ يُدْرِكَهُ الْمَوْتُ عَلَيْهَا، فَتُصِيبَهُ الْحَسْرَةُ وَ النَّدَامَةُ حِينَ لَا أُغْنِي عَنْهُ شَيْئاً.

---

[١] نزع عن كذا = كفّ وانتهى عنه. المصدر نزوع.

[٢] في نسخة المجلسي أبصرت.

[٣] في نسخة المجلسي ما يرجى له بعد مغفرة ما قد سلف من ذنوبه.

[٤] في نسخة المجلسي لم تحرم.

[٥] لم تجرم = لم تخطئ. هذه اللفظة يمكن أن يكون بالجيم و الراء أي لم تخطأ، أو بالحاء المهملة على صيغة المفعول أي لم تمنع من فهمه. أو بالخاء المعجمة أي لم تترك.

[٦] في نسخة المجلسي عنوت.

فَاجْعَلْنِي مِنْهُ عَلَى يَقِينٍ، وَ فَرِّجْ عَمَّا أَنَا بِهِ مَغْمُومٌ [1]، شَدِيدُ الاِهْتِمَامِ بِهِ، فَإِنِّي قَلِيلُ الْحِيلَةِ فِيهِ.

قَالَ الْحَكِيمُ أَمَّا رَأْيُنَا فَإِنَّا لَا نُبَعِّدُ مَخْلُوقاً مِنْ رَحْمَةِ اللهِ خَالِقِهِ عَزَّ وَ جَلَّ، وَ لَا نَأْيَسُ لَهُ مِنْهَا، مَا دَامَ فِيهِ الرُّوحُ، وَ إِنْ كَانَ عَاتِياً طَاغِياً ضَالًّا، لِمَا قَدْ وَصَفَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَ تَعَالَى بِهِ نَفْسَهُ مِنَ التَّحَنُّنِ وَ الرَّأْفَةِ وَ الرَّحْمَةِ، وَ دَلَّ عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَ مَا أَمَرَ بِهِ مِنَ الاِسْتِغْفَارِ وَ التَّوْبَةِ، وَ فِي هَذَا فَضْلُ الطَّمَعِ لَكَ فِي حَاجَتِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ.

[1] في نسخة المجلسي هذه العبارة: وفرّج عني فأنا به مغموم.

الملك العاتي الذي تحوّل تقيًّا زاهدًا

وَ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنٍ مِنَ الْأَزْمَانِ مَلِكٌ عَظِيمُ الصَّوْتِ فِي الْعِلْمِ، رَفِيقٌ سَائِسٌ يُحِبُّ الْعَدْلَ فِي أُمَّتِهِ، وَ الْإِصْلَاحَ لِرَعِيَّتِهِ، عَاشَ بِذَلِكَ زَمَاناً بِخَيْرِ حَالٍ ثُمَّ هَلَكَ.

فَجَزِعَتْ عَلَيْهِ أُمَّتُهُ، وَ كَانَ بِامْرَأَةٍ لَهُ حَمْلٌ، فَذَكَرَ الْمُنَجِّمُونَ وَ الْكَهَنَةُ أَنَّهُ غُلَامٌ، وَ كَانَ يُدَبِّرُ مُلْكَهُمْ مَنْ كَانَ يَلِي ذَلِكَ فِي زَمَانِ مُلْكِهِمْ.

فَاتَّفَقَ الْأَمْرُ كَمَا ذَكَرَهُ الْمُنَجِّمُونَ وَ الْكَهَنَةُ، وَ وُلِدَ مِنْ ذَلِكَ الْحَمْلِ غُلَامٌ، فَأَقَامُوا عِنْدَ مِيلَادِهِ سَنَةً بِالْمَعَازِفِ وَ الْمَلَاهِي وَ الْأَشْرِبَةِ وَ الْأَطْعِمَةِ.

ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَ الْفِقْهِ وَ الرَّبَّانِيِّينَ قَالُوا لِعَامَّتِهِمْ إِنَّ هَذَا الْمَوْلُودَ إِنَّمَا هُوَ هِبَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَ قَدْ جَعَلْتُمُ الشُّكْرَ لِغَيْرِهِ، وَ إِنْ كَانَ هِبَةً مِنْ غَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَقَدْ أَدَّيْتُمُ الْحَقَّ إِلَى مَنْ أَعْطَاكُمُوهُ، وَ اجْتَهَدْتُمْ فِي الشُّكْرِ لِمَنْ رَزَقَكُمُوهُ.

فَقَالَ لَهُمُ الْعَامَّةُ مَا وَهَبَهُ لَنَا إِلَّا اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى، وَ لَا امْتَنَّ بِهِ عَلَيْنَا غَيْرُهُ. قَالَ الْعُلَمَاءُ فَإِنْ كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ هُوَ الَّذِي وَهَبَهُ لَكُمْ، فَقَدْ أَرْضَيْتُمْ غَيْرَ الَّذِي أَعْطَاكُمْ، وَ أَسْخَطْتُمُ اللَّهَ الَّذِي وَهَبَهُ لَكُمْ.

فَقَالَتْ لَهُمُ الرَّعِيَّةُ فَأَشِيرُوا لَنَا أَيُّهَا الْحُكَمَاءُ، وَ أَخْبِرُونَا أَيُّهَا الْعُلَمَاءُ، فَنَتَّبِعَ قَوْلَكُمْ وَ نَتَقَبَّلَ نَصِيحَتَكُمْ وَ مُرُونَا بِأَمْرِكُمْ. قَالَتِ الْعُلَمَاءُ فَإِنَّا نَرَى لَكُمْ أَنْ تَعْدِلُوا عَنِ اتِّبَاعِ مَرْضَاةِ الشَّيْطَانِ بِالْمَعَازِفِ وَ الْمَلَاهِي وَ الْمُسْكِرِ، إِلَى ابْتِغَاءِ مَرْضَاةِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ شُكْرِهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ، أَضْعَافَ شُكْرِكُمْ لِلشَّيْطَانِ حَتَّى يُغْفَرَ لَكُمْ مَا كَانَ مِنْكُمْ.

قَالَتِ الرَّعِيَّةُ لَا تَحْمِلُ أَجْسَادُنَا كُلَّ الَّذِي قُلْتُمْ وَ أَمَرْتُمْ بِهِ. قَالَتِ الْعُلَمَاءُ يَا أُولِي الْجَهْلِ كَيْفَ أَطَعْتُمْ مَنْ لَا حَقَّ لَهُ عَلَيْكُمْ، وَ تَعْصُونَ مَنْ لَهُ الْحَقُّ الْوَاجِبُ عَلَيْكُمْ، وَ كَيْفَ قَوِيتُمْ عَلَى مَا لَا يَنْبَغِي، وَ تَضْعُفُونَ عَمَّا يَنْبَغِي !

قَالُوا لَهُمْ يَا أَئِمَّةَ الْحُكَماءِ، عَظُمَتْ فِينَا الشَّهَوَاتُ، وَ كَثُرَتْ فِينَا اللَّذَّاتُ، فَقَوِينَا بِمَا عَظُمَ فِينَا مِنْهَا عَلَى الْعَظِيمِ مِنْ شَكْلِهَا[1] ، وَ ضَعُفَتْ مِنَّا النِّيَّاتُ، فَعَجَزْنَا عَنْ حَمْلِ الْمُثْقِلَاتِ، فَارْضَوْا مِنَّا فِي الرُّجُوعِ عَنْ ذَلِكَ يَوْماً فَيَوْماً، وَ لَا تُكَلِّفُونَا كُلَّ هَذَا الثِّقْلِ.

قَالُوا لَهُمْ يَا مَعْشَرَ السُّفَهَاءِ، أَ لَسْتُمْ أَبْنَاءَ الْجَهْلِ وَ إِخْوَانَ الضَّلَالِ، حِينَ خَفَّتْ عَلَيْكُمُ الشِّقْوَةُ، وَ ثَقُلَتْ عَلَيْكُمُ السَّعَادَةُ ؟

قَالُوا لَهُمْ أَيُّهَا السَّادَةُ الْحُكَماءُ وَ الْقَادَةُ الْعُلَمَاءُ إِنَّا نَسْتَجِيرُ مِنْ تَعْنِيفِكُمْ إِيَّانَا بِمَغْفِرَةِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ، وَ نَسْتَتِرُ مِنْ تَعْيِيرِكُمْ لَنَا بِعَفْوِهِ، فَلَا تُؤَنِّبُونَا وَ لَا تُعَيِّرُونَا بِضَعْفِنَا، وَ لَا تَعِيبُوا الْجَهَالَةَ عَلَيْنَا، فَإِنَّا إِنْ أَطَعْنَا اللهَ مَعَ عَفْوِهِ وَ حِلْمِهِ وَ تَضْعِيفِهِ الْحَسَنَاتِ، وَ اجْتَهَدْنَا فِي عِبَادَتِهِ، مِثْلَ الَّذِي بَذَلْنَا، لِهَوَانَا مِنَ الْبَاطِلِ، بَلَغْنَا حَاجَتَنَا، وَ بَلَّغَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِنَا غَايَتَنَا، وَ رَحِمَنَا كَمَا خَلَقَنَا.

فَلَمَّا قَالُوا ذَلِكَ أَقَرَّ لَهُمْ[2] عُلَمَاؤُهُمْ، وَ رَضُوا قَوْلَهُمْ، فَصَلُّوا وَ صَامُوا وَ تَعَبَّدُوا وَ أَعْظَمُوا الصَّدَقَاتِ سَنَةً كَامِلَةً.

[1] في نسخة المجلسي مشكلها.

[2] في نسخة المجلسي أقرّهم علماؤهم.

فَلَمَّا انْقَضَى ذَلِكَ مِنْهُمْ، قَالَتِ الكَهَنَةُ إِنَّ الَّذِي صَنَعَتْ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَى هَذَا الْمَوْلُودِ يُخْبِرُ أَنَّ هَذَا الْمَلِكَ يَكُونُ فَاجِراً وَ يَكُونُ بَارّاً وَ يَكُونُ مُتَجَبِّراً وَ يَكُونُ مُتَوَاضِعاً وَ يَكُونُ مُسِيئاً وَ يَكُونُ مُحْسِناً. وَ قَالَ الْمُنَجِّمُونَ مِثْلَ ذَلِكَ.

فَقِيلَ لَهُمْ كَيْفَ قُلْتُمْ ذَلِكَ ؟

قَالَ الكَهَنَةُ قُلْنَا هَذَا مِنْ قِبَلِ اللَّهْوِ وَ الْمَعَازِفِ وَ الْبَاطِلِ الَّذِي صُنِعَ عَلَيْهِ، وَ مَا صُنِعَ عَلَيْهِ مِنْ ضِدِّهِ بَعْدَ ذَلِكَ. وَ قَالَ الْمُنَجِّمُونَ قُلْنَا ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ اسْتِقَامَةِ الزُّهْرَةِ وَ الْمُشْتَرِي.

فَنَشَأَ الْغُلَامُ بِكِبْرٍ لَا تُوصَفُ عَظَمَتُهُ، وَ مَرَحٍ لَا يُنْعَتُ ، وَ عُدْوَانٍ لَا يُطَاقُ، فَعَسَفَ وَ جَارَ وَ ظَلَمَ فِي الْحُكْمِ وَ غَشَمَ [1] ، وَ كَانَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْهِ مَنْ وَافَقَهُ عَلَى ذَلِكَ، وَ أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيْهِ مَنْ خَالَفَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَ اغْتَرَّ بِالشَّبَابِ وَ الصِّحَّةِ وَ الْقُدْرَةِ وَ الظَّفَرِ وَ النَّظَرِ، فَامْتَلَأَ سُرُوراً وَ إِعْجَاباً بِمَا هُوَ فِيهِ، وَ رَأَى كُلَّمَا يُحِبُّ [2] ، وَ سَمِعَ كُلَّمَا اشْتَهَى، حَتَّى بَلَغَ اثْنَتَيْنِ وَ ثَلَاثِينَ سَنَةً.

ثُمَّ جَمَعَ نِسَاءً مِنْ بَنَاتِ الْمُلُوكِ وَ صِبْيَاناً وَ الْجَوَارِيَ وَ الْمُخَدَّرَاتِ وَ خَيْلَهُ الْمُطَهَّمَاتِ الْعَنَاقَ [3] ، وَ أَلْوَانَ مَرَاكِبِهِ الْفَاخِرَةِ، وَ وَصَائِفَهُ وَ خُدَّامَهُ الَّذِينَ يَكُونُونَ فِي خِدْمَتِهِ. فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَلْبَسُوا أَجَدَّ ثِيَابِهِمْ، وَ يَتَزَيَّنُوا بِأَحْسَنِ زِينَتِهِمْ.

---

[1] غشم = ظلم.

[2] في نسخة المجلسي يحبّه.

[3] أي تامّ الحسن.

وَ أَمَرَ بِبِنَاءِ مَجْلِسٍ مُقَابِلَ مَطْلَعِ الشَّمْسِ، صَفَائِحُ أَرْضِهِ الذَّهَبُ، مُفَضَّضاً [١] بِأَنْوَاعِ الْجَوَاهِرِ، طُولُهُ مِائَةٌ وَ عِشْرُونَ ذِرَاعاً وَ عَرْضُهُ سِتُّونَ ذِرَاعاً، مُزَخْرَفاً سَقْفُهُ وَ حِيطَانُهُ ، قَدْ زُيِّنَ بِكَرَائِمِ الْحُلِيِّ، وَ صُنُوفِ الْجَوْهَرِ وَ اللُّؤْلُؤِ النَّظِيمِ وَ فَاخِرِهِ.

وَ أَمَرَ بِضُرُوبِ الْأَمْوَالِ فَأُخْرِجَتْ مِنَ الْخَزَائِنِ، وَ نُضِّدَتْ سِمَاطَيْنِ[٢] أَمَامَ مَجْلِسِهِ، وَ أَمَرَ جُنُودَهُ وَ أَصْحَابَهُ وَ قُوَّادَهُ وَ كُتَّابَهُ وَ حُجَّابَهُ وَ عُظَمَاءَ أَهْلِ بِلَادِهِ وَ عُلَمَاءَهُمْ، فَحَضَرُوا فِي أَحْسَنِ هَيْئَتِهِمْ وَ أَجْمَلِ جَمَالِهِمْ، وَ تَسَلَّحَ فُرْسَانُهُ وَ رَكِبَتْ خُيُولُهُ فِي عِدَّتِهِمْ، ثُمَّ وَقَفُوا عَلَى مَرَاكِزِهِمْ وَ مَرَاتِبِهِمْ صُفُوفاً وَ كَرَادِيسَ[٣] .

وَ إِنَّمَا أَرَادَ بِزَعْمِهِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَنْظَرٍ رَفِيعٍ حَسَنٍ، تُسَرُّ بِهِ نَفْسُهُ وَ تَقَرُّ بِهِ عَيْنُهُ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَعِدَ إِلَى مَجْلِسِهِ فَأَشْرَفَ عَلَى مَمْلَكَتِهِ، فَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً.

فَقَالَ لِبَعْضِ غِلْمَانِهِ قَدْ نَظَرْتُ فِي أَهْلِ مَمْلَكَتِي إِلَى مَنْظَرٍ حَسَنٍ، وَ بَقِيَ أَنْ أَنْظُرَ إِلَى صُورَةِ وَجْهِي.

فَدَعَا بِمِرْآةٍ فَنَظَرَ إِلَى وَجْهِهِ، فَبَيْنَا هُوَ يَقْلِبُ طَرْفَهُ فِيهَا، إِذْ لَاحَتْ لَهُ شَعْرَةٌ بَيْضَاءُ مِنْ لِحْيَتِهِ، كَغُرَابٍ أَبْيَضَ بَيْنَ غُرْبَانٍ سُودٍ، وَ اشْتَدَّ مِنْهَا ذُعْرُهُ وَ فَزَعُهُ، وَ تَغَيَّرَ فِي عَيْنِهِ حَالُهُ، وَ ظَهَرَتِ الْكَآبَةُ وَ الْحُزْنُ فِي وَجْهِهِ، وَ تَوَلَّى السُّرُورُ عَنْهُ [٤] .

---

[١] فضّض الشيء = موّهه أو رصّعه.

[٢] نضد المتاع- بشدّ الضاد و تخفيفها- رتّبه و ضمّ بعضه الى بعض متّسقًا أو مركومًا. السماط: الشيء المصطفّ. و سماط الطريق جانباه.

[٣] كراديس جمع كردوسة = طائفة عظيمة من الخيل.

[٤] في نسخة المجلسي منه.

ثُمَّ قَالَ فِي نَفْسِهِ هَذَا حِينَ نُعِيَ إِلَيَّ شَبَابِي، وَ بُيِّنَ لِي أَنَّ مُلْكِي فِي ذَهَابٍ، وَ أُوذِنْتُ بِالنُّزُولِ عَنْ سَرِيرِ مُلْكِي. ثُمَّ قَالَ هَذِهِ مُقَدِّمَةُ الْمَوْتِ، وَ رَسُولُ [1] الْبِلَى، لَمْ يَحْجُبْهُ عَنِّي حَاجِبٌ، وَ لَمْ يَمْنَعْهُ عَنِّي حَارِسٌ، فَنُعِيَ إِلَيَّ نَفْسِي، وَ آذَنَنِي [2] بِزَوَالِ مُلْكِي.

فَمَا أَسْرَعَ هَذَا فِي تَبْدِيلِ بَهْجَتِي وَ ذَهَابِ سُرُورِي وَ هَدْمِ قُوَّتِي، لَمْ يَمْنَعْهُ مِنِّي الْحُصُونُ، وَ لَمْ تَدْفَعْهُ عَنِّي الْجُنُودُ.

هَذَا سَالِبُ الشَّبَابِ وَ الْقُوَّةِ، وَ مَاحِقُ الْعِزِّ وَ الثَّرْوَةِ، وَ مُفَرِّقُ الشَّمْلِ، وَ قَاسِمُ التُّرَاثِ بَيْنَ الْأَوْلِيَاءِ وَ الْأَعْدَاءِ، مُفْسِدُ الْمَعَاشِ، وَ مُنَغِّصُ اللَّذَّاتِ، وَ مُخَرِّبُ الْعِمَارَاتِ، وَ مُشَتِّتُ الْجَمْعِ، وَ وَاضِعُ الرَّفِيعِ، وَ مُذِلُّ الْمَنِيعِ [3]، قَدْ أَنَاخَتْ بِي أَثْقَالُهُ [4]، وَ نُصِبَ لِي حِبَالُهُ.

ثُمَّ نَزَلَ عَنْ مَجْلِسِهِ حَافِياً مَاشِياً، وَ قَدْ صَعِدَ إِلَيْهِ مَحْمُولًا، ثُمَّ جَمَعَ إِلَيْهِ جُنُودَهُ، وَ دَعَا إِلَيْهِ ثِقَاتَهُ، فَقَالَ أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا ذَا صَنَعْتُ فِيكُمْ، وَ مَا ذَا أَتَيْتُ إِلَيْكُمْ مُنْذُ مَلَكْتُكُمْ، وَ وُلِّيتُ أُمُورَكُمْ.

قَالُوا لَهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَحْمُودُ عَظُمَ بَلَاؤُكَ عِنْدَنَا، وَ هَذِهِ أَنْفُسُنَا مَبْذُولَةٌ فِي طَاعَتِكَ، فَمُرْنَا بِأَمْرِكَ.

---

[1] في نسخة المجلسي ورسول البلاء.ب

[2] في نسخة المجلسي وأذّن لي.

[3] المنيع = العزيز.

[4] أناخ البلاء على فلان: أقام عليه، و أناخ به الحاجة: أنزلها به. أناخ الجمل: أبركه.

قَالَ طَرَقَنِي [١] عَدُوٌّ [٢] مُخِيفٌ لَمْ تَمْنَعُونِي مِنْهُ حَتَّى نَزَلَ بِي، وَ كُنْتُمْ عُدَّتِي وَ ثِقَاتِي.

قَالُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ أَيْنَ هَذَا الْعَدُوُّ أَ يُرَى أَمْ لَا يُرَى ؟

قَالَ يُرَى بِأَثَرٍ وَ لَا يُرَى عَيْنُهُ.

قَالُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ هَذِهِ عُدَّتُنَا كَمَا تَرَى، وَ عِنْدَنَا سَكَنٌ، وَ فِينَا ذَوُو الْحِجَى وَ النُّهَى، فَأَرِنَاهُ نَكْفِكَ مَا مِثْلُهُ يُكْفَى.

قَالَ قَدْ عَظُمَ الِاغْتِرَارُ مِنِّي بِكُمْ، وَ وَضَعْتُ الثِّقَةَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا، حِينَ اتَّخَذْتُكُمْ وَ جَعَلْتُكُمْ لِنَفْسِي جُنَّةً.

وَ إِنَّمَا بَذَلْتُ لَكُمُ الْأَمْوَالَ، وَ رَفَعْتُ شَرَفَكُمْ، وَ جَعَلْتُكُمُ الْبِطَانَةَ دُونَ غَيْرِكُمْ، لِتَحْفَظُونِي مِنَ الْأَعْدَاءِ، وَ تَحْرُسُونِي مِنْهُمْ ، ثُمَّ أَيَّدْتُكُمْ عَلَى ذَلِكَ بِتَشْيِيدِ الْبُلْدَانِ، وَ تَحْصِينِ الْمَدَائِنِ، وَ الثِّقَةِ مِنَ السِّلَاحِ[٣] ، وَ نَحَّيْتُ عَنْكُمُ الْهُمُومَ، وَ فَرَّغْتُكُمْ لِلنَّجْدَة [٤] وَ الِاحْتِفَاظِ.

وَ لَمْ أَكُنْ أَخْشَى أَنْ أُرَاعَ مَعَكُمْ، وَ لَا أَتَخَوَّفُ الْمَنُونَ عَلَى بُنْيَانِي، وَ أَنْتُمْ عُكُوفٌ [٥] مُطِيفُونَ بِهِ، فَطُرِقْتُ وَ أَنْتُمْ حَوْلِي، وَ أُتِيتُ وَ أَنْتُمْ مَعِي، فَلَئِنْ كَانَ هَذَا ضعف [ضَعْفاً] مِنْكُمْ، فَمَا أَخَذْتُ أَمْرِي بِثِقَةٍ، وَ إِنْ كَانَتْ غَفَلَةً مِنْكُمْ، فَمَا أَنْتُمْ بِأَهْلِ النَّصِيحَةِ، وَ لَا عَلَيَّ بِأَهْلِ الشَّفَقَةِ.

---

[١] أتاه ليلًا.

[٢] في نسخة المجلسي عدوّ نحيف.

[٣] في نسخة المجلسي الصلاح.

[٤] النجدة: الشجاعة و الشدة و البأس.

[٥] عكف = لزم مواظبًا.

قَالُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ أَمَّا شَيْءٌ نُطِيقُ دَفْعَهُ بِالْحَيْلِ وَ الْقُوَّةِ، فَلَيْسَ بِوَاصِلٍ إِلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَ نَحْنُ أَحْيَاءٌ، وَ أَمَّا مَا لَا يُرَى فَقَدْ غُيِّبَ عَنَّا عِلْمُهُ، وَ عَجَزَتْ قُوَّتُنَا عَنْهُ.

قَالَ أَ لَيْسَ اتَّخَذْتُكُمْ لِتَمْنَعُونِي مِنْ عَدُوِّي ؟

قَالُوا بَلَى.

قَالَ فَمِنْ أَيِّ عَدُوٍّ تَحْفَظُونِي ؟ مِنَ الَّذِي يَضُرُّنِي أَوْ مِنَ الَّذِي لَا يَضُرُّنِي ؟

قَالُوا مِنَ الَّذِي يَضُرُّكَ.

قَالَ أَ فَمِنْ كُلِّ ضَارٍّ لِي أَوْ مِنْ بَعْضِهِمْ.

قَالُوا مِنْ كُلِّ ضَارٍّ.

قَالَ فَإِنَّ رَسُولَ الْبِلَى قَدْ أَتَانِي يَنْعَى إِلَيَّ نَفْسِي وَ مُلْكِي، وَ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُرِيدُ خَرَابَ مَا عَمَّرْتُ، وَ هَدْمَ مَا بَنَيْتُ، وَ تَفْرِيقَ مَا جَمَعْتُ، وَ فَسَادَ مَا أَصْلَحْتُ، وَ تَبْذِيرَ مَا أَحْرَزْتُ، وَ تَبْدِيلَ مَا عَمِلْتُ، وَ تَوْهِينَ مَا وَثِقْتُ.

وَ زَعَمَ أَنَّ مَعَهُ الشَّمَاتَةَ مِنَ الْأَعْدَاءِ، وَ قَدْ قَرَّتْ بِي أَعْيُنُهُمْ، فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُعْطِيَهُمْ مِنِّي شِفَاءَ صُدُورِهِمْ، وَ ذَكَرَ أَنَّهُ سَيَهْزِمُ جَيْشِي، وَ يُوحِشُ أُنْسِي، وَ يُذْهِبُ عِزِّي، وَ يُوتِمُ وُلْدِي، وَ يُفَرِّقُ جُمُوعِي.

يُفْجِعُ[١] بِي إِخْوَانِي وَ أَهْلِي وَ قَرَابَتِي، وَ يَقْطَعُ أَوْصَالِي، وَ يَسْكُنُ مَسَاكِنِي [٢] أَعْدَائِي.

---

[١] في نسخة المجلسي ويفجع.

[٢] في نسخة المجلسي مساكن.

قَالُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّمَا نَمْنَعُكَ مِنَ النَّاسِ وَ السِّبَاعِ وَ الْهَوَامِّ وَ دَوَابِّ الْأَرْضِ، فَأَمَّا الْبِلَى [1] فَلَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَ لَا قُوَّةَ لَنَا عَلَيْهِ وَ لَا امْتِنَاعَ لَنَا مِنْهُ.

فَقَالَ فَهَلْ مِنْ حِيلَةٍ فِي دَفْعِ ذَلِكَ عَنِّي [2] ؟

قَالُوا لَا.

قَالَ فَشَيْءٌ دُونَ ذَلِكَ تُطِيقُونَهُ ؟

قَالُوا وَ مَا هُوَ ؟

قَالَ الْأَوْجَاعُ وَ الْأَحْزَانُ وَ الْهُمُومُ.

قَالُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّمَا قَدْ قَدَّرَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ قَوِيٌّ لَطِيفٌ، وَ ذَلِكَ يَثُورُ مِنَ الْجِسْمِ وَ النَّفْسِ، وَ هُوَ يَصِلُ إِلَيْكَ إِذَا لَمْ يُوصَلْ، وَ لَا يُحْجَبُ عَنْكَ وَ إِنْ حُجِبَ [3].

قَالَ فَأَمْرٌ دُونَ ذَلِكَ ؟

قَالُوا وَ مَا هُوَ ؟

قَالَ مَا قَدْ سَبَقَ مِنَ الْقَضَاءِ.

قَالُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ وَ مَنْ ذَا غَالَبَ الْقَضَاءَ فَلَمْ يُغْلَبْ، وَ مَنْ ذَا كَابَرَهُ فَلَمْ يُقْهَرْ ؟

قَالَ فَمَا ذَا عِنْدَكُمْ ؟

---

[1] في نسخة المجلسي البلاء.

[2] في نسخة المجلسي منّي.

[3] في بعض النسخ (و إن حجب لم يحتجب).

قَالُوا مَا نَقْدِرُ عَلَى دَفْعِ الْقَضَاءِ، وَ قَدْ أَصَبْتَ التَّوْفِيقَ وَ التَّسْدِيدَ. فَمَا ذَا الَّذِي تُرِيدُ؟

قَالَ أُرِيدُ أَصْحَاباً يَدُومُ عَهْدُهُمْ، وَ يَفُوا لِي، وَ تَبْقَى لِي أُخُوَّتُهُمْ، وَ لَا يَحْجُبُهُمْ عَنِّي الْمَوْتُ، وَ لَا يَمْنَعُهُمُ الْبِلَى عَنْ صُحْبَتِي، وَ لَا يَسْتَحِيلُ [١] بِهِمُ الِامْتِنَاعُ عَنْ صُحْبَتِي [٢]، وَ لَا يُفْرِدُونِي [٣] إِنْ مِتُّ، وَ لَا يُسَلِّمُونِي إِنْ عِشْتُ، وَ يَدْفَعُونَ عَنِّي مَا عَجَزْتُمْ عَنْهُ مِنْ أَمْرِ الْمَوْتِ.

قَالُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ وَ مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْتَ ؟

قَالَ هُمُ الَّذِينَ أَفْسَدْتُهُمْ بِاسْتِصْلَاحِكُمْ.

قَالُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ أَ فَلَا تَصْطَنِعُ عِنْدَنَا وَ عِنْدَهُمْ مَعْرُوفاً، فَإِنَّ أَخْلَاقَكَ تَامَّةٌ وَ رَأْفَتَكَ عَظِيمَةٌ.

قَالَ إِنَّ فِي صُحْبَتِكُمْ إِيَّايَ السَّمَّ الْقَاتِلَ، وَ الصَّمَمَ وَ الْعَمَى فِي طَاعَتِكُمْ، وَ الْبَكَمَ مِنْ مُوَافَقَتِكُمْ.

قَالُوا كَيْفَ ذَاكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ ؟

قَالَ صَارَتْ صُحْبَتُكُمْ إِيَّايَ فِي الِاسْتِكْثَارِ، وَ مُوَافَقَتُكُمْ عَلَى الْجَمْعِ، وَ طَاعَتُكُمْ إِيَّايَ فِي الِاغْتِفَالِ [٤]، فَبَطَّأْتُمُونِي عَنِ الْمَعَادِ، وَ زَيَّنْتُمْ لِيَ الدُّنْيَا، وَ لَوْ نَصَحْتُمُونِي ذَكَّرْتُمُونِي

---

[١] في نسخة المجلسي ولا يشتمل.

[٢] في بعض النسخ (و لا يستحيل بهم الاطماع عن نصيحتى)، و في بعضها (لا يستميل).

[٣] أفرده = عزله.

[٤] اغتفله = تحيّن غفلته وتعمّدها.

الْمَوْتَ، وَ لَوْ أَشْفَقْتُمْ عَلَيَّ ذَكَّرْتُمُونِيَ الْبِلَى [١] ، وَ جَمَعْتُمْ لِي مَا يَبْقَى، وَ لَمْ تَسْتَكْثِرُوا لِي مَا يَفْنَى.

فَإِنَّ تِلْكَ الْمَنْفَعَةَ الَّتِي ادَّعَيْتُمُوهَا ضَرَرٌ، وَ تِلْكَ الْمَوَدَّةَ عَدَاوَةٌ، وَ قَدْ رَدَدْتُهَا عَلَيْكُمْ، لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا مِنْكُمْ.

قَالُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْحَكِيمُ الْمَحْمُودُ قَدْ فَهِمْنَا مَقَالَتَكَ، وَ فِي أَنْفُسِنَا إِجَابَتُكَ، وَ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَحْتَجَّ عَلَيْكَ، فَقَدْ رَأَيْنَا مَكَانَ الْحُجَّةِ، فَسُكُوتُنَا عَنْ حُجَّتِنَا فَسَادٌ لِمُلْكِنَا، وَ هَلَاكٌ لِدُنْيَانَا، وَ شَمَاتَةٌ لِعَدُوِّنَا. وَ قَدْ نَزَلَ بِنَا أَمْرٌ عَظِيمٌ بِالَّذِي تَبَدَّلَ مِنْ رَأْيِكَ، وَ أَجْمَعَ عَلَيْهِ أَمْرُكَ.

قَالَ قُولُوا آمِنِينَ، وَ اذْكُرُوا مَا بَدَا لَكُمْ غَيْرَ مَرْعُوبِينَ، فَإِنِّي كُنْتُ إِلَى الْيَوْمِ مَغْلُوباً بِالْحَمِيَّةِ وَ الْأَنَفَةِ [٢] ، وَ أَنَا الْيَوْمَ غَالِبٌ لَهُمَا، وَ كُنْتُ إِلَى الْيَوْمِ مَقْهُوراً لَهُمَا، وَ أَنَا الْيَوْمَ قَاهِرٌ لَهُمَا، وَ كُنْتُ إِلَى الْيَوْمِ مَلِكاً عَلَيْكُمْ، فَقَدْ صِرْتُ عَلَيْكُمْ مَمْلُوكاً، وَ أَنَا الْيَوْمَ عَتِيقٌ [٣] ، أَنْتُمْ مِنْ مَمْلَكَتِي طُلَقَاءُ.

قَالُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ مَا الَّذِي كُنْتَ لَهُ [٤] مَمْلُوكاً إِذْ كُنْتَ عَلَيْنَا مَلِكاً ؟

قَالَ كُنْتُ مَمْلُوكاً لِهَوَايَ، مَقْهُوراً بِالْجَهْلِ، مُسْتَعْبِداً لِشَهَوَاتِي، فَقَدْ قَطَعْتُ تِلْكَ الطَّاعَةَ عَنِّي، وَ نَبَذْتُهَا خَلْفَ ظَهْرِي.

---

[١] في نسخة المجلسي البلاء.

[٢] الحميّة والأنفة = المروءة والنخوة.

[٣] العتيق = الخارج من الرقّ والعبوديّة.

[٤] في نسخة المجلسي من دون له.

قَالُوا فَقُلْ مَا أَجْمَعْتَ عَلَيْهِ أَيُّهَا الْمَلِكُ.

قَالَ الْقُنُوعَ وَ التَّخَلِّيَ لِآخِرَتِي، وَ تَرْكَ هَذَا الْغُرُورِ، وَ نَبْذَ هَذَا الثِّقَلِ عَنْ ظَهْرِي، وَ الِاسْتِعْدَادَ لِلْمَوْتِ، وَ التَّأَهُّبَ لِلْبَلَاءِ. فَإِنَّ رَسُولَهُ عِنْدِي قَدْ ذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ أُمِرَ بِمُلَازَمَتِي، وَ الْإِقَامَةِ مَعِي ، حَتَّى يَأْتِيَنِي الْمَوْتُ.

فَقَالُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ وَ مَنْ هَذَا الرَّسُولُ الَّذِي قَدْ أَتَاكَ وَ لَمْ نَرَهُ، وَ هُوَ مُقَدِّمَةُ الْمَوْتِ الَّذِي لَا نَعْرِفُهُ ؟

قَالَ أَمَّا الرَّسُولُ فَهَذَا الْبَيَاضُ الَّذِي يَلُوحُ بَيْنَ السَّوَادِ، وَ قَدْ صَاحَ فِي جَمِيعِهِ بِالزَّوَالِ، فَأَجَابُوا وَ أَذْعَنُوا، وَ أَمَّا مُقَدِّمَةُ الْمَوْتِ، فَالْبِلَى[1] الَّذِي هَذَا الْبَيَاضُ طُرُقُهُ.

قَالُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ أَ فَتَدَعُ مَمْلَكَتَكَ وَ تُهْمِلُ رَعِيَّتَكَ، وَ كَيْفَ لَا تَخَافُ الْإِثْمَ فِي تَعْطِيلِ أُمَّتِكَ ؟ أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ أَعْظَمَ الْأَجْرِ فِي اسْتِصْلَاحِ النَّاسِ، وَ أَنَّ رَأْسَ الصَّلَاحِ الطَّاعَةُ لِلْأُمَّةِ وَ الْجَمَاعَةِ ؟

فَكَيْفَ لَا تَخَافُ مِنَ الْإِثْمِ، وَ فِي هَلَاكِ الْعَامَّةِ مِنَ الْإِثْمِ فَوْقَ الَّذِي تَرْجُو مِنَ الْأَجْرِ فِي صَلَاحِ الْخَاصَّةِ ؟ أَ لَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ أَفْضَلَ الْعِبَادَةِ الْعَمَلُ، وَ أَنَّ أَشَدَّ الْعَمَلِ السِّيَاسَةُ ؟

فَإِنَّكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ مَا فِي يَدَيْكَ عَدْلٌ عَلَى رَعِيَّتِكَ، مُسْتَصْلِحٌ لَهَا بِتَدْبِيرِكَ، فَإِنَّ لَكَ مِنَ الْأَجْرِ بِقَدْرِ مَا اسْتَصْلَحْتَ. أَلَسْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِذَا خَلَّيْتَ مَا فِي يَدَيْكَ مِنْ صَلَاحِ

[1] في نسخة المجلسي فالبلاء.

أُمَّتِكَ فَقَدْ أَرَدْتَ فَسَادَهُمْ[١] ؟ فَقَدْ حَمَلْتَ مِنَ الْإِثْمِ فِيهِمْ أَعْظَمَ مِمَّا أَنْتَ مُصِيبٌ[٢] مِنَ الْأَجْرِ فِي خَاصَّةِ يَدَيْكَ.

أَلَسْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الْعُلَمَاءَ قَالُوا مَنْ أَتْلَفَ نَفْساً فَقَدِ اسْتَوْجَبَ لِنَفْسِهِ الْفَسَادَ، وَ مَنْ أَصْلَحَهَا فَقَدِ اسْتَوْجَبَ الصَّلَاحَ لِبَدَنِهِ.

وَ أَيُّ فَسَادٍ أَعْظَمُ مِنْ رَفْضِ هَذِهِ الرَّعِيَّةِ الَّتِي أَنْتَ إِمَامُهَا، وَ الْإِقَامَةِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي أَنْتَ نِظَامُهَا !

حَاشَا لَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنْ تَخْلَعَ عَنْكَ لِبَاسَ الْمُلْكِ الَّذِي هُوَ الْوَسِيلَةُ إِلَى شَرَفِ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ !

قَالَ قَدْ فَهِمْتُ الَّذِي ذَكَرْتُمْ، وَ عَقَلْتُ الَّذِي وَصَفْتُمْ، فَإِنْ كُنْتُ إِنَّمَا أَطْلُبُ الْمُلْكَ عَلَيْكُمْ لِلْعَدْلِ فِيكُمْ، وَ الْأَجْرِ مِنَ اللهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ فِي اسْتِصْلَاحِكُمْ، بِغَيْرِ أَعْوَانٍ يَرْفِدُونَنِي[٣] ، وَ وُزَرَاءَ يَكْفُونَنِي. فَمَا عَسَيْتُ أَنْ أَبْلُغَ بِالْوَحْدَةِ فِيكُمْ !

أَ لَسْتُمْ جَمِيعاً نُزُعاً إِلَى الدُّنْيَا وَ شَهَوَاتِهَا وَ لَذَّاتِهَا ؟ وَ لَا آمَنُ أَنْ أَخْلُدَ إِلَى[٤] الْحَالِ الَّتِي أَرْجُو أَنْ أَدَعَهَا وَ أَرْفِضَهَا. فَإِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ أَتَانِي الْمَوْتُ عَلَى غِرَّةٍ، فَأَنْزَلَنِي عَنْ سَرِيرِ مُلْكِي إِلَى بَطْنِ الْأَرْضِ، وَ كَسَانِي التُّرَابَ بَعْدَ الدِّيبَاجِ وَ الْمَنْسُوجِ بِالذَّهَبِ وَ نَفِيسِ الْجَوْهَرِ، وَ ضَمَّنِي إِلَى الضِّيقِ بَعْدَ السَّعَةِ، وَ أَلْبَسَنِي الْهَوَانَ بَعْدَ الْكَرَامَةِ، فَأَصِيرُ فَرِيداً

---

[١] في نسخة المجلسي بإضافة هذه العبارة: وإذا أردت فسادهم.

[٢] في نسخة المجلسي تصيب.

[٣] رفده = أعانه.

[٤] في نسخة المجلسي الدنيا.

بِنَفْسِي، لَيْسَ مَعِي أَحَدٌ مِنْكُمْ فِي الْوَحْدَةِ، قَدْ أَخْرَجْتُمُونِي مِنَ الْعُمْرَانِ، وَ أَسْلَمْتُمُونِي إِلَى الْخَرَابِ، وَ خَلَّيْتُمْ بَيْنَ لَحْمِي وَ بَيْنَ [1] سِبَاعِ الطَّيْرِ وَ حَشَرَاتِ الْأَرْضِ.

فَأَكَلَتْ مِنِّي النَّمْلَةُ فَمَا فَوْقَهَا مِنَ الْهَوَامِّ، وَ صَارَ جَسَدِي دُوداً وَ جِيفَةً قَذِرَةً، الذُّلُّ لِي حَلِيفٌ، وَ الْعِزُّ مِنِّي غَرِيبٌ، أَشَدُّكُمْ حُبّاً لِي أَسْرَعُكُمْ إِلَى دَفْنِي، وَ التَّخْلِيَةِ بَيْنِي وَ بَيْنَ مَا قَدَّمْتُ مِنْ عَمَلِي، وَ أَسْلَفْتُ مِنْ ذُنُوبِي.

فَيُورِثُنِي ذَلِكَ الْحَسْرَةَ، وَ يُعْقِبُنِي النَّدَامَةَ، وَ قَدْ كُنْتُمْ وَعَدْتُمُونِي أَنْ تَمْنَعُونِي مِنْ عَدُوِّي الضَّارِّ، فَإِذَا أَنْتُمْ لَا مَنْعَ عِنْدَكُمْ وَ لَا قُوَّةَ عَلَى ذَلِكَ لَكُمْ وَ لَا سَبِيلَ [2] ، أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي مُحْتَالٌ لِنَفْسِي إِذْ جِئْتُمْ بِالْخِدَاعِ، وَ نَصَبْتُمْ لِي شِرَاكَ الْغُرُور .

فَقَالُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَحْمُودُ لَسْنَا الَّذِي كُنَّا، كَمَا أَنَّكَ لَسْتَ الَّذِي كُنْتَ، وَ قَدْ أَبْدَلَنَا الَّذِي أَبْدَلَكَ، وَ غَيَّرَنَا الَّذِي غَيَّرَكَ، فَلَا تَرُدَّ عَلَيْنَا تَوْبَتَنَا وَ بَذْلَ نَصِيحَتِنَا.

قَالَ أَنَا مُقِيمٌ فِيكُمْ مَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ وَ مُفَارِقُكُمْ إِذَا خَالَفْتُمُوهُ.

فَأَقَامَ ذَلِكَ الْمَلِكُ فِي مُلْكِهِ، وَ أَخَذَ جُنُودُهُ بِسِيرَتِهِ، وَ اجْتَهَدُوا فِي الْعِبَادَةِ.

فَخَصَبَ بِلَادُهُمْ وَ غَلَبُوا عَدُوَّهُمْ وَ ازْدَادَ مُلْكُهُمْ، حَتَّى هَلَكَ ذَلِكَ الْمَلِكُ، وَ قَدْ صَارَ فِيهِمْ بِهَذِهِ السِّيرَةِ اثْنَتَيْنِ وَ ثَلَاثِينَ سَنَةً، وَ كَانَ [3] جَمِيعُ مَا عَاشَ أَرْبَعاً وَ سِتِّينَ سَنَةً.

---

[1] في نسخة المجلسي بدون بين.

[2] في نسخة المجلسي بإضافة لكم.

[3] في نسخة المجلسي فكان.

جمجمة الملوك

قَالَ يُوذَاسُفُ قَدْ سُرِرْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ جِدّاً، فَزِدْنِي مِنْ نَحْوِهِ أَزْدَدْ سُرُوراً وَ لِرَبِّي شُكْراً.

قَالَ الْحَكِيمُ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ مَلِكٌ مِنَ الْمُلُوكِ الصَّالِحِينَ، وَ كَانَ لَهُ جُنُودٌ يَخْشَوْنَ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ وَ يَعْبُدُونَهُ.

وَ كَانَ فِي مُلْكِ أَبِيهِ شِدَّةٌ مِنْ زَمَانِهِمْ، وَ التَّفَرُّقُ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَ يَنْتَقِصُ الْعَدُوُّ مِنْ بِلَادِهِمْ، وَ كَانَ يَحُثُّهُمْ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ خَشْيَتِهِ وَ الِاسْتِعَانَةِ بِهِ وَ مُرَاقَبَتِهِ وَ الْفَزَعِ إِلَيْهِ.

فَلَمَّا مَلَكَ ذَلِكَ الْمَلِكُ قَهَرَ عَدُوَّهُ، وَ اسْتَجْمَعَتْ رَعِيَّتُهُ، وَ صَلَحَتْ بِلَادُهُ، وَ انْتَظَمَ لَهُ الْمُلْكُ. فَلَمَّا رَأَى مَا فَضَّلَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِهِ أَتْرَفَهُ ذَلِكَ وَ أَبْطَرَهُ وَ أَطْغَاهُ، حَتَّى تَرَكَ عِبَادَةَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ، وَ كَفَرَ نِعَمَهُ، وَ أَسْرَعَ فِي قَتْلِ مَنْ عَبَدَ اللَّهَ.

وَ دَامَ مُلْكُهُ وَ طَالَتْ مُدَّتُهُ، حَتَّى ذَهَلَ النَّاسُ عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ قَبْلَ مُلْكِهِ وَ نشوه، وَ أَطَاعُوهُ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَ أَسْرَعُوا إِلَى الضَّلَالَةِ.

فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ، فَنَشَأَ فِيهِ الْأَوْلَادُ، وَ صَارَ لَا يُعْبَدُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ فِيهِمْ، وَ لَا يُذْكَرُ بَيْنَهُمْ اسْمُهُ، وَ لَا يَحْسَبُونَ أَنَّ لَهُمْ إِلَهاً غَيْرَ الْمَلِكِ.

وَ كَانَ ابْنُ الْمَلِكِ قَدْ عَاهَدَ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ إِنْ هُوَ مَلَكَ يَوْماً أَنْ يَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ بِأَمْرٍ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْمُلُوكِ يَعْمَلُونَ بِهِ وَ لَا يَسْتَطِيعُونَهُ.

فَلَمَّا مَلَكَ أَنْسَاهُ الْمُلْكُ رَأْيَهُ الْأَوَّلَ وَ نِيَّتَهُ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا، وَ سَكِرَ سُكْرَ صَاحِبِ الْخَمْرِ، فَلَمْ يَكُنْ يَصْحُو وَ يُفِيقُ.

وَ كَانَ مِنْ أَهْلِ لُطْفِ الْمَلِكِ رَجُلٌ صَالِحٌ أَفْضَلُ أَصْحَابِهِ مَنْزِلَةً عِنْدَهُ، فَتَوَجَّعَ لَهُ مِمَّا رَأَى مِنْ ضَلَالَتِهِ فِي دِينِهِ، وَ نِسْيَانِهِ مَا عَاهَدَ اللَّهَ عَلَيْهِ.

وَ كَانَ كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَعِظَهُ ذَكَرَ عُتُوَّهُ وَ جَبَرُوتَهُ. وَ لَمْ يَكُنْ بَقِيَ مِنْ تِلْكَ الْأُمَّةِ غَيْرُهُ وَ غَيْرُ رَجُلٍ آخَرَ فِي نَاحِيَةِ أَرْضِ الْمَلِكِ لَا يُعْرَفُ مَكَانُهُ، وَ لَا يُدْعَى بِاسْمِهِ.

فَدَخَلَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمَلِكِ بِجُمْجُمَةٍ قَدْ لَفَّهَا فِي ثِيَابِهِ. فَلَمَّا جَلَسَ عَنْ يَمِينِ الْمَلِكِ انْتَزَعَهَا عَنْ ثِيَابِهِ، فَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ [1] ، ثُمَّ وَطِئَهَا بِرِجْلِهِ. فَلَمْ يَزَلْ يَفْرُكُهَا [2] بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ وَ عَلَى بِسَاطِهِ، حَتَّى دَنِسَ مَجْلِسُ الْمَلِكِ بِمَا تَحَاتُّ [3] مِنْ تِلْكَ الْجُمْجُمَةِ.

فَلَمَّا رَأَى الْمَلِكُ مَا صَنَعَ غَضِبَ مِنْ ذَلِكَ غَضَباً شَدِيداً، وَ شَخَصَتْ إِلَيْهِ أَبْصَارُ جُلَسَائِهِ، وَ اسْتَعَدَّتِ الْحَرَسُ بِأَسْيَافِهِمْ انْتِظَاراً لِأَمْرِهِ إِيَّاهُمْ بِقَتْلِهِ، وَ الْمَلِكُ فِي ذَلِكَ مَالِكٌ لِغَضَبِهِ.

وَ قَدْ كَانَتِ الْمُلُوكُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ عَلَى جَبَرُوتِهِمْ وَ كُفْرِهِمْ ذَوِي أَنَاةٍ وَ تُؤَدَةٍ، اسْتِصْلَاحاً لِلرَّعِيَّةِ عَلَى عِمَارَةِ أَرْضِهِمْ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعْوَنَ لِلْجَلْبِ، وَ أَدَّى لِلْخَرَاجِ.

فَلَمْ يَزَلِ الْمَلِكُ سَاكِتاً عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى قَامَ مِنْ عِنْدِهِ ، فَلَفَّ تِلْكَ الْجُمْجُمَةَ [1] ، ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَ الثَّالِثِ.

---

[1] المجلسي لم يذكر هذه العبارة: فَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ.

[2] فرك الثوب: دلكه. فرك الشيء عن الثوب: أزاله و حكّه حتّى تفتّت.

[3] تحاتّ الورق من الشجر = تناثر. تساقط.

فَلَمَّا رَأَى أَنَّ الْمَلِكَ لَا يَسْأَلُهُ عَنْ تِلْكَ الْجُمْجُمَةِ، وَ لَا يَسْتَنْطِقُهُ عَنْ [٢] شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهَا، أَدْخَلَ مَعَ تِلْكَ الْجُمْجُمَةِ مِيزَاناً وَ قَلِيلًا مِنْ تُرَابٍ.

فَلَمَّا صَنَعَ بِالْجُمْجُمَةِ مَا كَانَ يَصْنَعُ، أَخَذَ الْمِيزَانَ وَ جَعَلَ فِي إِحْدَى كَفَّتَيْهِ دِرْهَماً وَ فِي الْأُخْرَى بِوَزْنِهِ تُرَاباً، ثُمَّ جَعَلَ ذَلِكَ التُّرَابَ فِي عَيْنِ تِلْكَ الْجُمْجُمَةِ، ثُمَّ أَخَذَ قَبْضَةً مِنَ التُّرَابِ فَوَضَعَهَا فِي مَوْضِعِ الْفَمِ مِنْ تِلْكَ الْجُمْجُمَةِ.

فَلَمَّا رَأَى الْمَلِكُ مَا صَنَعَ قَلَّ صَبْرُهُ وَ بَلَغَ مَجْهُودَهُ[٣] . فَقَالَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ إِنَّمَا اجْتَرَأْتَ عَلَى مَا صَنَعْتَ لِمَكَانِكَ مِنِّي وَ إِدْلَالِكَ عَلَيَّ وَ فَضْلِ مَنْزِلَتِكَ عِنْدِي، وَ لَعَلَّكَ تُرِيدُ بِمَا صَنَعْتَ أَمْراً.

فَخَرَّ الرَّجُلُ لِلْمَلِكِ سَاجِداً وَ قَبَّلَ قَدَمَيْهِ، وَ قَالَ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَقْبِلْ عَلَيَّ بِعَقْلِكَ كُلِّهِ، فَإِنَّ مَثَلَ الْكَلِمَةِ مَثَلُ السَّهْمِ، إِذَا رُمِيَ بِهِ فِي أَرْضٍ لَيِّنَةٍ ثَبَتَ [٤] فِيهَا، وَ إِذَا رُمِيَ بِهِ فِي الصَّفَا لَمْ يَثْبُتْ، وَ مَثَلُ الْكَلِمَةِ كَمَثَلِ الْمَطَرِ، إِذَا أَصَابَ أَرْضاً طَيِّبَةً مَزْرُوعَةً نَبَتَ [٥] فِيهَا، وَ إِذَا أَصَابَ السِّبَاخَ [٦] لَمْ يَنْبُتْ.

---

[١] في نسخة المجلسي بإضافة في ثوبه.

[٢] في نسخة المجلسي في.

[٣] بلغ جهده.

[٤] في نسخة المجلسي يثبت.

[٥] في نسخة المجلسي ينبته.

[٦] السباخ من الأرض = ما لم يحرث ولم يعمر.

وَ إِنَّ أَهْوَاءَ النَّاسِ مُتَفَرِّقَةٌ، وَ الْعَقْلُ وَ الْهَوَى يَصْطَرِعَانِ فِي الْقَلْبِ، فَإِنْ غَلَبَ هَوَى الْعَقْلَ عَمِلَ الرَّجُلُ بِالطَّيْشِ وَ السَّفَهِ، وَ إِنْ كَانَ الْهَوَى هُوَ الْمَغْلُوبُ، لَمْ يُوجَدْ فِي أَمْرِ الرَّجُلِ سَقْطَةٌ.

فَإِنِّي لَمْ أَزَلْ مُنْذُ كُنْتُ غُلَاماً أُحِبُّ الْعِلْمَ وَ أَرْغَبُ فِيهِ وَ أُوثِرُهُ عَلَى الْأُمُورِ كُلِّهَا، فَلَمْ أَدَعْ عِلْماً إِلَّا بَلَغْتُ مِنْهُ أَفْضَلَ مَبْلَغٍ.

فَبَيْنَا أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ أَطُوفُ بَيْنَ الْقُبُورِ، إِذْ قَدْ بَصُرْتُ بِهَذِهِ الْجُمْجُمَةِ بَارِزَةً مِنْ قُبُورِ الْمُلُوكِ، فَغَاظَنِي مَوْقِعُهَا وَ فِرَاقُهَا جَسَدَهَا، غَضَباً لِلْمُلُوكِ، فَضَمَمْتُهَا إِلَيَّ، وَ حَمَلْتُهَا إِلَى مَنْزِلِي، فَأَلْبَسْتُهَا الدِّيبَاجَ، وَ نَضَحْتُهَا [1] بِمَاءِ [2] الْوَرْدِ وَ الطِّيبِ، وَ وَضَعْتُهَا عَلَى الْفُرُشِ.

وَ قُلْتُ إِنْ كَانَتْ[3] مِنْ جَمَاجِمِ الْمُلُوكِ فَسَيُؤَثِّرُ فِيهَا إِكْرَامِي إِيَّاهَا، وَ تَرْجِعُ إِلَى جَمَالِهَا وَ بَهَائِهَا، وَ إِنْ كَانَتْ مِنْ جَمَاجِمِ الْمَسَاكِينِ، فَإِنَّ الْكَرَامَةَ لَا تَزِيدُهَا شَيْئاً، فَفَعَلْتُ ذَلِكَ بِهَا أَيَّاماً، فَلَمْ أَسْتَنْكِرْ [4] مِنْ هَيْئَتِهَا شَيْئاً، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ دَعَوْتُ عَبْداً هُوَ أَهْوَنُ عَبِيدِي عِنْدِي فَأَهَانَهَا، فَإِذَا هِيَ عَلَى [5] حَالَةٍ وَاحِدَةٍ عِنْدَ الْإِهَانَةِ وَ الْإِكْرَامِ.

---

[1] نضحه بماء الورد = رشّه.

[2] في نسخة المجلسي بالماء.

[3] في نسخة المجلسي إن كان.

[4] استنكر أمرًا يجهله = استفهمه.

[5] في نسخة المجلسي في.

فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ أَتَيْتُ الْحُكَمَاءَ فَسَأَلْتُهُمْ عَنْهَا، فَلَمْ أَجِدْ عِنْدَهُمْ عِلْماً بِهَا، ثُمَّ عَلِمْتُ أَنَّ الْمَلِكَ مُنْتَهَى الْعِلْمِ وَ مَأْوَى الْحِلْمِ، فَأَتَيْتُكَ خَائِفاً عَلَى نَفْسِي، وَ لَمْ [1] يَكُنْ لِي أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى تَبْدَأَنِي بِهِ.

وَ أُحِبُّ أَنْ تُخْبِرَنِي أَيُّهَا الْمَلِكُ أَ جُمْجُمَةُ مَلِكٍ هِيَ [2] أَمْ جُمْجُمَةُ مِسْكِينٍ، فَإِنَّهَا لَمَّا أَعْيَانِي أَمْرُهَا، تَفَكَّرْتُ فِي أَمْرِهَا، وَ فِي عَيْنِهَا الَّتِي كَانَتْ لَا يَمْلَؤُهَا شَيْءٌ حَتَّى لَوْ قَدَرَتْ عَلَى مَا دُونَ السَّمَاءِ مِنْ شَيْءٍ تَطَلَّعَتْ إِلَى أَنْ تَتَنَاوَلَ مَا فَوْقَ السَّمَاءِ، فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ مَا الَّذِي يَسُدُّهَا وَ يَمْلَؤُهَا فَإِذَا وَزْنُ دِرْهَمٍ مِنْ تُرَابٍ قَدْ سَدَّهَا وَ مَلَأَهَا. وَ نَظَرْتُ إِلَى فِيهَا الَّذِي لَمْ يَكُنْ يَمْلَؤُهُ شَيْءٌ فَمَلَأَتْهُ قَبْضَةٌ مِنْ تُرَابٍ.

فَإِنْ أَخْبَرْتَنِي أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّهَا جُمْجُمَةُ مِسْكِينٍ، احْتَجَجْتُ عَلَيْكَ بِأَنِّي قَدْ وَجَدْتُهَا وَسْطَ قُبُورِ الْمُلُوكِ، ثُمَّ اجْمَعْ جَمَاجِمَ مُلُوكٍ وَ جَمَاجِمَ مَسَاكِينَ، فَإِنْ كَانَ لِجَمَاجِمِكُمْ عَلَيْهَا فَضْلٌ فَهُوَ كَمَا قُلْتَ، وَ إِنْ أَخْبَرْتَنِي بِأَنَّهَا مِنْ جَمَاجِمِ الْمُلُوكِ، أَنْبَأْتُكَ أَنَّ ذَلِكَ الْمَلِكَ الَّذِي كَانَتْ هَذِهِ جُمْجُمَتَهُ قَدْ كَانَ مِنْ بَهَاءِ الْمَلِكِ وَ جَمَالِهِ وَ عِزَّتِهِ فِي مِثْلِ مَا أَنْتَ فِيهِ الْيَوْمَ.

فَحَاشَاكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنْ تَصِيرَ إِلَى حَالِ هَذِهِ الْجُمْجُمَةِ، فَتُوطَأَ بِالْأَقْدَامِ، وَ تُخْلَطَ بِالتُّرَابِ، وَ يَأْكُلَكَ الدُّودُ، وَ تُصْبِحَ بَعْدَ الْكَثْرَةِ قَلِيلًا، وَ بَعْدَ الْعِزَّةِ ذَلِيلًا، وَ تَسَعَكَ حُفْرَةٌ طُولُهَا أَدْنَى مِنْ أَرْبَعَةِ أَذْرُعٍ، وَ يُورَثَ مُلْكُكَ، وَ يَنْقَطِعَ ذِكْرُكَ [3] ، وَ يَفْسُدَ صَنَائِعُكَ، وَ يُهَانَ مَنْ أَكْرَمْتَ، وَ يُكْرَمَ مَنْ أَهَنْتَ، وَ تَسْتَبْشِرَ أَعْدَاؤُكَ، وَ يَضِلَّ أَعْوَانُكَ، وَ يَحُولَ

[1] في نسخة المجلسي فلم.
[2] في نسخة المجلسي حذفت هي.
[3] في نسخة المجلسي خبرك.

التُّرَابُ دُونَكَ، فَإِنْ دَعَوْنَاكَ لَمْ تَسْمَعْ، وَ إِنْ أَكْرَمْنَاكَ لَمْ تَقْبَلْ، وَ إِنْ أَهَنَّاكَ لَمْ تَغْضَبْ، فَيَصِيرَ بَنُوكَ يَتَامَى وَ نِسَاؤُكَ أَيَامَى [١] ، وَ أَهْلُكَ يُوشِكُ أَنْ يَسْتَبْدِلْنَ أَزْوَاجاً غَيْرَكَ.

فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ ذَلِكَ فَزِعَ قَلْبُهُ، وَ انْسَكَبَتْ عَيْنَاهُ، يَبْكِي وَ يَعُولُ [٢] ، وَ يَدْعُو بِالْوَيْلِ. فَلَمَّا رَأَى الرَّجُلُ ذَلِكَ عَلِمَ أَنَّ قَوْلَهُ قَدِ اسْتَمْكَنَ مِنَ الْمَلِكِ، وَ قَوْلَهُ قَدْ أَنْجَعَ فِيهِ، زَادَهُ ذَلِكَ جُرْأَةً عَلَيْهِ وَ تَكْرِيراً لِمَا قَالَ.

فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ جَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي خَيْراً، وَ جَزَى مَنْ حَوْلِي مِنَ الْعُظَمَاءِ شَرّاً.

لَعَمْرِي لَقَدْ عَلِمْتُ مَا أَرَدْتَ بِمَقَالَتِكَ هَذِهِ، وَ قَدْ أَبْصَرْتُ أَمْرِي.

فَسَمِعَ النَّاسُ خَبَرَهُ، فَتَوَجَّهُوا أَهْلُ الْفَضْلِ نَحْوَهُ، وَ خُتِمَ لَهُ بِالْخَيْرِ، وَ بَقِيَ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ فَارَقَ الدُّنْيَا.

---

[١] أي لا زوج لهن.

[٢] في نسخة المجلسي ويقول.

معادكم تجفون وتهرمون ثم تموتون

قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ زِدْنِي مِنْ هَذَا الْمَثَلِ.

قَالَ الْحَكِيمُ زَعَمُوا أَنَّ مَلِكاً كَانَ فِي أَوَّلِ الزَّمَانِ، وَ كَانَ حَرِيصاً عَلَى أَنْ يُولَدَ لَهُ، وَ كَانَ لَا يَدَعُ شَيْئاً مِمَّا يُعَالِجُ بِهِ النَّاسُ أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَتَاهُ وَ صَنَعَهُ.

فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ [1] مِنْ أَمْرِهِ، حَمَلَتْ امْرَأَةٌ لَهُ مِنْ نِسَائِهِ، فَوَلَدَتْ لَهُ غُلَاماً، فَلَمَّا نَشَأَ وَ تَرَعْرَع خَطَا ذَاتَ يَوْمٍ خُطْوَةً فَقَالَ: مَعَادُكُمْ تَجْفُونَ، ثُمَّ خَطَا أُخْرَى فَقَالَ: تَهْرَمُونَ، ثُمَّ خَطَا الثَّالِثَةَ فَقَالَ: ثُمَّ تَمُوتُونَ، ثُمَّ عَادَ كَهَيْئَتِهِ يَفْعَلُ كَمَا يَفْعَلُ الصَّبِيُّ.

فَدَعَا الْمَلِكُ الْعُلَمَاءَ وَ الْمُنَجِّمِينَ، فَقَالَ أَخْبِرُونِي خَبَرَ ابْنِي هَذَا، فَنَظَرُوا فِي شَأْنِهِ وَ أَمْرِهِ، فَأَعْيَاهُمْ أَمْرُهُ، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ فِيهِ عِلْمٌ.

فَلَمَّا رَأَى الْمَلِكُ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُمْ فِيهِ عِلْمٌ، دَفَعَهُ إِلَى الْمُرْضِعَاتِ فَأَخَذْنَ فِي إِرْضَاعِهِ، إِلَّا أَنَّ مُنَجِّماً مِنْهُمْ قَالَ إِنَّهُ سَيَكُونُ إِمَاماً، وَ جَعَلَ عَلَيْهِ حُرَّاساً لَا يُفَارِقُونَهُ، حَتَّى إِذَا شَبَّ انْسَلَّ يَوْماً مِنْ عِنْدِ مُرْضِعِيهِ وَ الْحَرَسِ، فَأَتَى السُّوقَ فَإِذَا هُوَ بِجَنَازَةٍ فَقَالَ مَا هَذَا؟

قَالُوا إِنْسَاناً مَاتَ.

قَالَ مَا أَمَاتَهُ؟

قَالُوا كَبُرَ وَ فَنِيَتْ أَيَّامُهُ وَ دَنَا أَجَلُهُ فَمَاتَ.

---

[1] في نسخة المجلسي بإضافة عليه.

قَالَ وَ كَانَ صَحِيحاً حَيّاً يَمْشِي وَ يَأْكُلُ وَ يَشْرَبُ !

قَالُوا نَعَمْ.

ثُمَّ مَضَى فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ شَيْخٍ كَبِيرٍ، فَقَامَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ مُتَعَجِّباً مِنْهُ، فَقَالَ مَا هَذَا ؟

قَالُوا رَجُلٌ شَيْخٌ كَبِيرٌ قَدْ فَنِيَ شَبَابُهُ وَ كَبِرَ.

قَالَ وَ كَانَ صَغِيراً ثُمَّ شَابَ !

قَالُوا نَعَمْ.

ثُمَّ مَضَى فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مَرِيضٍ مُسْتَلْقٍ عَلَى ظَهْرِهِ، فَقَامَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَ يَتَعَجَّبُ مِنْهُ فَسَأَلَهُمْ مَا هَذَا ؟

قَالُوا رَجُلٌ مَرِيضٌ.

فَقَالَ أَ وَ كَانَ هَذَا صَحِيحاً ثُمَّ مَرِضَ ؟

قَالُوا نَعَمْ.

قَالَ وَ اللهِ لَئِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنَّ النَّاسَ لَمَجْنُونُونَ.

فَافْتَقَدَ الْغُلَامُ عِنْدَ ذَلِكَ فَطُلِبَ، فَإِذَا هُوَ بِالسُّوقِ، فَأَتَوْهُ فَأَخَذُوهُ وَ ذَهَبُوا بِهِ فَأَدْخَلُوهُ الْبَيْتَ، فَلَمَّا دَخَلَ الْبَيْتَ اسْتَلْقَى عَلَى قَفَاهُ، يَنْظُرُ إِلَى خَشَبِ سَقْفِ الْبَيْتِ، وَ يَقُولُ كَيْفَ كَانَ هَذَا ؟

قَالُوا كَانَتْ شَجَرَةً، ثُمَّ صَارَتْ خَشَباً، ثُمَّ قُطِعَ ، ثُمَّ بُنِيَ هَذَا الْبَيْتُ، ثُمَ جُعِلَ هَذَا الْخَشَبُ عَلَيْهِ.

فَبَيْنَا هُوَ فِي كَلَامِهِ إِذْ أَرْسَلَ الْمَلِكُ إِلَى الْمُوَكَّلِينَ بِهِ، انْظُرُوا هَلْ يَتَكَلَّمُ أَوْ يَقُولُ شَيْئاً؟

قَالُوا نَعَمْ وَ قَدْ وَقَعَ فِي كَلَامٍ مَا نَظُنُّهُ إِلَّا وَسْوَاساً.

فَلَمَّا رَأَى الْمَلِكُ ذَلِكَ، وَ سَمِعَ جَمِيعَ مَا لَفَظَ بِهِ الْغُلَامُ، دَعَا الْعُلَمَاءَ فَسَأَلَهُمْ، فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ عِنْدَهُمْ عِلْماً، إِلَّا الرَّجُلَ الْأَوَّلَ فَأَنْكَرَ قَوْلَهُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ لَوْ زَوَّجْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي تَرَى، وَ أَقْبَلَ وَ عَقَلَ وَ أَبْصَرَ.

فَبَعَثَ الْمَلِكُ فِي الْأَرْضِ يَطْلُبُ وَ يَلْتَمِسُ لَهُ امْرَأَةً، فَوُجِدَتْ لَهُ امْرَأَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَ أَجْمَلِهِمْ، فَزَوَّجَهَا مِنْهُ، فَلَمَّا أَخَذُوا فِي وَلِيمَةِ عُرْسِهِ، أَخَذَ اللَّاعِبُونَ يَلْعَبُونَ وَ الزَّمَّارُونَ يُزَمِّرُونَ.

فَلَمَّا سَمِعَ الْغُلَامُ جَلَبَتَهُمْ [1] وَ أَصْوَاتَهُمْ قَالَ مَا هَذَا ؟

قَالُوا هَؤُلَاءِ لَعَّابُونَ وَ زَمَّارُونَ جُمِعُوا لِعُرْسِكَ.

فَسَكَتَ الْغُلَامُ، فَلَمَّا فَرَغُوا مِنَ الْعُرْسِ وَ أَمْسَوْا، دَعَا الْمَلِكُ امْرَأَةَ ابْنِهِ فَقَالَ لَهَا، إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِي وَلَدٌ غَيْرُ هَذَا الْغُلَامِ، فَإِذَا [2] دَخَلْتِ عَلَيْهِ فَالْطُفِي بِهِ، وَ اقْرُبِي مِنْهُ، وَ تَحَبَّبِي إِلَيْهِ.

فَلَمَّا دَخَلَتِ الْمَرْأَةُ عَلَيْهِ، أَخَذَتْ تَدْنُو مِنْهُ وَ تَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ.

---

[1] جلب القوم: ضجّوا و اختلطت أصواتهم. و الجلّاب و المجلّب- بشد اللام-: المصوّت.

[2] في نسخة المجلسي فلمّا.

فَقَالَ الْغُلَامُ عَلَى رِسْلِكِ[1] ، فَإِنَّ اللَّيْلَ طَوِيلٌ ، بَارَكَ اللّٰهُ فِيكِ، وَ اصْبِرِي حَتَّى نَأْكُلَ وَ نَشْرَبَ، فَدَعَا بِالطَّعَامِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ ، فَلَمَّا فَرَغَ جَعَلَتِ الْمَرْأَةُ تَشْرَبُ، فَلَمَّا أُخِذَ الشَّرَابُ مِنْهَا نَامَتْ.

فَقَامَ الْغُلَامُ فَخَرَجَ مِنَ الْبَيْتِ، وَ انْسَلَّ مِنَ الْحَرَسِ وَ الْبَوَّابِينَ، حَتَّى خَرَجَ وَ تَرَدَّدَ فِي الْمَدِينَةِ ، فَلَقِيَهُ غُلَامٌ مِثْلُهُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَاتَّبَعَهُ، وَ أَلْقَى ابْنُ الْمَلِكِ عَنْهُ تِلْكَ الثِّيَابَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِ، وَ لَبِسَ ثِيَابَ الْغُلَامِ ، وَ تَنَكَّرَ [2] جُهْدَهُ، وَ خَرَجَا جَمِيعاً مِنَ الْمَدِينَةِ.

فَسَارَا لَيْلَتَهُمَا، حَتَّى إِذَا قَرُبَ الصُّبْحُ، خَشِيَا الطَّلَبَ فَكَمَنَا.

فَأُتِيَتِ الْجَارِيَةُ عِنْدَ الصُّبْحِ، فَوَجَدُوهَا نَائِمَةً ، فَسَأَلُوهَا أَيْنَ زَوْجُكِ ؟

قَالَتْ كَانَ عِنْدِي السَّاعَةَ. فَطُلِبَ الْغُلَامُ فَلَمْ يُقْدَرْ عَلَيْهِ.

فَلَمَّا أَمْسَى الْغُلَامُ وَ صَاحِبُهُ سَارَا، ثُمَّ جَعَلَا يَسِيرَانِ اللَّيْلَ وَ يَكْمُنَانِ النَّهَارَ، حَتَّى خَرَجَا مِنْ سُلْطَانِ أَبِيهِ، وَ وَقَعَا فِي مُلْكِ سُلْطَانٍ آخَرَ.

وَ قَدْ كَانَ لِذَلِكَ الْمَلِكِ الَّذِي صَارَا إِلَى سُلْطَانِهِ ابْنَةٌ، قَدْ جَعَلَ لَهَا أَنْ لَا يُزَوِّجَهَا أَحَداً إِلَّا مَنْ هَوِيَتْهُ[3] وَ رَضِيَتْهُ، وَ بَنَى لَهَا غُرْفَةً عَالِيَةً مُشْرِفَةً عَلَى الطَّرِيقِ، فَهِيَ فِيهَا جَالِسَةٌ، تَنْظُرُ إِلَى كُلِّ مَنْ أَقْبَلَ وَ أَدْبَرَ.

فَبَيْنَمَا هِيَ كَذَلِكَ، إِذْ نَظَرَتْ إِلَى الْغُلَامِ يَطُوفُ فِي السُّوقِ وَ صَاحِبُهُ مَعَهُ فِي خُلْقَانِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى أَبِيهَا إِنِّي قَدْ هَوِيتُ رَجُلًا، فَإِنْ كُنْتَ مُزَوِّجِي أَحَداً مِنَ النَّاسِ فَزَوِّجْنِي مِنْهُ.

---

[1] أي على مهلك.

[2] تنكّر = تغيّر عن حاله حتى ينكر.

[3] في نسخة المجلسي هوته.

وَ أُتِيَتْ أُمُّ الْجَارِيَةِ فَقِيلَ لَهَا إِنَّ ابْنَتَكَ قَدْ هَوِيَتْ رَجُلًا، وَ هِيَ تَقُولُ كَذَا وَ كَذَا، فَأَقْبَلَتْ إِلَيْهَا فَرِحَةً، حَتَّى تَنْظُرَ إِلَى الْغُلَامِ، فَأَرَوْهَا إِيَّاهُ، فَنَزَلَتْ أُمُّهَا مُسْرِعَةً، حَتَّى دَخَلَتْ عَلَى الْمَلِكِ، فَقَالَتْ إِنَّ ابْنَتَكَ قَدْ هَوِيَتْ رَجُلًا [1].

فَأَقْبَلَ الْمَلِكُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ أَرُونِيهِ، فَأَرَوْهُ مِنْ بُعْدٍ، فَأَمَرَ أَنْ يُلْبَسَ ثِيَاباً أُخْرَى، وَ نَزَلَ فَسَأَلَهُ وَ اسْتَنْطَقَهُ، وَ قَالَ مَنْ أَنْتَ وَ مِنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟

قَالَ الْغُلَامُ وَ مَا سُؤَالُكَ عَنِّي ؟ أَنَا رَجُلٌ مِنْ مَسَاكِينِ النَّاسِ.

فَقَالَ إِنَّكَ لَغَرِيبٌ، وَ مَا يُشْبِهُ لَوْنُكَ أَلْوَانَ أَهْلِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ.

فَقَالَ الْغُلَامُ مَا أَنَا بِغَرِيبٍ.

فَعَالَجَهُ الْمَلِكُ أَنْ يَصْدُقَهُ قِصَّتَهُ فَأَبَى. فَأَمَرَ الْمَلِكُ أُنَاساً أَنْ يَحْرُسُوهُ وَ يَنْظُرُوا أَيْنَ يَأْخُذُ وَ لَا يَعْلَمُ بِهِمْ، ثُمَّ رَجَعَ الْمَلِكُ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ رَأَيْتُ رَجُلًا كَأَنَّهُ ابْنُ مَلِكٍ، وَ مَا لَهُ حَاجَةٌ فِيمَا تُرَاوِدُونَهُ عَلَيْهِ.

فَبَعَثَ إِلَيْهِ، فَقِيلَ لَهُ إِنَّ الْمَلِكَ يَدْعُوكَ، فَقَالَ الْغُلَامُ وَ مَا أَنَا وَ الْمَلِكُ يَدْعُونِّي، وَ مَا لِي إِلَيْهِ حَاجَةٌ وَ مَا يَدْرِي مَنْ أَنَا.

فَانْطُلِقَ بِهِ عَلَى كُرْهٍ مِنْهُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ، فَأَمَرَ بِكُرْسِيٍّ فَوُضِعَ لَهُ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ، وَ دَعَا الْمَلِكُ امْرَأَتَهُ وَ ابْنَتَهُ فَأَجْلَسَهُمَا مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ خَلْفَهُ.

فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ دَعَوْتُكَ لِخَيْرٍ، إِنَّ لِي ابْنَةً قَدْ رَغِبَتْ فِيكَ، أُرِيدُ أَنْ أُزَوِّجَهَا مِنْكَ، فَإِنْ كُنْتَ مِسْكِيناً فَأَغْنَيْنَاكَ [1] ، وَ رَفَعْنَاكَ وَ شَرَّفْنَاكَ.

---

[1] في نسخة المجلسي غلامًا.

(1) في نسخة المجلسي أغنيناك.

هل يرجع العاقل إلى جيفة !

قَالَ الْغُلَامُ مَا لِي فِيمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ حَاجَةٌ، فَإِنْ شِئْتَ ضَرَبْتُ لَكَ مَثَلًا أَيُّهَا الْمَلِكُ.

قَالَ فَافْعَلْ.

قَالَ الْغُلَامُ زَعَمُوا أَنَّ مَلِكاً مِنَ الْمُلُوكِ، كَانَ لَهُ ابْنٌ، وَ كَانَ لِابْنِهِ أَصْدِقَاءُ صَنَعُوا لَهُ طَعَاماً وَ دَعَوْهُ إِلَيْهِ، فَخَرَجَ مَعَهُمْ فَأَكَلُوا وَ شَرِبُوا حَتَّى سَكِرُوا فَنَامُوا.

فَاسْتَيْقَظَ ابْنُ الْمَلِكِ فِي وَسَطِ اللَّيْلِ، فَذَكَرَ أَهْلَهُ فَخَرَجَ [1] عَامِداً [2] إِلَى مَنْزِلِهِ، وَ لَمْ يُوقِظْ أَحَداً مِنْهُمْ.

فَبَيْنَا هُوَ فِي مَسِيرِهِ، إِذْ بَلَغَ مِنْهُ الشَّرَابُ، فَبَصُرَ بِقَبْرٍ عَلَى الطَّرِيقِ، فَظَنَّ أَنَّهُ مَدْخَلُ بَيْتِهِ فَدَخَلَهُ، فَإِذَا هُوَ بِرِيحِ الْمَوْتَى، فَحَسِبَ ذَلِكَ لِمَا كَانَ بِهِ السُّكْرُ أَنَّهُ رِيَاحٌ طَيِّبَةٌ، فَإِذَا هُوَ بِعِظَامٍ لَا يَحْسَبُهَا إِلَّا فُرُشَهُ الْمُمَهَّدَةَ، فَإِذَا هُوَ بِجَسَدٍ قَدْ مَاتَ حَدِيثاً وَ قَدْ أَرْوَحَ[3] ، فَحَسِبَهُ أَهْلَهُ، فَقَامَ إِلَى جَانِبِهِ فَاعْتَنَقَهُ وَ قَبَّلَهُ وَ جَعَلَ يَعْبَثُ بِهِ عَامَّةَ لَيْلِهِ.

فَأَفَاقَ حِينَ أَفَاقَ، وَ نَظَرَ حِينَ نَظَرَ، فَإِذَا هُوَ عَلَى جَسَدٍ مَيِّتٍ، وَ رِيحٍ مُنْتِنَةٍ، قَدْ دَنِسَ ثِيَابُهُ وَ جِلْدُهُ، وَ نَظَرَ إِلَى الْقَبْرِ وَ مَا فِيهِ مِنَ الْمَوْتَى، فَخَرَجَ وَ بِهِ مِنَ السُّوءِ، مَا يَخْتَفِي بِهِ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَيْهِ، مُتَوَجِّهاً إِلَى بَابِ الْمَدِينَةِ، فَوَجَدَهُ مَفْتُوحاً فَدَخَلَهُ، حَتَّى أَتَى

---

[1] عمد إلى منزله = قصده.

[2] في نسخة المجلسي عائدًا.

[3] أروح الشيء = وجد ريحه.

أَهْلَهُ، فَرَأَى أَنَّهُ قَدْ أُنْعِمَ عَلَيْهِ حَيْثُ لَمْ يَلْقَهُ أَحَدٌ، فَأَلْقَى عَنْهُ ثِيَابَهُ تِلْكَ وَ اغْتَسَلَ وَ لَبِسَ لِبَاساً أُخْرَى وَ تَطَيَّبَ.

عَمَّرَكَ اللهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ، أَ تَرَاهُ رَاجِعاً إِلَى مَا كَانَ فِيهِ وَ هُوَ يَسْتَطِيعُ ؟

قَالَ لَا .

قَالَ فَإِنِّي أَنَا هُوَ.

أفاعي في جوف ذهب مختوم

فَالْتَفَتَ الْمَلِكُ إِلَى امْرَأَتِهِ وَ ابْنَتِهِ، وَ قَالَ لَهُمَا قَدْ أَخْبَرْتُكُمَا[١] أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ فِيمَا تَدْعُونَهُ رَغْبَةٌ.

قَالَتْ أُمُّهَا، لَقَدْ قَصَّرْتَ فِي النَّعْتِ لِابْنَتِي، وَ الْوَصْفِ لَهَا أَيُّهَا الْمَلِكُ، وَ لكِنِّي خَارِجَةٌ إِلَيْهِ وَ مُكَلِّمَةٌ لَهُ[٢] .

فَقَالَ الْمَلِكُ لِلْغُلَامِ، إِنَّ امْرَأَتِي تُرِيدُ أَنْ تُكَلِّمَكَ، وَ تَخْرُجَ إِلَيْكَ، وَ لَمْ تَخْرُجْ إِلَى أَحَدٍ قَبْلَكَ.

فَقَالَ الْغُلَامُ لِتَخْرُجْ إِنْ أَحَبَّتْ فَخَرَجَتْ وَ جَلَسَتْ فَقَالَتْ لِلْغُلَامِ، تَعَالِ إِلَى مَا قَدْ سَاقَ اللَّهُ إِلَيْكَ مِنَ الْخَيْرِ وَ الرِّزْقِ، فَأُزَوِّجَكَ ابْنَتِي، فَإِنَّكَ لَوْ قَدْ رَأَيْتَهَا وَ مَا قَسَمَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ لَهَا مِنَ الْجَمَالِ وَ الْهَيْئَةِ لَاغْتَبَطْتَ.

فَنَظَرَ الْغُلَامُ إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ أَ فَلَا أَضْرِبُ لَكَ مَثَلًا قَالَ بَلَى.

قَالَ إِنَّ سُرَّاقاً تَوَاعَدُوا أَنْ يَدْخُلُوا خِزَانَةَ الْمَلِكِ لِيَسْرِقُوا، فَنَقَبُوا حَائِطَ الْخِزَانَةِ فَدَخَلُوهَا، فَنَظَرُوا إِلَى مَتَاعٍ لَمْ يَرَوْا مِثْلَهُ قَطُّ، وَ إِذَا هُمْ بِقُلَّةٍ [٣] مِنْ ذَهَبٍ مَخْتُومَةٍ بِالذَّهَبِ، فَقَالُوا لَا نَجِدُ شَيْئاً أَعْلَى مِنْ هَذِهِ الْقُلَّةِ، هِيَ ذَهَبٌ مَخْتُومَةٌ بِالذَّهَبِ، وَ الَّذِي فِيهَا أَفْضَلُ مِنَ

---

[١] في نسخة المجلسي هذه العبارة: وقال قد أخبرتكم.

[٢] في نسخة المجلسي ومتكلّمة من دون له.

[٣] القلّة = الجرّة العظيمة أو الكوز الصغير.

الَّذِي رَأَيْنا، فَاحْتَمَلُوهَا وَ مَضَوْا بِهَا حَتَّى دَخَلُوا غَيْضَةً[1] ، لَا يَأْمَنُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً عَلَيْهَا، فَفَتَحُوهَا فَإِذَا فِي وَسَطِهَا أَفَاعٍ، فَوَثَبْنَ فِي وُجُوهِهِمْ فَقَتَلَتْهُمْ أَجْمَعِينَ.

عَمَّرَكَ اللهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ، أَ فَتَرَى أَحَداً عَلِمَ بِمَا أَصَابَهُمْ وَ مَا لَقُوهُ، يُدْخِلُ يَدَهُ فِي تِلْكَ الْقُلَّةِ، وَ فِيهَا مِنْ الْأَفَاعِي ؟

قَالَ لَا.

قَالَ فَإِنِّي أَنَا هُوَ.

[1] الغيضة = الأجمة. مجتمع الشجر في مغيض الماء.

ابن الملك الذي يرمى بالحجارة

فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ لِأَبِيهَا، ائْذَنْ لِي فَأَخْرُجَ إِلَيْهِ بِنَفْسِي وَ أُكَلِّمَهُ، فَإِنَّهُ لَوْ قَدْ نَظَرَ إِلَيَّ وَ إِلَى جَمَالِي وَ حُسْنِي وَ هَيْئَتِي، وَ مَا قَسَمَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ لِي مِنَ الْجَمَالِ، لَمْ يَتَمَالَكْ أَنْ يُجِيبَ.

فَقَالَ الْمَلِكُ لِلْغُلَامِ، إِنَّ ابْنَتِي تُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْكَ، وَ لَمْ تَخْرُجْ إِلَى رَجُلٍ قَطُّ.

قَالَ لِتَخْرُجْ إِنْ أَحَبَّتْ.

فَخَرَجَتْ عَلَيْهِ وَ هِيَ أَحْسَنُ النَّاسِ وَجْهاً وَ قَدّاً وَ طَرَفاً وَ هَيْكَلًا، فَسَلَّمَتْ عَلَى الْغُلَامِ، وَ قَالَتْ لِلْغُلَامِ هَلْ رَأَيْتَ مِثْلِي قَطُّ أَوْ أَتَمَّ أَوْ أَجْمَلَ أَوْ أَكْمَلَ أَوْ أَحْسَنَ، وَ قَدْ هَوِيتُكَ وَ أَحْبَبْتُكَ.

فَنَظَرَ الْغُلَامُ إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ أَ فَلَا أَضْرِبُ لَهَا مَثَلًا ؟

قَالَ بَلَى.

قَالَ الْغُلَامُ زَعَمُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّ مَلِكاً لَهُ ابْنَانِ، فَأَسَرَ أَحَدَهُمَا مَلِكٌ آخَرُ، فَحَبَسَهُ فِي بَيْتٍ، وَ أَمَرَ أَنْ لَا يَمُرَّ عَلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا رَمَاهُ بِحَجَرٍ.

فَمَكَثَ عَلَى ذَلِكَ[1] حِيناً، ثُمَّ إِنَّ أَخَاهُ قَالَ لِأَبِيهِ ائْذَنْ لِي فَأَنْطَلِقَ إِلَى أَخِي فَأَفْدِيَهُ وَ أَحْتَالَ لَهُ ، قَالَ الْمَلِكُ [2] فَانْطَلِقْ وَ خُذْ مَعَكَ مَا شِئْتَ مِنْ مَالٍ وَ مَتَاعٍ وَ دَوَابَّ.

---

[1] في نسخة المجلسي بذلك.

[2] في نسخة المجلسي من دون الملك.

فَاحْتَمَلَ مَعَهُ الزَّادَ وَ الرَّاحِلَةَ، وَ انْطَلَقَ مَعَهُ الْمُغَنِّيَاتُ وَ النَّوَائِحُ، فَلَمَّا دَنَا مِنْ مَدِينَةِ ذَلِكَ الْمَلِكِ، أُخْبِرَ الْمَلِكُ بِقُدُومِهِ، فَأَمَرَ النَّاسَ بِالْخُرُوجِ إِلَيْهِ، وَ أَمَرَ لَهُ بِمَنْزِلٍ خَارِجٍ مِنَ الْمَدِينَةِ.

فَنَزَلَ الْغُلَامُ فِي ذَلِكَ الْمَنْزِلِ، فَلَمَّا جَلَسَ فِيهِ وَ نَشَرَ مَتَاعَهُ، وَ أَمَرَ غِلْمَانَهُ أَنْ يَبِيعُوا النَّاسَ وَ يُسَاهِلُوهُمْ فِي بَيْعِهِمْ وَ يُسَامِحُوهُمْ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ.

فَلَمَّا رَأَى النَّاسَ قَدْ شُغِلُوا بِالْبَيْعِ، انْسَلَّ وَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ، وَ قَدْ عَلِمَ أَيْنَ سِجْنُ أَخِيهِ، ثُمَّ أَتَى السِّجْنَ، فَأَخَذَ حَصَاةً فَرَمَى بِهَا، لِيَنْظُرَ مَا بَقِيَ مِنْ نَفَسِ أَخِيهِ.

فَصَاحَ حِينَ أَصَابَتْهُ الْحَصَاةُ وَ قَالَ قَتَلْتَنِي.

فَفَزِعَ الْحَرَسُ عِنْدَ ذَلِكَ وَ خَرَجُوا إِلَيْهِ وَ سَأَلُوهُ، لِمَ صِحْتَ وَ مَا شَأْنُكَ وَ مَا بَدَا لَكَ وَ مَا رَأَيْنَاكَ تَكَلَّمْتَ وَ نَحْنُ نُعَذِّبُكَ مُنْذُ حِينٍ، وَ يَضْرِبُكَ وَ يَرْمِيكَ كُلُّ مَنْ يَمُرُّ بِكَ بِحَجَرٍ، وَ رَمَاكَ هَذَا الرَّجُلُ بِحَصَاةٍ فَصِحْتَ مِنْهَا ؟

فَقَالَ إِنَّ النَّاسَ كَانُوا مِنْ أَمْرِي عَلَى جَهَالَةٍ، وَ رَمَانِي هَذَا عَلَى عِلْمٍ.

فَانْصَرَفَ أَخُوهُ رَاجِعاً إِلَى مَنْزِلِهِ وَ مَتَاعِهِ، وَ قَالَ لِلنَّاسِ إِذَا كَانَ غَداً فَأْتُونِي أَنْشُرْ عَلَيْكُمْ بَزّاً [1] وَ مَتَاعاً لَمْ تَرَوْا مِثْلَهُ قَطُّ.

فَانْصَرَفُوا يَوْمَئِذٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ غَدَوْا عَلَيْهِ بِأَجْمَعِهِمْ، فَأَمَرَ بِالْبَزِّ فَنُشِرُوا، وَ أَمَرَ بِالْمُغَنِّيَاتِ وَ النَّائِحَاتِ وَ كُلِّ صِنْفٍ مَعَهُ مِمَّا يُلْهَى بِهِ النَّاسُ، فَأَخَذُوا فِي شَأْنِهِمْ، فَاشْتَغَلَ النَّاسُ، فَأَتَى أَخَاهُ فَقَطَعَ عَنْهُ أَغْلَالَهُ، وَ قَالَ أَنَا أُدَاوِيكَ، فَاخْتَلَسَهُ وَ أَخْرَجَهُ مِنَ

[1] البزّ = السلاح أو الثياب من الكتّان أو القطن.

الْمَدِينَةِ، فَجَعَلَ عَلَى جِرَاحَاتِهِ دَوَاءً كَانَ مَعَهُ، حَتَّى إِذَا وَجَدَ رَاحَةً أَقَامَهُ عَلَى الطَّرِيقِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ انْطَلِقْ فَإِنَّكَ سَتَجِدُ سَفِينَةً قَدْ سُيِّرَتْ لَكَ فِي الْبَحْرِ.

فَانْطَلَقَ سَائِرًا، فَوَقَعَ فِي جُبٍّ فِيهِ تِنِّينٌ، وَ عَلَى الْجُبِّ شَجَرَةٌ نَابِتَةٌ، فَنَظَرَ إِلَى الشَّجَرَةِ، فَإِذَا عَلَى رَأْسِهَا اثْنَا عَشَرَ غُولًا[1] ، وَ فِي أَسْفَلِهَا اثْنَا عَشَرَ سَيْفاً، وَ تِلْكَ السُّيُوفُ مَسْلُولَةٌ مُعَلَّقَةٌ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَحَمَّلُ وَ يَحْتَالُ، حَتَّى أَخَذَ بِغُصْنٍ مِنَ الشَّجَرَةِ فَتَعَلَّقَ بِهِ، وَ تَخَلَّصَ وَ سَارَ حَتَّى أَتَى الْبَحْرَ، فَوَجَدَ سَفِينَةً قَدْ أُعِدَّتْ لَهُ إِلَى جَانِبِ السَّاحِلِ، فَرَكِبَ فِيهَا حَتَّى أَتَوْا بِهِ أَهْلَهُ.

عَمَّرَكَ اللهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ، أَ تَرَاهُ عَائِداً إِلَى مَا قَدْ عَايَنَ وَ لَقِيَ ؟

قَالَ لا.

قَالَ فَإِنِّي أَنَا هُوَ.

[1] الغول = الحيّة = الهلكة = حيوان لا وجود له. والمثل يقول: الغضب غول الحكم. بمعنى مهلكها.

هل يرجع العاقل إلى الغيلان

فَيَئِسُوا مِنْهُ، فَجَاءَ الْغُلَامُ الَّذِي صَحِبَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ فَسَارَّهُ[1] ، وَ قَالَ اذْكُرْنِي لَهَا وَ أَنْكِحْنِيهَا.

فَقَالَ الْغُلَامُ لِلْمَلِكِ ، إِنَّ هَذَا يَقُولُ إِنِّي أُحِبُّ الْمَلِكَ أَنْ يُنْكِحَنِيهَا[2] .

فَقَالَ لَا أَفْعَلُ.

قَالَ أَ فَلَا أَضْرِبُ لَكَ مَثَلًا ؟

قَالَ بَلَى.

قَالَ إِنَّ رَجُلًا كَانَ فِي قَوْمٍ، فَرَكِبُوا سَفِينَةً، فَسَارُوا فِي الْبَحْرِ لَيَالِيَ وَ أَيَّاماً، ثُمَّ انْكَسَرَتْ سَفِينَتُهُمْ بِقُرْبِ جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ فِيهَا الْغِيلَانُ [3] فَغَرِقُوا كُلُّهُمْ سِوَاهُ، وَ أَلْقَاهُ الْبَحْرُ إِلَى الْجَزِيرَةِ، وَ كَانَتِ الْغِيلَانُ يُشْرِفْنَ مِنَ الْجَزِيرَةِ إِلَى الْبَحْرِ، فَأَتَى غُولًا فَهَوِيَهَا وَ نَكَحَهَا، حَتَّى إِذَا كَانَ مَعَ الصُّبْحِ قَتَلَتْهُ، وَ قَسَمَتْ أَعْضَاءَهُ بَيْنَ صَوَاحِبَاتِهَا.

وَ اتَّفَقَ مِثْلُ ذَلِكَ لِرَجُلٍ آخَرَ، فَأَخَذَتْهُ ابْنَةُ مَلِكِ الْغِيلَانِ فَانْطَلَقَتْ بِهِ، فَبَاتَ مَعَهَا يَنْكِحُهَا، وَ قَدْ عَلِمَ الرَّجُلُ مَا لَقِيَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ، فَلَيْسَ يَنَامُ حَذَراً، حَتَّى إِذَا كَانَ مَعَ الصُّبْحِ، نَامَتِ الْغُولُ فَانْسَلَّ الرَّجُلُ، حَتَّى أَتَى السَّاحِلَ، فَإِذَا هُوَ بِسَفِينَةٍ فَنَادَى أَهْلَهَا وَ اسْتَغَاثَ بِهِمْ، فَحَمَلُوهُ حَتَّى أَتَوْا بِهِ أَهْلَهُ.

---

[1] في نسخة المجلسي حذفت فسارّه.

[2] في نسخة المجلسي هذه العبارة: إني أحبّ أن ينكحنيها الملك.

[3] الغول ج غيلان = الداهية. الهلكة.

فَأَصْبَحَتِ الْغِيلَانُ فَأَتَوْا الْغُولَةَ الَّتِي بَاتَتْ مَعَهُ، فَقَالُوا لَهَا أَيْنَ الرَّجُلُ الَّذِي بَاتَ مَعَكِ ؟

قَالَتْ إِنَّهُ قَدْ فَرَّ مِنِّي.

فَكَذَّبُوهَا وَ قَالُوا أَكَلْتِيهِ[1] ، وَ اسْتَأْثَرْتِ بِهِ عَلَيْنَا ، فَلَنَقْتُلَنَّكِ إِنْ لَمْ تَأْتِنَا بِهِ.

فَمَرَّتْ فِي الْمَاءِ حَتَّى أَتَتْهُ فِي مَنْزِلِهِ وَ رَحْلِهِ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ وَ جَلَسَتْ عِنْدَهُ، وَ قَالَتْ لَهُ مَا لَقِيتَ فِي سَفَرِكَ هَذَا ؟

قَالَ لَقِيتُ بَلَاءً خَلَّصَنِيَ اللهُ مِنْهُ وَ قَصَّ عَلَيْهَا ذَلِكَ.

فَقَالَتْ وَ قَدْ تَخَلَّصْتَ ؟

قَالَ نَعَمْ.

فَقَالَتْ أَنَا الْغُولَةُ وَ جِئْتُ لِآخُذَكَ.

فَقَالَ لَهَا أَنْشُدُكِ اللهَ أَنْ تُهْلِكِينِي[2] ، فَإِنِّي أَدُلُّكِ عَلَى مَكَانِ رَجُلٍ.

قَالَتْ إِنِّي أَرْحَمُكَ.

فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا دَخَلَا عَلَى الْمَلِكِ، قَالَتْ اسْمَعْ مِنَّا أَصْلَحَ اللهُ الْمَلِكَ، إِنِّي تَزَوَّجْتُ بِهَذَا الرَّجُلِ، وَ هُوَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، ثُمَّ إِنَّهُ كَرِهَنِي، وَ كَرِهَ صُحْبَتِي ، فَانْظُرْ فِي أَمْرِنَا.

---

[1] في نسخة المجلسي أكلته.

[2] في نسخة المجلسي أن تهلكني.

فَلَمَّا رَآهَا الْمَلِكُ أَعْجَبَهُ جَمَالُهَا فَخَلَا بِالرَّجُلِ فَسَارَّهُ، وَ قَالَ لَهُ[1] إِنِّي قَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ تَتْرُكَهَا فَأَتَزَوَّجَهَا.

قَالَ نَعَمْ أَصْلَحَ اللهُ الْمَلِكَ مَا تَصْلُحُ إِلَّا لَكَ.

فَتَزَوَّجَ بِهَا الْمَلِكُ، وَ بَاتَ مَعَهَا، حَتَّى إِذَا كَانَتْ مَعَ السَّحَرِ ذَبَحَتْهُ، وَ قَطَعَتْ أَعْضَاءَهُ، وَ حَمَلَتْهُ إِلَى صَوَاحِبَاتِهَا. أَ فَتَرَى أَيُّهَا الْمَلِكُ أَحَداً يَعْلَمُ بِهَذَا ثُمَّ يَنْطَلِقُ إِلَيْهِ ؟

قَالَ لَا.

قَالَ الْخَاطِبُ لِلْغُلَامِ فَإِنِّي لَا أُفَارِقُكَ، وَ لَا حَاجَةَ لِي فِيمَا أَرَدْتُ.

فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ يَعْبُدَانِ اللهَ جَلَّ جَلَالُهُ، وَ يَسِيحَانِ فِي الْأَرْضِ. فَهَدَى اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِهِمَا أُنَاساً كَثِيراً.

وَ بَلَغَ شَأْنُ الْغُلَامِ وَ ارْتَفَعَ ذِكْرُهُ فِي الْآفَاقِ.

فَذَكَرَ وَالِدَهُ وَ قَالَ لَوْ بَعَثْتُ إِلَيْهِ فَاسْتَنْقَذْتُهُ مِمَّا هُوَ فِيهِ.

فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولًا فَأَتَاهُ، فَقَالَ لَهُ إِنَّ ابْنَكَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ. وَ قَصَّ عَلَيْهِ خَبَرَهُ وَ أَمْرَهُ.

فَأَتَاهُ وَالِدُهُ وَ أَهْلُهُ فَاسْتَنْقَذَهُمْ مِمَّا كَانُوا فِيهِ.

---

[1] في نسخة المجلسي من دون له.

اطّلاع جوتاما على هوان الدنيا

فكّر سودهودانا أن يطلق سراح جوتاما من سجن القصور، ويسمح له بخوض المجتمع الرحب، وطلب منه أن يخرج إلى شوارع المدينة، ليرى كيف يعيش رعايا والده، ويفهم ما يدور بينهم من معاملات، ويمضي بعض الوقت متنزّها في الحدائق.

ولكن قبل أن يخرج جوتاما إلى الطرقات، أصدر سودهودانا أوامر مشدّدة بأن يقصى من سبيل جوتاما كلّ ما يعكّر صفوه، وخصوصًا العجزة والمرضى والموتى والنّسّاك، حتّى لا تقع عيناه إلّا على كلّ ما يبعث على السرور.

وما أن سمع سكّان المدن وأهل القرى بأن وليّ العهد سيسير في الطرقات راكبًا عربته، حتّى عمّ الفرح بين الجميع، وأقبل الأهالي على تمهيد الشوارع وتزيين الطرقات ولبسوا أحسن الملابس.

ولما رأى جوتاما البشر يعلو الوجوه إنشرح صدره لحبّ مواطنيه له، وسرّ لسرورهم، ولم يتجوّل طويلًا في أنحاء المدينة، حتى إذا به يرى منظرًا لم يره من قبل، رأى رجلًا محطّم الجسم هزيلًا ضعيفًا لا يقوى على السير، يتكئ على عصا، متآكل الأسنان مجعّد الجبين، على راسه شعيرات بيضاء.

فذهل جوتاما لمنظره المؤلم، وسأل سائق عربته تشانا: من هذا الرجل الذي تقوّس ظهره وكاد يفقد بصره ويستعين بعصاه على السير ؟ هل أذبلت الحرارة قوّة جسده، أم ولد على هذه الصورة ؟

فتردّد تشانا في الإجابة.

ولما ألحّ عليه جوتاما في السؤال أخبره بأنه لم يولد على هذه الصورة، وإنّما بدّل العمر هيأته، وأصاب الزمان قواه بالضعف والهزال، وفقد لذّة الحياة، ويعيش على الدوام في أسى وحزن، لأنه أصبح كهلًا عجوزًا وشيخًا مسنًّا، بعد أن كان في يوم من الأيام طفلًا رضيعًا، تربّى على صدر أمّه الحنون، ثم صار شابًّا قويًّا جميلًا يملؤه الأمل، ولكن أصبح بمرور الزمن على ما هو عليه الآن من ذبول وهزال وقبح.

وبعد أن سمع جوتاما هذا الكلام سأل سائقه سؤالًا ثانيًا: هل هذا الرجل هو الرجل الوحيد الذي أصابته الشيخوخة أم هناك أشخاص آخرون غيره ؟

فأجابه بأن الجميع إذا ما تقدّم بهم السنّ شاخوا، وأن جوتاما نفسه معرّض للشيخوخة، وهذه سنّة الحياة وطبيعة الإنسان، ولن يفرّ أحد من العجز.

ففزع جوتاما من هذه الإجابة فزعًا شديدًا، وجزع لأنه سيصبح في يوم كهلًا ضعيفًا، وأن زوجته يزودهارا لن تنجو من ذبول الشيخوخة، وأنهما سيقاسيان كثيرًا من الحزن والشقاء إذا ما طال بهما العمر.

فاستولت الكآبة على قلبه، وشرد فكره، وأدرك أن حياة اللذّة لا قيمة لها ما دامت عرضة للزوال، وما دام الإنسان يبلغ الشيخوخة التي لا تمكّنه من الاستمرار في طلب اللذّة، وإنه إذا كان الآن شابًّا قويًّا فإنّ قوّة شبابه تنضب بعد حين.

فاغتمّ وأمر تشانا بأن يعود إلى القصر ليهرب من منظر ذلك الكهل البشع، ولأنّه لم يشعر بمتعة التنزّه ما دام شبح الشيخوخة يطارده، وأن سنين الحياة تنقضي بسرعة تفوق

سرعة الريح. ولما عاد إلى القصر كان حزينًا هلعًا يحسّ أنه يكاد يدفن في هذا القصر وأن الحياة لا تطاق فيه[1] .

وعندما سمع الملك بسرعة عودة جوتاما إلى القصر لحزنه من رؤية الكهل وجزعه من حياة الشيخوخة، حثّ إخوانه من الأمراء على أن يسرّوا عنه، ولا يتركوه منفردًا، وأن يلحّوا عليه في الخروج من القصر من حين لآخر، حتى لا يظلّ قابعًا فيه، تستولي عليه الأفكار السود.

فخضع لإخوانه آخر الأمر وخرج من القصر للنزهة، بعد أن قويت الرقابة على الطرقات، لإبعاد أيّ شخص يتقزّز جوتاما من منظره، وبعد أن زيّنت الشوارع والحدائق لتبدو جميلة خلّابة تبعث في نفس جوتاما السرور.

ولكن سرعان ما لمح رجلًا مريضًا على قارعة الطريق متورّم الجسم مشوّه الخلقة يتنفّس بصعوبة، يئنّ أنينًا متواصلًا ويبكي بكاءًا مرًّا. فسأل جوتاما سائقه تشانا: من هذا الرجل ؟

فأجابه بأنه مريض أنهكته العلّة وأضناه السقم يطلب معونة مواطنيه.

ثم عاد وسأله وهو حزين إذا ما كان هذا الرجل هو الشخص الوحيد الذي ألمّ به المرض أم هناك غيره كثيرون ؟

---

[1] إن بوذا لم يكن ليهرب من شيء، ولم يكن ليحسّ بأن شيئًا يطارده، ولم يكن هلعًا، ولم يكن ليحسّ أنه يكاد يدفن في هذا القصر، وأن الحياة لا تطاق فيه، ولا تستولي عليه الأفكار السود، ولا كان ليتقزّز من أيّ شخص مريض أو كهل أو شيخ أو حتى من ميّت، إنما هي تعبيرات الكاتب التي تنمّ عن أحساسيسه هو لو كان في مكان بوذا، وكل إناء بالذي فيه ينضح. فالواضح أن أهل الدنيا لا يمكنهم أن يفهموا أهل الآخرة إلّا من منظارهم، وكلّ يرى من عين طبعه.

فردّ تشانا عليه بأنه لا يوجد شخص لا يتعرّض للمرض، وأنه يبتلى الجميع.

فاغتمّ جوتاما وأخذت الأفكار تدور في رأسه متسائلًا عن الأسباب التي تدفع الإنسان إلى التمسّك بجحيم الحياة يصلى بعذاب المرض. وعاد إلى قصر أبيه مفجوع القلب كسير الفؤاد.

ولما استفهم سودهودانا عن سبب عودة ابنه حزينًا قيل له أنه رأى مريضًا، فلام الملك الحراس، وأنّبهم تأنيبًا قاسيًا على غفلتهم ، وطلب منهم المزيد من اليقظة والانتباه حتى لا يصادف الأمير ما يثير أشجانه.

بل أخذ يشرف بنفسه على بهاء الطرقات ورونقها، وزوّد الحدائق بالمغنّيات والعازفات وبأجمل الفاتنات اللاتي برعن في اصطياد قلوب الرجال، وإدخال السرور في نفوسهم.

وبالرغم من كل هذه الاحتياطات رأى جوتاما في المرّة الثالثة نعشًا يحمله أربعة رجال، تولول النساء من حوله ويشددن شعورهن ويضربن صدورهن ويلطمن خدودهن. في حين يدقّ بعض الرجال على الطبول ويعزف غيرهم على المزمار ، بينما ينشد الكهنة الترانيم الدينية.

فتعجّب جوتاما من هذا المنظر الغريب وطلب من أن يخبره عن أمر هؤلاء القوم.

فأنبأه بأن ما يراه ما هو إلا جنازة ميّت، قد فقد حيويّة الحياة، ولم يعد يقوى على الحركة، وانطلقت روحه إلى مكان مجهول، وأن أهله وأصحابه يبكون على فقده.

ثم تساءل جوتاما إذا ما كان هذا الميّت هو الشخص الوحيد الذي توفّي. فكانت الإجابة بالطبع أن الموت مصير كل فرد، ولا مهرب منه على الإطلاق. فأدرك جوتاما أن

المنيّة توافي كل إنسان، وينزل الردى بالجميع في وقت معلوم، وأن شبح الموت مسلّط على الرقاب في كل خطوة تخطوها.

فإذا كانت الحياة تشقينا بضعف الشيخوخة، وتعذّبنا بآلام المرض، وتقضي علينا بموت لن ينقذنا من ويلاتها، وإنما يعقبه حياة جديدة نقاسي فيها من جديد الشيخوخة والمرض والموت، كأنّ الإنسان يعيش في حلقة لا نهاية لها تنتقل من الحياة إلى الموت ومن الموت إلى الحياة ، ولا تدور إلا حول الشيخوخة والمرض والموت. فكيف يمكن أن يطيق الإنسان هذه الحياة ؟ وكيف لا يفكّر في الهرب من تكرار الحياة وتوالي الموت وفي الخلاص من الشيخوخة والمرض والموت [1] ؟

ولما لاحظ تشانا ما طرأ على جوتاما من اضطراب لم يعد هذه المرّة إلى القصر إنما استمرّ في السير إلى الحدائق حيث أخذت العازفات تصدح بأعذب الألحان وتغنّي المنشدات أبدع الأغاني وترقص الراقصات أفتن الرقصات لكي يبثثن السرور في نفس الأمير الحزين.

ولكن ظلّ جوتاما على ما هو عليه من كآبة ووجوم[2] غارقًا في أفكاره الحائرة، ولم تستطع فتنة النساء أن تغريه وتبدّل من نفسه شيئًا، وأن حلو حديثهن وعذوبة مسامرتهن لم تستطع أن تبعده عن ما يجول في خاطره.

---

[1] هذه العبارات تنمّ عن اعتقاد أصحاب الرواية التقليدية بأن بوذا كان ينطلق في جهاده في الحياة من منطلق عقيدة تناسخ الأرواح.

[2] ما يراه الإنسان على المؤمن من كآبة ووجوم إنما هو (حزن المؤمن)، بمعنى أنها حالة تأمّلية وليست حالة مرضيّة انفعاليّة.

فعاد إلى القصر وتدور في رأسه أفكار تقلقه وتضنيه، وما أن وصل حتى التفّ حوله رفقاؤه وأخذوا يناقشونه فيما يحزنه ويقلقه. ثم أخبره أحد الأصدقاء بأن حياة القصور الهادئة الوديعة المريحة بما فيها من متعة ولذة لا تدعو إلى الحزن والقلق.

ولكنه ردّ عليه متسائلًا: من الذي يضمن لي بقاء هذه الراحة وتلك اللذة إلى ما لا نهاية ؟ ومن الذي يقدر أن يبعد عني ضعف الشيخوخة وآلام المرض وقضاء الموت، والعودة إلى الحياة مرّة ثانية، أقاسي فيها من جديد ويلات الشيخوخة والمرض والموت إلى ما لا نهاية ؟

ولقد اضطرب سودهودانا عند سماع هذا الردّ، وألمّ به الحزن وخاف أن يصبح وحيده زاهدًا، ولكنه لم يستسلم، وأخذ يطارد جوتاما بالمغريات، ويحيطه بالرفاهية ليل نهار، وقرّب إليه أجمل الغانيات ليأسرن قلبه.

وأرسل إليه وزراءه ليخلّصوه من الأفكار السوداء، ولكن ظل قلبه متعلّقًا بالشيخوخة والمرض والموت، وظلّ عقله يبحث عن كيفيّة الخلاص من الشيخوخة والمرض والموت، وما استطاعت فتنة النساء أن تلهيه عن هذه المصائب الثلاث، ولا استطاع منطق الوزراء أن يزيل شبحها من ذهنه، وإن استطاع إقناعه بالخروج مرّة رابعة إلى الحدائق.

فاستعدّ سودهودانا لهذا الخروج استعدادًا كبيرًا، فامتدّ الحرّاس في الطرقات عشرات الأميال لإبعاد كل ما يقلق مزاج جوتاما. وزيّنت الطرقات بأبهى زينة، ولكنه فوجئ برؤية رجل رزين هادئ يلبس رداءًا برتقاليّ اللون. فسأل تشانا عن كنه هذا الرجل.

فأجابه بأنه ناسك هجر الحياة، يريد الخلاص، ويبحث عن طريق النجاة بعيدًا عن المجتمعات، ولذلك قطع صلته بكل ما يربطه بالأرض، ولا يهتمّ بشيء من أمور الدنيا، إنما يعيش على ما يتفضّل به الناس عليه من صدقات.

فتولّى جوتاما نوع من الفرح، إذ وجد فيه المنقذ الذي يخلّصه من وطأة الأحزان التي تشقيه. وعاد إلى القصر عازمًا على أن يسلك مسلك هذا الناسك، لعلّه يجد حياة خالية من الشيخوخة والمرض والموت.

وظلّ جوتاما في حيرته غير راغب في حياته التي يحياها، وينشد حياة خالية من الألم، ويريد أن يدخل في زمرة الزهّاد، إلى أن سمع أن زوجته يزودهارا على وشك أن تضع له مولودا بعد أن انتظره عشر سنوات.

وكان هذا الخبر جدير بأن يبعث في نفسه السرور، ولكن أحسّ بأن هذا المولود قد يقيّده بأغلال الحياة، فلا يستطيع منها فكاكًا، وهو غير راغب فيها.

فعزم على أن يهجر الحياة في الحال، حتى لا يتعلّق قلبه بحبّ بطفله، ويرغمه على البقاء في قصور أبيه، ويعيش شقيًّا لا يعرف كيف يتخلّص من حياة مليئة بالآلام والأحزان. وأدرك أن أيّ تردّد أو تأخير في مغادرته قصر أبيه قد يفسد عليه حياته، فيفشل في فهم أسرار الحياة، ولذلك عزم على أن يهرب في هذه الليلة بالذات.

ولما رجع إلى القصر كانت يزودهارا قد وضعت طفلًا ذكرًا سمّي راهولا، وكان الجميع يحتفلون بمولد حفيد الملك، وما أن دخل جوتاما القصر حتى التفّت حوله نساء القصر مهنّئات براهولا، وإذا بأميرة من قريباته تقبل عليه قائلة: يا لسعادة ذلك الأب ويا لسعادة تلك الأم ويا لسعادة تلك الزوجة بابنها وزوجها !

وما أن سمع لفظ (السعادة) حتى خلع قلادته ومنحها إياها هدية منه، فظنت أن جوتاما أعجب بها ووقع في حبها ويريدها زوجة له، ولم تفهم أن لفظ (السعادة) التي نطقت به نبّهت جوتاما إلى أن ما يطلبه هو السعادة، وأنّ السعادة الحقّة في النجاة من الشيخوخة والمرض والموت، وأن الفرار من الحياة هو سبيل هذه السعادة، وأنه ما أعطى قلادته لهذه الأميرة إلا لأنها لقّنته هذا الدرس الذي حثّه على أن يبحث عن السعادة بعيدًا عن الحياة.

ثم تابع السير إلى قاعات القصر الداخليّة فوجد المغنّيات والعازفات والراقصات ينشدن ويعزفن ويرقصن فرحات، فنفر منهن وأسرع إلى حجرة يزودهارا فوجدها نائمة وفي أحضانها راهولا.

وكان يودّ أن يأخذ ابنه بين ذراعيه ويقبّله، ولكنه خاف أن يوقظ زوجته، فتحول بينه وبين الفرار، أو يخفق قلبه بحبّ ابنه ويتعلّق به، ولذلك ظلّ بعيدًا عنهما إلى أن انتصف الليل، وقام بهدوء وألقى نظرة الوداع على زوجته وابنه، الذي لم يبلغ من العمر إلا يومًا واحدًا.

ومشى في ردهات القصر ووجد الراقصات والمغنّيات والعازفات نائمات على الأرض من طول السهر، بعد أن أعياهنّ الرقص والغناء والعزف، وكنّ في أوضاع فاضحة أثارت اشمئزاز جوتاما واحتقاره لأجسادهن.

وذهب توًّا إلى تشانا المخلص وأخبره بعزمه على الفرار هذه الليلة، وطلب منه أن يعدّ العربة وحصانه المفضّل كانتاكا، فاضطرب تشانا واحتار لأنه كان خائفًا من غضب سوهودانا، ولكنه رضخ آخر الأمر وأعدّ لجوتاما العربة والحصان كانتاكا[1] .

لمّا أحضر تشانا العربة التي يجرّها الحصان كانتاكا ركب جوتاما العربة، وظلّت تجري به في ظلمات الليل، وهو شارد الذهن يفكّر فيما هو مقدم عليه من حياة جديدة عليه كل الجدّة، وكانت تراوده مشاعر من الحسرة على ما سيفقده من عزّ وأبهة وسلطان ومتعة ولذة ورفاهية، ولكنه قاوم هذه الخواطر بحزم، وعزم على أن يستمرّ في طريقه ويهجر الدنيا نهائيًا.

وعندما وصل عند نهر أنوما بعيدًا عن مملكة كولي خلع جواهره وأعطاها لتشانا، ثم جزّ شعر رأسه بالسيف وأعطاه كذلك لتشانا، واستبدل ملابسه الملكيّة بملابس أحد الفقراء المارّين، ثم طلب من تشانا أن يعود إلى أبيه ويخبره بأمر هجرته للدنيا.

ولكن تشانا ناشد جوتاما أن يعود معه ولا يتمسّك بحياة الزهّاد. ولما رفض جوتاما ألحّ تشانا في أن يبقى معه ليقوم بخدمته ويسهر على راحته، فلم يقبل جوتاما، ولذلك اضطرّ تشانا إلى أن يعود حزينًا منكسر القلب خائفًا من غضب سودهودانا.

[1] صفحات ٢٥-٣٣ من نفس الكتاب.

شجرة التين في الرواية التقليديّة

توجّه جوتاما إلى مملكة ماجادها ليبدأ حياته الجديدة التي ارتضاها لنفسه. وفي أثناء توغّله في الغابات المؤدّية إلى هذه المملكة، صادفه جماعة من الزهّاد يقطنون في جنبات هذه الغابات بعيدًا عن صخب المجتمعات، فتقدّم جوتاما إليهم ثم حيّاهم، ولما ردّوا التحية، أبلغهم بأنه زاهد حديث العهد بهجرة الدنيا، وأنه عزم على أن يسير في طريق الزهد.

فطلبوا منه أن ينضمّ إليهم ويلتحق بجماعتهم ويقوم بما يقومون به من واجبات روحيّة ويشاركهم الحياة في الغابة.

إلا أن جوتاما ليس عنده دراية بهذه الواجبات الروحيّة، إذ لم يمارسها من قبل، فطلب من كبيرهم أن يخبره عن مختلف طرق المجاهدات التي يمارسونها، ويبيّن له الباعث الذي يدفعهم إلى أدائها، ويوضح له الغاية التي يهدفون إليها من ورائها.

فأخبره كبير الزهّاد بأنهم هجروا الدنيا طمعًا في حياة روحيّة حقّة، بعيدًا عن تضارب الأهواء والرغبات والمطامع، وأن حياتهم في الغابة حياة دينيّة خالصة، تقوم على تعذيب الجسد، وإقامة الشعائر للنار، وتلاوة الصلوات والدعوات.

وهم أحيانًا يحرمون على أنفسهم الطعام والشراب، وأحيانًا لا يأكلون إلا أبسط المأكولات وأقلّها، ومنهم لا يأكل إلا ما يلتقط من حبّ كالطيور، ومنهم من يعيش على ما يجمعه من ثمار الأزهار والفاكهة، ومنهم من يتغذّى على الأعشاب كالغزلان، ومنهم من يسدّ أوده بما يستجديه من طعام وشراب من أهالي القرى المجاورة.

وهذا فضلًا عن أنهم يقومون بمجاهدات مضنية لتطهير الروح من أوزار البدن، فيعذّبون أجسادهم بالنار، أو يلزمون أنفسهم بالتنفّس في الماء كالأسماك، أو يجبرون أذرعتهم على أن تظل مرفوعة إلى أعلى، أو يضعونها على فوق رؤوسهم لمدّة طويلة بصفة مستمرّة.

وهم كذلك يقرّبون القرابين للنار المقدّسة يوميًّا، حتى يظلّ لهيبها يتصاعد منه الشرر على الدوام. وفي أوقات محدودة يؤدّون الصلوات ويتلون الدعوات، وأن غايتهم من كل ذلك هو تخليص الروح من أدران الجسد التي تسبّب عودتها إلى الحياة بعد كل موت.

وما أن تتمّ طهارة الروح، لا يرجع الإنسان للحياة الأرضيّة من جديد، وإنما يذهب إلى السماء حيث السعادة الحقّة والنعيم المقيم.

بعد أن أنصت جوتاما إلى هذه التعاليم، لم يجد فيها بغيته، لأن المجاهدات الجسميّة والشعائر الدينية لا توصل إلى السعادة. فإذا كان اللهو والمجون والخلاعة لا تجلب الطهارة الروحيّة، فإن القلب الطاهر لا يمكن أن يعيش سعيدًا في جسد معذّب ومعرّض للشيخوخة والمرض والموت.

وإذا كان التعذيب ينقّي الروح من أشرار الجسد، ويمنع الإنسان من أن يولد في حياة أرضيّة مرّة أخرى، إلّا أنه يولد في السماء.

ولكن جوتاما ينشد الخلاص من الحياة نهائيًا، بذلك فقط يستطيع أن يتغلّب على الشيخوخة والمرض والموت، ويقطع صلته بالولادة والموت كلّيّة، سواء أكانت هذه الولادة في الأرض أو في السماء [1].

---

(1) مع الأسف الشديد لقد أخطأ الكتّاب والمفكّرون على مرّ العصور في فهم معنى مصطلح السماء مقابل الأرض، واعتقدوا أن المصطلح يعني الفلك الأزرق الدوّار، بكل ما يشتمل عليه من أثير

ومجرّات وثقوب سوداء ونجوم وشمس وقمر وكواكب وسيّارات وغيرها. وفكّروا أن الولادة في السماء هي كالولادة في الأرض، غافلين عن أنّ الموت والحياة نشأتان مختلفتان تمامًا، وأن السموات هي تعبير عن مراتب الرقيّ الروحيّ من النفس الأمّارة إلى النفس اللّوّامة إلى النفس المطمئنّة. أو كما ذكرت في كتابي (السموات السبع) الرقيّ الروحيّ من الطور القالبي إلى الطور النفسي إلى الطور القلبي إلى الطور السرّيّ إلى الطور الروحيّ إلى الطور الخفيّ وإلى طور غيب الغيوب .

ويجيئ إلصاقهم هذه التهمة ببوذا بأنه لم يرد أن يولد في السماء في هذا السياق الخاطئ. وأن الولادة في السماء بالنسبة لمن نالهم الفلاح والخلاص تتضمّن الشيخوخة والمرض والموت، التي كان هدف بوذا الخلاص منها نهائيًا في مسعاه المقدّس في نسكه ورياضاته في هذه الحقبة الأرضية من حياته. وكأنما سيعيش حياته التالية في النجوم أو في الكواكب، أو أيّ مكان آخر في هذا الكون الوسيع!

وذكروا له أيضًا قوله (صفحة ٦٧ من كتاب قصة بوذا) بأنه ليس للعناية السماويّة سلطة ما، فإنّ السماء لا تحاسب الإنسان فتعاقبه إذا أذنب وتحسن إليه إذا عمل خيرًا، يعنون بذلك إنكاره للمعاد والبعث الذي اعتقد فيه جميع الأنبياء من دون استثناء. وأريد أن أذكر رأي الإمام الصادق عليه السلام حيث وضع النقاط على الحروف في عقيدة المعاد في الإسلام ووجود الشخصيّة الذاتيّة لكل إنسان في تلك النشأة، إن كان قدّيسًا صدّيقًا وفي جوار الله فهو في جوار الله، وإن كان مرتكبًا للمعاصي فعقابه حسب ذنوبه. وفي ذلك توضيح للغموض الذي يقال عن أن بوذا وقع فيه، لأنّه اعتقد حسب الرواية الهندية (صفحة ٤٩ من نفس الكتاب) بأنه إذا كان للإنسان وجود مستقلّ في المعاد، فذلك يدعو إلى عودة الإنسان إلى الحياة من جديد ومعاناة الشيخوخة والمرض والموت من جديد كما هو على الأرض .

فلقد ذكرت في كتابي (هكذا تكلم الإمام جعفر الصادق عليه السلام) في فصل (هل يعرف الإنسان ذاته بعد الموت) في سياق محاورته عليه السلام مع جابر بن حيان وفي أجوبته على أسئلته-:

سأل جابر:- إذن نحن بلا شك وريب سوف نعرف أنفسنا بعد الموت ولا نفتقد هويّتنا البتّة .

أجاب الإمام عليه السلام:- لا شكّ في ذلك، وكلّ مسلم مؤمن يعرف بأنه بعد الموت، وفي الوقت الذي عيّنه الله جل وعلا، سوف يحيى ويعرف ذاته. إن دين الإسلام ، وبسبب الصراحة التي ذكر بها وعد الله جل شأنه، أسمى وأعلى من كل الأديان السماويّة الماضية، وذلك بشأن طمأنة الناس بالنسبة لحياتهم بعد الموت. لقد رأيت خوف المشركين وقلقهم من مصيرهم بعد الموت، في كلام (ارسطوخوس) الذي ذكرته. ولكن حتى في بعض الأديان التوحيديّة الماضية، فإن الناس لم يطمئنّوا كاملًا على مصيرهم بعد الموت، وكان خوفهم قريبًا من مخاوف ارسطوخوس. إنّهم كانوا يعتقدون بأنهم سوف

ولما أحسّ كبير الزهاد بأن جوتاما لم يتقبّل تعاليمهم، وأنه ما زال في حاجة إلى معرفة أعمق، وأن إيمانه بالمجاهدات والشعائر ضعيف، نصحه بأن يقصد أرادداراما وأدراراما، وهما ناسكان ثقافتهما الدينيّة واسعة، ولهما باع طويل في المجاهدات، وبلغا درجة ممتازة من الطهارة والصفاء.

ولم يتردّد جوتاما في الذهاب إليهما، لأنه ينشد العلم الصحيح الذي يحقّق له سبيل الخلاص من الشيخوخة والمرض والموت[1] .

وبعد أن ألمّ جوتاما بثقافة عصره الدينيّة، وأخذ العلم على كبار النساك، وجد نفسه ما زال لا يعرف شيئًا عن طريق الخلاص وسبيل السعادة الذي هجر الدنيا من أجله، ولم يبق أمامه إلا أن يسلك سبل المجاهدة التي تنتشر بين عامّة النساك، وأن يأخذ

يحيون بعد الموت، وسيتابعون حياتهم في نشأة أخرى، بيد أنهم لن يعرفوا ذواتهم، ولن يتعرّفوا على أنفسهم بأنهم هم الذين كانوا يأكلون ويشربون وينامون .

إن الأشياء التي كانت توجد في أديانهم، بالنسبة لحياة البشر في العالم الآخر، كانت لا تقنعهم بأنهم سوف يحافظون على وجدانهم الأرضيّ في العالم الآخر، ولا تقنعهم أيضًا بأنهم سوف يتذكّرون جميع خاصيّاتهم الحياتيّة في هذه الدنيا .

إن الدين الإسلامي قد أزال جميع الإبهامات والاضطرابات عن أفكار المؤمنين، وقال بقول صريح واضح- من دون أيّ استثناء في أحكام الإسلام - بأن الإنسان سوف يحيى بعد الموت، في يوم يعيّنه الله تعالى، وسوف يعرف ذاته تمامًا، وسوف يتذكّر جميع خاصيّاته الحياتيّة في هذه الدنيا، وسوف يتمتّع كما كان يتمتّع في هذه الدنيا بالطعام والشراب .

وحسب وعد الله جل وعلا، ليس الأخيار وحدهم سوف يتعرّفون على أنفسهم بعد الموت، بل أيضًا الأشرار العاصون سيتعرّفون على هويّتهم. وإلا كيف يحاسبون على أعمالهم في هذه الدنيا إن لم يكونوا قد تعرّفوا على هويتهم؟

[1] صفحات ٣٦-٣٨ من نفس الكتاب.

في تعذيب جسده تعذيبًا مضنيًا، لعله يقضي على ما يكمن فيه من نزوات وأهواء، فيكتسب قوى خلقيّة خارقة وتشفّ بصيرته حتى يتكشّف له سبل النجاة.

فتوجّه جوتاما إلى غابة أورفيلا، وسكن في غار هادئ يتدفّق أمامه مجرى من الماء العذب، يتّجه نحو قرية كثيرًا ما كان يلجأ إليها جوتاما حين يعوزه القوت، ويستجدي من أهلها ما يلزمه من طعام.

وكان هذا الغار في سفح مرتفع تحيط به أشجار باسقة، يلذّ للطيور أن تنتقل على أفنانها، وتغرّد على أغصانها، كما كان يتخلّل هذه الأشجار شجيرات ناضرة يفوح أريج أزهارها بأطيب الروائح الزكيّة.

وعزم جوتاما أن يعذّب جسده في هذا الكهف الهادئ الذي سخت عليه الطبيعة بمناظر خلّابة، وصمّم على أن يميت أيّ انفعال، ويزهق كل عاطفة، ويقضي على جميع نزواته، حتى يتطهّر تطهيرًا كاملًا، وتصفو طويّته من شوائب الشهوة، ولم يترك سبلًا معروفة لتعذيب الجسد إلا سلكها.

فعذّب جسده بالجوع والعطش، وأحيانًا ما كان يمتنع عن التنفّس، أو يلزم أطرافه مواضع معيّنة، لا يغيّرها أيّامًا كثيرة.

فتقرّب إليه خمسة مريدين واتّخذوه لهم رائدًا، وقاموا بخدمته، وذلك بعد أن أعجبوا بقدرته الفائقة على تحمّل مشاقّ المجاهدة المؤلمة.

ولقد ذاعت شهرته في جميع الآفاق، وشهد له الجميع بالتفوّق على كلّ من سلك طرق التعذيب. واستمرّ في معاناة آلام التعذيب فترة طويلة دامت ست سنوات متتالية، حتى ضمر جسمه وهزل قوامه وبرزت عظامه.

ولكنه بعد طول هذا العناء والنصب لم يصل إلى شيء، ولم يحقّق غايته. فلم يجد العلم في تنوير ذهنه إلى طريق السعادة، ولم ينفع تعذيب الجسد في تبصيره بالوسيلة التي تنجيه من توالي الولادات.

فتساءل: ألا يدعوه كل ذلك إلى اليأس، ويشعره بأن هربه من الحياة كان عملًا خاطئًا، وأنه يبحث عن المستحيل! وما جدوى استمراره في تحمّل آلام الجوع والعطش وتعذيب البدن؟

إنّه كثيرًا ما كان يغيب عن وعيه من شدّة الجوع، ومن قسوة المجاهدات التي تهلك قوى البدن دون طائل. حتى إذا فقد وعيه ذات مرة وظلّ في غيبوبة دامت وقتًا طويلًا، حتى ظنّ مريدوه أنه فارق الحياة. ولكن كانت دهشتهم عظيمة عندما أكل وشرب على غير عادة بعد ان أفاق.

لقد صمّم جوتاما أن يتخلّى عن تعذيب الجسد، إذ أدرك أن الجسد الهزيل والفكر المعذّب والقوى المحطّمة لا يمكن أن تعرف الطريق الذي يحرّرها من سلسلة الولادات. بل إن قسوة المجاهدة تشلّ التفكير وتميت الحيويّة وتعطّل أيّ نشاط.

وشاء في هذا اليوم أنّ إمرأة كانت تسكن القرية المجاورة، وكان قد سبق لها أن نذرت أن تهب الزاهد جوتاما قدرًا مليئًا بالأرز والحليب، إذا أنجبت طفلًا ذكرًا، وقد رزقت بالطفل الذكر. فأرادت أن تفي بالنذر، وجلبت ذلك القدر المليء بالأرز والحليب لجوتاما، فأكل منه حتى استعاد حيويّته وعاد إليه نشاطه.

وما أن شاهد المريدون تصرّفات جوتاما حتى خاب أملهم فيه، وتبدّل تعظيمهم له إلى احتقار، وأدركوا أنه فشل في تحقيق هدفه، فتخاذلت إرادته وعجز عن مواصلة التعذيب والمجاهدة، فتنكّروا له وهجروه غير آسفين.

ولقد اضطرب جوتاما أشدّ الإضطراب عندما نبذه مريدوه، وانتابته نوبات من الحيرة والشكّ والإرتياب، حتى فكّر في العودة إلى أهله ، لأنهم ينتظرونه، وعلى استعداد تامّ لاستقباله بالبشر والسرور.

ولكن هل يقبل الفشل ؟

لقد هجر الحياة ليحقّق غايته، فيجب أن يواصل البحث عن هذه الغاية. فجلس جلسة القرفصاء تحت شجرة التين مصمّمًا على ألّا يغادر هذا المكان حتى ينكشف له طريق النجاة أو يموت.

إلا أن جلسته لم تكن هادئة مريحة، إذ أخذ ينتابه حنين لأهله وزوجته وابنه، واستبدّت به رغبة ملحّة في العودة إلى حياة القصور، بما فيها من لذّة ومتعة.

وأخذت تصوّر له الأهواء استحالة التخلّص من الشيخوخة والمرض والموت، وأنه يجري وراء وهم خادع. ولكنه قاوم هذه الأهواء وتلك الرغبات وحاربها بلا هوادة. ولقد تعاونت الطبيعة الهائجة مع شهواته على بذر بذور اليأس في داخله لتقلعه عن تحقيق حياة لا تعرف الشيخوخة والمرض والموت.

فإذا بالعواصف تهبّ، فتهطل عليه الأمطار الغزيرة، ولكنه لم يتزحزح من مكانه، وتقذف الريح الغبار في عينيه، وتحدث أصواتًا رهيبة مرعبة، ولكنه كما قاوم أهواءه الشريرة صمد في وجه الطبيعة الثائرة سبعة أيام بلياليها.

وكانت إرادته أقوى من شهواته، وأقوى من تقلّبات الطبيعة. فلم يأت مساء الليلة السابعة إلّا وقد اتّضح لجوتاما حقيقة الحياة، وعرف سبيل النجاة، وأدرك أين توجد السعادة الحقّة.

فاستنار ذهنه لكلّ ما كان غائبًا عنه، ولم يعد جوتاما شخصًا عاديًّا أو زاهدًا بسيطًا، وإنما أصبح (بوذا)، أي المستنير الذي تبيّن له سرّ الألم في الحياة، واهتدى إلى كيفيّة الخلاص منه، وتحقيق حياة لا تعرف الآلام والمسرّات لأنها فوق الآلام والمسرّات[1] .

---

[1] صفحات ٥٠-٥٣ من نفس الكتاب.

دعوة بوذا إلى الدين

ثُمَّ إِنَّ بِلَوْهَرَ رَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ، وَ اخْتَلَفَ إِلَى يُوذَاسُفَ أَيَّاماً، حَتَّى عَرَفَ أَنَّهُ قَدْ فُتِحَ لَهُ الْبَابُ، وَ دَلَّهُ عَلَى سَبِيلِ الصَّوَابِ، ثُمَّ تَحَوَّلَ مِنْ تِلْكَ الْبِلَادِ إِلَى غَيْرِهَا، وَ بَقِيَ يُوذَاسُفُ حَزِيناً مُغْتَمّاً.

فَمَكَثَ بِذَلِكَ حَتَّى بَلَغَ وَقْتُ خُرُوجِهِ إِلَى النُّسَّاكِ، لِيُنَادِيَ بِالْحَقِّ وَ يَدْعُوَ إِلَيْهِ. أَرْسَلَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ مَلَكاً مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَلَمَّا رَأَى مِنْهُ خَلْوَةً، ظَهَرَ لَهُ وَ قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ، لَكَ الْخَيْرُ وَ السَّلَامَةُ، أَنْتَ إِنْسَانٌ بَيْنَ الْبَهَائِمِ الظَّالِمِينَ الْفَاسِقِينَ مِنَ الْجُهَّالِ، أَتَيْتُكَ بِالتَّحِيَّةِ مِنَ الْحَقِّ، وَ إِلَهُ الْخَلْقِ بَعَثَنِي إِلَيْكَ لِأُبَشِّرَكَ، وَ أَذْكُرَ لَكَ مَا غَابَ عَنْكَ مِنْ أُمُورِ دُنْيَاكَ وَ آخِرَتِكَ، فَاقْبَلْ بِشَارَتِي وَ مَشُورَتِي، وَ لَا تَغْفَلْ عَنْ قَوْلِي، اخْلَعْ عَنْكَ الدُّنْيَا، وَ انْبِذْ عَنْكَ شَهَوَاتِهَا، وَ ازْهَدْ فِي الْمُلْكِ الزَّائِلِ، وَ السُّلْطَانِ الْفَانِي الَّذِي لَا يَدُومُ، وَ عَاقِبَتُهُ النَّدَمُ وَ الْحَسْرَةُ، وَ اطْلُبِ الْمُلْكَ الَّذِي لَا يَزُولُ، وَ الْفَرَحَ الَّذِي لَا يَنْقَضِي، وَ الرَّاحَةَ الَّتِي لَا يَتَغَيَّرُ، وَ كُنْ صَدِيقاً (صدّيقا) مُقْسِطاً، فَإِنَّكَ تَكُونُ إِمَامَ النَّاسِ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ.

فَلَمَّا سَمِعَ يُوذَاسُفُ كَلَامَهُ خَرَّ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ سَاجِداً، وَ قَالَ إِنِّي لِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى مُطِيعٌ، وَ إِلَى وَصِيَّتِهِ مُنْتَهٍ، فَمُرْنِي بِأَمْرِكَ، فَإِنِّي لَكَ حَامِدٌ، وَ لِمَنْ بَعَثَكَ إِلَيَّ شَاكِرٌ، فَإِنَّهُ رَحِمَنِي وَ رَءُوفٌ بِي، وَ لَمْ يَرْفُضْنِي بَيْنَ الْأَعْدَاءِ، فَإِنِّي كُنْتُ بِالَّذِي أَتَيْتَنِي بِهِ [1] مُهْتَمّاً.

قَالَ الْمَلَكُ إِنِّي أَرْجِعُ إِلَيْكَ بَعْدَ أَيَّامٍ، ثُمَّ أُخْرِجُكَ، فَتَهَيَّأْ لِذَلِكَ، وَ لَا تَغْفَلْ عَنْهُ، فَوَطَّنَ يُوذَاسُفُ نَفْسَهُ عَلَى الْخُرُوجِ، وَ جَعَلَ هِمَّتَهُ كُلَّهُ فِيهِ، وَ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى ذَلِكَ أَحَداً، حَتَّى إِذَا جَاءَ وَقْتُ خُرُوجِهِ، أَتَاهُ الْمَلَكُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَ النَّاسُ نِيَامٌ، فَقَالَ لَهُ قُمْ

[1] في نسخة المجلسي هذه العبارة: بالذي أتيت له.

فَاخْرُجْ وَ لَا تُؤَخِّرْ ذَلِكَ، فَقَامَ وَ لَمْ يُفْشِ سِرَّهُ إِلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ غَيْرِ وَزِيرِهِ، فَبَيْنَا هُوَ يُرِيدُ الرُّكُوبَ، إِذَا أَتَاهُ رَجُلٌ شَابٌّ جَمِيلٌ كَانَ قَدْ مَلَكَهُمْ بِلَادَهُ فَسَجَدَ لَهُ.

وَ قَالَ أَيْنَ تَذْهَبُ يَا ابْنَ الْمَلِكِ، وَ قَدْ أَصَابَنَا الْعُسْرُ أَيُّهَا الْمُصْلِحُ الْحَكِيمُ الْكَامِلُ، وَ تَتْرُكُنَا لَهُ[1]، وَ تَتْرُكُ مُلْكَكَ وَ بِلَادَكَ، أَقِمْ عِنْدَنَا، فَإِنَّا كُنَّا مُنْذُ وُلِدْتَ فِي رَخَاءٍ وَ كَرَامَةٍ، وَ لَمْ تَنْزِلْ بِنَا عَاهَةٌ وَ لَا مَكْرُوهٌ.

فَسَكَّتَهُ يُوذَاسُفُ وَ قَالَ لَهُ امْكُثْ أَنْتَ فِي بِلَادِكَ وَ دَارِ [2] أَهْلَ مَمْلَكَتِكَ ، فَأَمَّا أَنَا فَذَاهِبٌ حَيْثُ بُعِثْتُ، وَ عَامِلٌ مَا أُمِرْتُ بِهِ، فَإِنْ أَنْتَ أَعَنْتَنِي كَانَ لَكَ فِي عَمَلِي نَصِيباً.

ثُمَّ إِنَّهُ رَكِبَ فَسَارَ مَا قَضَى اللَّهُ لَهُ أَنْ يَسِيرَ، ثُمَّ إِنَّهُ نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ، وَ وَزِيرُهُ يَقُودُ فَرَسَهُ وَ يَبْكِي أَشَدَّ الْبُكَاءِ، وَ يَقُولُ لِ يُوذَاسُفَ: بِأَيِّ وَجْهٍ أَسْتَقْبِلُ أَبَوَيْكَ، وَ بِمَا أُجِيبُهُمَا عَنْكَ، وَ بِأَيِّ عَذَابٍ أَوْ مَوْتٍ يَقْتُلَانِّي، وَ أَنْتَ كَيْفَ تُطِيقُ الْعُسْرَ وَ الْأَذَى الَّذِي لَمْ تَتَعَوَّدْهُ، وَ كَيْفَ لَا تَسْتَوْحِشُ، وَ أَنْتَ لَمْ تَكُنْ وَحْدَكَ يَوْماً قَطُّ، وَ جَسَدُكَ كَيْفَ تَحْمِلُ الْجُوعَ وَ الظَّمَأَ وَ التَّقَلُّبَ عَلَى الْأَرْضِ وَ التُّرَابِ !

فَسَكَّتَهُ وَ عَزَّاهُ، وَ وَهَبَ لَهُ فَرَسَهُ وَ الْمِنْطَقَةَ[3] ، فَجَعَلَ يُقَبِّلُ قَدَمَيْهِ، وَ يَقُولُ لَا تَدَعْنِي وَرَاءَكَ يَا سَيِّدِي، اذْهَبْ بِي مَعَكَ حَيْثُ خَرَجْتَ، فَإِنَّهُ لَا كَرَامَةَ لِي بَعْدَكَ، وَ إِنَّكَ إِنْ تَرَكْتَنِي وَ لَمْ تَذْهَبْ بِي مَعَكَ أَخْرُجْ [4] فِي الصَّحْرَاءِ، وَ لَمْ أَدْخُلْ مَسْكَناً فِيهِ إِنْسَانٌ أَبَداً.

---

[1] في نسخة المجلسي من دون له.

[2] من المداراة.

[3] المنطقة = النطاق = الخاصرة = ما يشدّ به الوسط.

[4] في نسخة المجلسي خرجت.

فَسَكَّتَهُ أَيْضاً وَ عَزَّاهُ، وَ قَالَ لَا تَجْعَلْ فِي نَفْسِكَ إِلَّا خَيْراً، فَإِنِّي بَاعِثٌ إِلَى الْمَلِكِ وَ مُوصِيهِ فِيكَ أَنْ يُكْرِمَكَ وَ يُحْسِنَ إِلَيْكَ.

ثُمَّ نَزَعَ عَنْهُ لِبَاسَ الْمُلْكِ، وَ دَفَعَهُ إِلَى وَزِيرِهِ، وَ قَالَ لَهُ الْبَسْ ثِيَابِي، وَ أَعْطَاهُ الْيَاقُوتَةَ الَّتِي كَانَ يَجْعَلُهَا فِي رَأْسِهِ، وَ قَالَ لَهُ [1] انْطَلِقْ بِهَا مَعَكَ وَ فَرَسِي، وَ إِذَا أَتَيْتَهُ فَاسْجُدْ لَهُ وَ أَعْطِهِ هَذِهِ الْيَاقُوتَةَ، وَ أَقْرِئْهُ السَّلَامَ، ثُمَّ الْأَشْرَافَ، وَ قُلْ لَهُمْ إِنِّي لَمَّا نَظَرْتُ فِيمَا بَيْنَ الْبَاقِي وَ الزَّائِلِ، رَغِبْتُ فِي الْبَاقِي، وَ زَهِدْتُ فِي الزَّائِلِ، وَ لَمَّا اسْتَبَانَ لِي أَصْلِي وَ حَسَبِي، وَ فَصَلْتُ بَيْنَهُمَا وَ بَيْنَ الْأَعْدَاءِ وَ الْأَقْرِبَاءِ[2] ، رَفَضْتُ الْأَعْدَاءَ وَ الْأَقْرِبَاءَ[3] ، وَ انْقَطَعْتُ إِلَى أَصْلِي وَ حَسَبِي.

فَأَمَّا وَالِدِي فَإِنَّهُ إِذَا أَبْصَرَ الْيَاقُوتَةَ طَابَتْ نَفْسُهُ، فَإِذَا أَبْصَرَ كِسْوَتِي عَلَيْكَ ذَكَرَنِي، وَ ذَكَرَ حُبِّي لَكَ وَ مَوَدَّتِي إِيَّاكَ، فَمَنَعَهُ ذَلِكَ أَنْ يَأْتِيَ إِلَيْكَ مَكْرُوهاً.

---

[1] في نسخة المجلسي من دون له.

[2] في نسخة المجلسي القرباء.

[3] في نسخة المجلسي القرباء.

شجرة التين عند ابن بابويه

ثُمَّ رَجَعَ وَزِيرُهُ، وَ تَقَدَّمَ يُوذَاسُفُ أَمَامَهُ يَمْشِي، حَتَّى بَلَغَ فَضَاءً وَاسِعاً، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَرَأَى شَجَرَةً عَظِيمَةً عَلَى عَيْنٍ مِنْ مَاءٍ، أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّجَرِ، وَ أَكْثَرَهَا فَرْعاً وَ غُصْناً، وَ أَحْلَاهَا ثَمَراً، وَ قَدِ اجْتَمَعَ إِلَيْهَا مِنَ الطَّيْرِ مَا لَا يُعَدُّ كَثْرَةً.

فَسُرَّ بِذَلِكَ الْمَنْظَرِ وَ فَرِحَ بِهِ، وَ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ حَتَّى دَنَا مِنْهُ، وَ جَعَلَ يُعَبِّرُهُ فِي نَفْسِهِ وَ يُفَسِّرُهُ، فَشَبَّهَ الشَّجَرَ بِالْبُشْرَى الَّتِي دَعَا إِلَيْهَا، وَ عَيْنَ الْمَاءِ بِالْحِكْمَةِ وَ الْعِلْمِ، وَ الطَّيْرَ بِالنَّاسِ الَّذِينَ يَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ، وَ يَقْبَلُونَ مِنْهُ الدِّينَ.

فَبَيْنَا هُوَ قَائِمٌ، إِذَا أَتَاهُ أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ع يَمْشُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَاتَّبَعَ آثَارَهُمْ، حَتَّى رَفَعُوهُ فِي جَوِّ السَّمَاءِ، وَ أُوتِيَ مِنَ الْعِلْمِ وَ الْحِكْمَةِ مَا عَرَفَ بِهِ الْأُولَى وَ الْوُسْطَى وَ الْأُخْرَى، وَ الَّذِي هُوَ كَائِنٌ، ثُمَّ أَنْزَلُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، وَ قَرَّنُوا [1] مَعَهُ قَرِيناً مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْأَرْبَعَةِ.

فَمَكَثَ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ حِيناً، ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى أَرْضَ سُولَابِطَ، فَلَمَّا بَلَغَ وَالِدَهُ قُدُومُهُ خَرَجَ يَسِيرُ هُوَ وَ الْأَشْرَافُ، فَأَكْرَمُوهُ وَ قَرَّبُوهُ، وَ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَهْلُ بَلَدِهِ مَعَ ذَوِي قَرَابَتِهِ وَ حَشَمِهِ، وَ قَعَدُوا بَيْنَ يَدَيْهِ وَ سَلَّمُوا عَلَيْهِ، وَ كَلَّمَهُمُ الْكَلَامَ الْكَثِيرَ، وَ فَرَشَ لَهُمُ الْأَسَاسَ[2] ، وَ قَالَ لَهُمْ: اسْمَعُوا إِلَيَّ بِأَسْمَاعِكُمْ ، وَ فَرِّغُوا إِلَيَّ قُلُوبَكُمْ، لِاسْتِمَاعِ حِكْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ، الَّتِي هِيَ نُورُ الْأَنْفُسِ، وَ ثِقُوا [3] بِالْعِلْمِ الَّذِي هُوَ الدَّلِيلُ عَلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ، وَ أَيْقِظُوا عُقُولَكُمْ، وَ افْهَمُوا الْفَصْلَ الَّذِي بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ وَ الضَّلَالِ وَ الْهُدَى، وَ اعْلَمُوا أَنَّ هَذَا هُوَ دَيْنُ

---

[1] قرّنوا = جمعوا وشدّدوا. يقال قرّنت الأسارى في الحبال = جمعت وشدّدت.

[2] في نسخة المجلسي الإيناس.

[3] في نسخة المجلسي وتقرّوا بالعلم.

الْحَقِّ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَ الرُّسُلِ ع وَ الْقُرُونِ الْأُولَى، فَخَصَّنَا اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِهِ فِي هَذَا الْقَرْنِ بِرَحْمَتِهِ بِنَا وَ رَأْفَتِهِ وَ رَحْمَتِهِ وَ تَحَنُّنِهِ عَلَيْنَا، وَ فِيهِ خَلَاصٌ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنَالُ الْإِنْسَانُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ، وَ لَا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ إِلَّا بِالْإِيمَانِ وَ عَمَلِ الْخَيْرِ.

فَاجْتَهِدُوا فِيهِ لِتُدْرِكُوا بِهِ الرَّاحَةَ الدَّائِمَةَ، وَ الْحَيَاةَ الَّتِي لَا تَنْقَطِعُ أَبَداً، وَ مَنْ آمَنَ مِنْكُمْ بِالدِّينِ فَلَا يَكُونَنَّ إِيمَانُهُ طَمَعاً فِي الْحَيَاةِ، وَ رَجَاءً لِمُلْكِ الْأَرْضِ، وَ طَلَبِ مَوَاهِبِ الدُّنْيَا، وَ لْيَكُنْ إِيمَانُكُمْ بِالدِّينِ [1] طَمَعاً فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، وَ رَجَاءً لِلْخَلَاصِ، وَ طَلَبِ طَلَبِ النَّجَاةِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَ بُلُوغِ الرَّاحَةِ وَ الْفَرَجِ فِي الْآخِرَةِ، فَإِنَّ مُلْكَ الْأَرْضِ وَ سُلْطَانَهَا زَائِلٌ، وَ لَذَّاتِهَا مُنْقَطِعَةٌ، فَمَنِ اغْتَرَّ بِهَا هَلَكَ وَ افْتَضَحَ، لَوْ قَدْ وَقَفَ عَلَى دَيَّانِ الدِّينِ، الَّذِي لَا يَدِينُ إِلَّا بِالْحَقِّ، فَإِنَّ الْمَوْتَ مَقْرُونٌ مَعَ أَجْسَادِكُمْ، وَ هُوَ يَتَرَاصَدُ أَرْوَاحَكُمْ أَنْ يُكَبْكِبَهَا مَعَ الْأَجْسَادِ.

وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ كَمَا أَنَّ الطَّيْرَ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْحَيَاةِ وَ النَّجَاةُ مِنَ الْأَعْدَاءِ مِنَ الْيَوْمِ إِلَى غَدٍ إِلَّا بِقُوَّةٍ مِنَ الْبَصَرِ وَ الْجَنَاحَيْنِ وَ الرِّجْلَيْنِ، فَكَذَلِكَ الْإِنْسَانُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْحَيَاةِ وَ النَّجَاةِ إِلَّا بِالْعَمَلِ وَ الْإِيمَانِ وَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَ أَفْعَالِ الْخَيْرِ الْكَامِلَةِ [2] .

فَتَفَكَّرْ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنْتَ وَ الْأَشْرَافُ فِيمَا تَسْمَعُونَ[3] ، وَ افْهَمُوا وَ اعْتَبِرُوا، وَ اعْبُرُوا الْبَحْرَ مَا دَامَتِ السَّفِينَةُ، وَ اقْطَعُوا الْمَفَازَةَ مَا دَامَ الدَّلِيلُ، وَ الظَّهْرُ وَ الزَّادُ، وَ اسْلُكُوا سَبِيلَكُمْ مَا دَامَ الْمِصْبَاحُ، وَ أَكْثِرُوا مِنْ كُنُوزِ الْبِرِّ مَعَ النُّسَّاكِ، وَ شَارِكُوهُمْ فِي الْخَيْرِ وَ الْعَمَلِ

---

[1] في نسخة المجلسي من دون بالدين.

[2] في نسخة المجلسي هذه العبارة: إلا بالعمل والإيمان وأعمال الخير الكاملة.

[3] في نسخة المجلسي فيما تستمعون.

الصَّالِحِ، وَ أَصْلِحُوا التَّبَعَ[١]، وَ كُونُوا لَهُمْ أَعْوَاناً، وَ مُرُوهُمْ [٢] بِأَعْمَالِكُمْ لِيَنْزِلُوا مَعَكُمْ مَلَكُوتَ مَلَكُوتَ النُّورِ، وَ اقْبَلُوا النُّورَ[٣] ، وَ احْتَفِظُوا بِفَرَائِضِكُمْ.

وَ إِيَّاكُمْ أَنْ تَتَوَثَّقُوا إِلَى أَمَانِيِّ الدُّنْيَا، وَ شُرْبِ الْخُمُورِ، وَ شَهْوَةِ النِّسَاءِ، مِنْ كُلِّ ذَمِيمَةٍ وَ قَبِيحَةٍ، مُهْلِكَةٍ لِلرُّوحِ وَ الْجَسَدِ. وَ اتَّقُوا الْحَمِيَّةَ وَ الْغَضَبَ وَ الْعَدَاوَةَ وَ النَّمِيمَةَ، وَ مَا لَمْ تَرْضَوْهُ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْكُمْ فَلَا تَأْتُوهُ إِلَى أَحَدٍ، وَ كُونُوا طَاهِرِي الْقُلُوبِ صَادِقِي النِّيَّاتِ، لِتَكُونُوا عَلَى الْمِنْهَاجِ إِذَا أَتَاكُمُ الْأَجَلُ.

---

[١] تبع ج أتباع = من مشى خلفه. مضى معه. انقاد إليه.

[٢] في نسخة المجلسي وأمروهم.

[٣] يقولون أن البوذيّة هي دين العمل، ولا بدّ لكل بوذيّ أن يعمل ويعمل ويعمل، حتى يتحوّل إلى (بوذا) بمعنى الرجل المستنير. وهذا الموضوع لا ينحصر في هذا الدين فقط، لأنّ في الدين الإسلامي هناك حثّ على العمل الصالح إلى حدّ أن يصل المسلم المؤمن إلى أرقى المراتب الروحيّة. يقول الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم: (لولا لغو في لسانكم وتمريج في قلوبكم لرأيتم ما أرى ولسمعتم ما أسمع). وهل هناك محجّة أوضح من هذا بالنسبة لما هو مطلوب من الأعمال، حتى يصل المسلم المؤمن إلى هذه الدرجة العالية التي ذكرها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ! نعم مُرُوهُمْ بِأَعْمَالِكُمْ لِيَنْزِلُوا مَعَكُمْ مَلَكُوتَ النُّورِ، وَ اقْبَلُوا النُّورَ. ولكن إذا كان المسلمون يكتفون ببعض الفرائض والأحكام كالصلاة والصوم والحج وغيرها من الأحكام الظاهريّة، فما ذنب الإسلام ؟ نعم الأحكام الظاهريّة ضروريّة، ولكن الهدف أن تصل إلى السيطرة التامة على لغو اللسان وتمريج القلب، وذلك بالذكر المستمرّ والجهاد الأكبر والتزكية من أدران الدنيا، حتى ينفتح لك ملكوت النور وتقبل نور الملكوت.

ومن ناحية أخرى، أنصح الأفراد العصريّين الذين يقبلون هذه الأيام على هذا النوع من التأمّلات البوذويّة، أن لا يتوقّعوا منها الكثير، لأنّ التأمّلات لا توصلك إلى السّكينة والطمأنينة الحقيقيّة الدائمة، إن لم يكن لها المحتوى الإيماني، وإن لم تؤمن بتعاليم الأنبياء، ومنهم بوذا، وتحتذي بتعاليمهم حذو النعل بالنعل، بمعنى أن تطبّق عمليًّا كل تعاليمهم.

ثُمَّ انْتَقَلَ مِنْ أَرْضِ سُولَابِطَ، وَ سَارَ فِي بِلَادٍ وَ مَدَائِنَ كَثِيرَةٍ، حَتَّى أَتَى أَرْضاً تُسَمَّى قِشْمِيرَ، فَسَارَ فِيهَا وَ أَحْيَا مَيِّتَهَا، وَ مَكَثَ حَتَّى أَتَاهُ الْأَجَلُ الَّذِي خَلَعَ الْجَسَدَ، وَ ارْتَفَعَ إِلَى النُّورِ، وَ دَعَا قَبْلَ مَوْتِهِ تِلْمِيذاً لَهُ اسْمُهُ أَيَابِذُ[1] ، الَّذِي كَانَ يَخْدُمُهُ وَ يَقُومُ عَلَيْهِ، وَ كَانَ رَجُلًا كَامِلًا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، وَ أَوْصَى إِلَيْهِ وَ قَالَ، إِنَّهُ قَدْ دَنَا ارْتِفَاعِي عَنِ الدُّنْيَا، وَ احْتَفِظُوا بِفَرَائِضِكُمْ، وَ لَا تَزِيغُوا عَنِ الْحَقِّ، وَ خُذُوا بِالتَّنَسُّكِ[2] .

ثُمَّ أَمَرَ أَيَابِذَ [3] أَنْ يَبْنِيَ لَهُ مَكَاناً، فَبَسَطَ [4] هُوَ رِجْلَيْهِ، وَ هَيَّأَ رَأْسَهُ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَ وَجْهَهُ إِلَى الْمَشْرِقِ، ثُمَّ قَضَى نَحْبَهُ ..

تم الكتاب

---

[1] في نسخة المجلسي يابد.

[2] في نسخة المجلسي بالنسك

[3] في نسخة المجلسي يابد.

[4] في نسخة المجلسي فبسطه.

قال الله تعالى في سورة فاطر الآية ٢٤ :

بسم الله الرحمن الرحيم: { وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ } .

بمعنى نبيّ أو رسول. وبوذا طبعًا رسول لأنه كان قد أُوحي إليه وكان مأمورًا بالتبليغ.

وما أكثر هؤلاء العظماء الذين غمرهم غموض الأزمان الساحقة ولم يكتب عنهم في حينها بل تأخّرت الكتابة عنهم عدّة قرون كما في حالة بوذا .

فالواجب علينا أن ننصفهم بكل ما في أيدينا من وسائل حتى تبرز هذه الشخصيات جليّة ناصعة وتنفض عن نفسها غبار الغموض الذي طرأ عليها بسبب تراكم الأزمان السحيقة.